الكنانة

أول مجلة مهجرية نقدية متخصصة

أكاديمية – يسارية – سياسية – فكرية – ثقافية – نقدية

Issue No. 27 :: July 2019 | تعنى بابداع الكاتب وحرية النص | العدد رقم 27 :: تموز 2019

بيروت صغيرة بحجم اليد

السجون الصهيونية السرية

فيلسوف المعرة بين سجع الحمام وزئير الأسد

الساذج الصغير

كان ماء .. كنت ملحا

كونوا شركاء في المحاولة

□ الكاتب مشروع ثقافي أكاديمي لبناني وعربي أسسه مجموعة من المثقفين والمبدعين اللبنانيين والعرب المقيمين في أوروبا، أمريكا الشمالية، والولايات المتحدة الأمريكية.

كانت تصدر الكاتب تحت إسم عيبال، ومن ثم البديل، إلى أن استقر الرأي على اعتماد إسم الكاتب عنوانا للمجلة.

تقصد مجلة الكاتب إلى إثارة السؤال الثقافي العربي في الواقع الراهن، محاولة منها برفده بصوت الجدل الحيوي، المفضي إلى السوية الثقافية، والمحفز إلى مزيد من التلاحم بين الثقافي – الفكري، بل وحتى السياسي في زمن أصبحت التحديات الثقافية أقرب إلى الزلزلة منها إلى الأخذ بالتي هي أحسن، ذلك أن أحوال الثقافات والمثقفين قد تبدلت وأصبحت رهن سيادة الطوائف والأحزاب، وأصبح المثقف أو أشباهه، والجاهل المتثاقف في زمن الفايسبوك يشترى ويباع في أسواق نخاسة الأنظمة والأجهزة والسفارات والغرف السوداء.

إنساننا اللبناني والعربي في الأوطان الأم، وفي المهاجر والمنافي، يجب أن ينهض، وثقافتنا ينبغي أن تتطور وتتوطد، ولابد أن نواجه الراهن ونستعجل أوان نضجه الطالع بالظفر. فكل إبداع هو كوة حرية، وكل فعل هو انعتاق، وكل تلاحم فكر إنساني هو زمن آت.

تمر حيوات، بيد أن حياة ممتلئة هي تلك التي تكتنز الابداع وتثمر الحرية، ولمجلة الكاتب فيها سويعة، لو عانقت أقلامكم واحتضانكم لها، ولا وقت يمر دون بشاراته.

يعمل فريق مجلة الكاتب وأصدقاؤها بشكل تطوعي من أجل:

- توثيق الثقافة والفن الانساني اللبناني والعربي، القديم والموروث، وتقديمه إلى المجتمعات الغير عربية بالوسائل الاكاديمية، عبر محاضرات ثقافية، وترجمة دراسات عن الثقافة والفن والتاريخ اللبناني والعربي، ومن خلال تنظيم معارض فنية وأمسيات موسيقية مع موسيقيين أكاديميين غربيين.
- يشجع ويتبنى فريق الكاتب أعمال الكتاب والشعراء والمبدعين اللبنانيين والعرب، أو المتحدرون من أصول عربية، ويتم نشر إبداعاتهم في مجلة الكاتب التي تصدر بعدة لغات، كما يتم التعريف بتلك الأعمال والابداعات للجمهور العربي والغربي سواء في الأوطان الأم أو المهاجر.
- يؤمن فريق مجلة الكاتب بحرية الفكر والتعبير، ويعتبرهما ركيزة أساسية لبناء المجتمع الديمقراطي اللبناني والعربي، الغير طائفي، والذي يسوده العدل والمساواة والقانون.
- يعمل فريق الكاتب مع المثقفين والمبدعين التقدميين الاوروبيين والعرب في التبشير بضرورة السلام في الشرق بالتوازي مع مقاومة التطبيع السياسي والاقتصادي مع دولة إسرائيل، ليس لأننا لا نؤمن بضرورة حل النزاع في الشرق، بل لأنه لا يمكن أن يكون هنالك سلام في ظل الاستمرار بسياسة الاعتقالات الجماعية، ومصادرة الأراضي، والاعتداءات العسكرية التي لا تنتهي من قبل إسرائيل على وطننا لبنان والدول العربية المجاورة.
- يغطي فريق الكاتب إصدار النسخة الورقية المطبوعة، وكذلك تكاليف الموقع الالكتروني عبر نشر بعض الاعلانات في كل عدد لمرسسات ثقافية وإنسانية وتربوية. إنما التكلفة الحقيقية هي في الجهد المبذول من قبل الفريق لاصدراها، وتبرعات الكتاب والمبدعين بانتاجهم الفكري.
- يعمل فريق المجلة دون مقابل وبشكل تطوعي.
- بانتظار أقلامكم ودعمكم الابداعي□□

فريق الكاتب

تصدر عن عيبال للثقافة البديلة
Published by: Ebal

غير تجارية – Non Profit

The Writer
A Cultural Review in
Arabic & Other Languages

الكاتب
أكاديمية - نقدية - ثقافية - سياسية - فكرية
ذات توجه يساري
تصدر بعدة لغات

Editor – In – Chief
Composer and Political Singer
Dr. William Nassar

رئيس التحرير
المؤلف الموسيقي والمغني السياسي
د. وليم نصار

مستشارا التحرير
إيلي الحاج
عز الدين المصري

مدراء التحرير
جوزفين فرنجية (لبنان)
مارون سلوم (لبنان)
يزن الأحمد (فلسطين)
Anna White (Canada)
أكرم الفيشاوي (مصر)

فريق الكاتب
حسن زيدان (لبنان)
يسري الغول (غزة)
سلاف العلي (لبنان)
كمال أبو عيسى (لبنان)
أنطوان الراسي (الولايات المتحدة)
جريس سلامة (أيرلندا)
Richard Bordeux (بلجيكا)
Chantal Tamin (كندا)

استشارة قانونية
د. ريتشارد لوك (كندا)
د. نيل كابلان (كندا)

إعلانات
كارولين قحطاني
Vera Bellianti

مدراء الصفحة الالكترونية
نيرودا خوري (كيبيك)
باتريك لاروك (كيبيك)

النسخة الالكترونية
https://al-kateb.com
https://alkateb@journalist.com
https://facebook.com/ majallatalkateb

رقم التسجيل الدولي
ISSN 1206 - 1425

كلمة العدد

4
د. غازي العريضي
البيت اليهودي ومسرح الميدان

المقال

5
د. إبراهيم أبراش
في ورشة المنامة، الصمود الفلسطيني على المحك
6
فريق الكاتب
إسرائيل تعترف، ياسر عرفات كان فعلا بسبعة أرواح
11
عدنان الصباح
العثور على الذات ... اغتيال الدونية (3)
13
الفضل شلق
المثقفون العرب أمام امتحان السياسة
15
حاتم الجوهري
نمط الحرب الأمريكي: الصفقة وصدمة الوعي
17
يحي المعلم
السجون السرية الصهيونية: صور حية عن الارهاب الصهيوني
21
عادل عبد الزهرة شبيب
أين يقع لبنان في مؤشر الابتكار العالمي لعام 2018؟
22
يعقوب بن إفرات
واحة الديمقراطية تتأقلم مع محيطها
30
أنغير بو بكر
دروس من حراك الريف
30
خالد العاني
الهدف المعلن والهدف غير معلن
31
محمد كريم الساعدي
الارهاب والاستبعاد الثقافي وصور المقدس
38
أمجد ناصر
يوميات من حصار صيف عام 1982: بيروت صغيرة بحجم راحة اليد!
47
د. مصطفى اللداوي
الضفة الغربية في مواجهة يهودا والسامرة

تغاريد

51
فريق الكاتب
جبهة زرع الشعر حتى تحرير فلسطين

النقد

24
محمود الصباغ
فلسطين الصهيونية: بين مجتمع مستوطنين ووطن قديم لشعب
33
محمد المحسن
أزمة المثقف العربي
35
د. نجاة تميم
وقع الاغتراب على الابداع
37
صباح كنجي
شوقي الماجري يخترق حاجز الصوت بدقيقة صمت
43
طلعت خيري
أورشليم منطلق رب الجنود الصهيوني للهيمنة على العالم
48
عبد الرزاق دحنون
فيلسوف المعرة بين سجع الحمام وزئير الأسد
49
تامر سمير سراج
عندما يضطر الفقير الى "الحس العتب"

القصة

16
بودهان عبد الغفور
حيوان أسطوري إسمه الغول
29
أماني فؤاد
أنفه الكبير الذي تدحرج على الأرضية الخشبية
50
هشام موكادور
الساذج الصغير

القصيدة

20
ماجد ع. محمد
دبلوماسية النذالة
21
إيفان علي عثمان
رقصة البنادق والسحرة
32
ميراي يونس
كان ماء .. كنت ملحا
36
آل يسار القحطاني
يا أمي

واحات

14
أبرام لويس حنا
يا أيها العرب
23
عبد الأمير آل حاوي
الرقابة الفكرية
29
توفيق الحاح
حمار مثقف
49
مريم نجمة
الهزيمة لا تعني الاستسلام

الغلاف: للتشكيلي الفلسطيني: عماد أبو شتيه
Cover: Painting by Imad Ishtayeh, , Palestine
تصميم وإخراج: زينب ريحان – بولاند صادق
طبع من هذا العد د 600 نسخة ورقية وزعت مجانا على المراكز الثقافية والجامعات والمكتبات العامة في الولايات المتحدة الأمريكية، أمريكا الشمالية، أوروبا، أستراليا واليابان

د. غازي العريضي
لبنان

البيت اليهودي و مسرح الميدان

❑ في "الزمن الموازي"، زمن الإرهاب الاسرائيلي والدعم الأميركي، والغياب العربي، يشنّ حزب "البيت اليهودي" من خلال زعيمه وزير التربية والتعليم نفتالي بينيت حرباً على " مسرح الميدان" الفلسطيني وهو أكبر مسرح عربي في اسرائيل يرأسه الفنان عدنان طرابشة، وتدعمه في ذلك وزيرة الثقافة والشباب ميري ريغيف التي أعلنت أنها تدرس الغاء دعم الوزارة لمسرح " المينا" في مدينة يافا لرفض مؤسسه الممثل الفلسطيني نورمان عيسى عرض مسرحياته في مستوطنة يهودية في غور الأردن. وبررّت موقفها بالقول: "... نحن في مواجهة دبلوماسية وعلينا عمل كل شيء لمنع تزويد أعدائنا بالذخيرة ضدنا" !! وكانت قد أعلنت سابقاً أنها "لن تسمح باسم التعددية المس بصورة اسرائيل وسمعتها وكونها دولة يهودية وديموقراطية" !!

وهل في قرارها ضد مسرح الميدان ديموقراطية أم "تخويف للمؤلفين والمخـــرجين والمنتجين"؟؟ كما قال البروفسور المحاضر في موضوع السينما عنار برمنغر، أم بداية لما هو أسوأ، وهو طمس الفن العربي ومعه الهوية الفلسطينية وفرض الرؤية المريحة للمؤسسة الحاكمة"؟؟ كما قال فنانون فلسطينيون. وردّت الوزيرة قائلة: "إذا وجدت مسرحاً في اسرائيل يعاديها فإنني لن أتدخل معه ولن أسأله. كل ما سأفعله هو أن أحجب عنه أموال الشعب. فلا يعقل أن يموّل المواطنون مسرحاً يمجّد إرهابيين فلسطنيين" ؟؟

أما الوزير بينيت فقد عين رئيساً جديداً للجنة موضوع تعليم المدنيات (العلوم السياسية) في المدارس يحمل آراء متطرفة ولا يعتبر الفلسطينيين شعباً ذوي حقوق ولا يرى أنهم يستحقون الحصول على دولة. وهذا الرئيس هو أساف ملاميد الذي أكد أكثر من مرة أنه "ليـــس كل شعب يستحق دولة"!! وإقامة دولة فلسطينية ستخلق خياراً ملموساً لتواصل متزمت يمتد من ايران وحتى السامرة ويعتبر مراهنة على تقويض الاستقرار الاقليمي ويشكل خطـــراً على الاستقرار العالمي"!! ويعتبر أن "إمكانية حدوث نمو اقتصادي في دولة كهذه منخفض ومخاطر اندلاع حرب أهلية فيها عالية جداً. وفي ظل وضع كهذا يتقوّض الحق الأخلاقي للفلسطينيين بالحصول على دولة" !! مؤكداً الالتزام الثابت بالدولة القومية اليهودية.

هكذا واستناداً الى تحليل وتوقعات يتقوّض الحق الأخلاقي للفلسطينيين باقامة دولة على أرضهم لأنه ثمة "حقاً إلهياً" أعطي لهذا العنصري وغيره لاحتلال واغتصاب أرض الآخرين وإرهابهم !!

إنها حرب عنصرية بكل ما للكلمة من معنى وإرهاب يشكل جانباً من إرهاب الدولة المنظم الذي تمارسه اسرائيل. حرب على العقل والفكر والإبداع والفن والذاكرة والموروث الثقافي لشعب بكل أجياله!! مسرح الميدان الفلسطيني يجب أن يقفل لأن فنانين مبدعين مدافعين عن الحق، ممثلين مسرحيين ومخرجين ومنتجين يقدمون ابداعهم عليه يجب أن يقفل نهائياً!! لأن اسرائيل هي الدولة الديموقراطية الوحيدة في المنطقة وهذا هوتعريفها للديموقراطية وتفسيرها لممارستها !!

المسرح الوحيد المقبول والمسموح فتحه باستمرار هو مسرح الدم. دم الفلسطينيين المسفوك. مسرح القتل والإجرام الاحتلال والإرهاب والتجويع والأسر. لا مكان هناك لحرية التفكير والمعتقد والتعبير والضمير والإبداع والتمثيل. هذه حرية ممنوعة أيها الفلسطينيون. أما الحرية التي لا حدود لها ولا رقابة عليها فهي حرية إبداع الاسرائيليين في قتلكم ودفن موروثكم وتعطيل ذاكرتكم والتمثيل بجثثكم وتجويعكم وسرقة الأعضاء من أجساد أسراكم، وإهانة أمهاتكم !!

هذه هي الثقافة الاسرائيلية والعلوم الاسرائيلية في دولة الديموقراطية الوحيدة في المنطقة. ثقافة الحقد والعنصرية وعلوم القتل ومصادرة العقول وإعدام المواهب والموهوبين والعلم والعلماء لدى الفلسطينيين!! إنها حرب لنزع شرعية الوجود الفلسطيني والحق الفلسطيني والتاريخ والتراث الفلسطينيين.

ماذا لو حصل شيء من هذا القبيل في دولة عربية أو إسلامية ماذا تقول أميركا التي تريد محاربة التطرف والإرهاب؟؟ أليس هذا إرهاباً بامتياز تمارسه دولة على مستوى مراكز قراراتها الأساسية؟؟
ماذا سيولّد هذا الإرهاب؟؟
أين الموقف الأميركي الداعي الى تطوير البرامج التربوية والتعليمية في عدد من الدول العربية والاسلامية وهي مسألة ضرورية ، من هذه البرامج الاسرائيلية ؟؟

إنها حرب اسرائيلية مفتوحة على المسرح الفلسطيني وتباركها أميركا !!❑❑

في ورشة المنامة الصمود الفلسطيني على المحك

❑ مشروع التسوية الأمريكي الجديد والمُسمى صفقة القرن ينبني على اعتقاد أن كل المقاومات السابقة لإسرائيل وللتسوية الامريكية قد انهارت وأن الفلسطينيين لم يعودوا قادرين على الصمود، وهو اعتقاد سيكتشف الأمريكيون أنه في غير محله ،ومؤتمر المنامة بكل اغراءاته الاقتصادية لن يحقق ما فشلت فيه إسرائيل بالإرهاب والسلاح.

مشروع التسوية الجديد يثير ضجيجا أكبر وتخوفات أكثر من كل مشاريع التسوية الأمريكية السابقة ليس لأن الفلسطينيين باتوا جاهزين للخضوع والتسليم بالأمر الواقع بل لأسباب أخرى ،منها ارتباطه بشخص الرئيس الأمريكي ترامب المثير بذاته للجدل والذي يهوى الضجيج والإثارة الإعلامية، ولأن كثيرا من بنود الصفقة تم تنفيذه بالفعل على أرض الواقع وستكون ورشة البحرين -إن عُقدت في موعدها - كاشفة للصفقة وليس مؤسسة لها، هذه عوامل موجودة وتؤخَذ بعين الاعتبار ولا شك ،ولكن السبب الأهم في رأينا الذي شجع ترامب هو حالة الضعف والاستلاب والخنوع عند دول عربية وخصوصا خليجية تبتزها واشنطن بالخطر الإيراني وبإثارة الفوضى داخليا، وهي حالة جعلت الإدارة الامريكية تعتقد بأن هذه الدول مستعدة ليس فقط للتخلي عن مسؤوليتها القومية تجاه الشعب الفلسطيني بل المشاركة الفعلية في تصفية القضية الفلسطينية من خلال التمويل المالي للصفقة وهو التمويل الذي بدونه لن تنجح الصفقة.

الفلسطينيون اليوم وبالرغم من أن وضعهم الداخلي اليوم هو الأكثر ضعفا من أية مرحلة سابقة إلا أنهم لن يتنازلوا أو يتخلوا عن حقوقهم المشروعة، نقطة الضعف الآن في القضية الفلسطينية تكمن في الموقف الرسمي العربي الرخو بل والمتآمر والذي انقلب حتى على المبادرة العربية للسلام ،حيث المشاركة في ورشة المنامة معناه التخلي عن المبادرة وترك الفلسطينيين وحيدين في الميدان في مواجهة إسرائيل والإدارة الامريكية الأكثر تطرفا وصهيونية من الصهيونية ذاتها .

فعندما تُساق دول عربية كبرى وخصوصا خليجية بالإكراه وتحت التهديد إلى مؤتمر البحرين فهذا معناه ليس فقط أنها موافقة على الصفقة الأمريكية بل وستضطر لتمويلها، ولا تغرنا مزاعم هذه الدول التي تقول بأنها تشارك من أجل دعم الفلسطينيين اقتصاديا، ذلك أن المال المرصود في الصفقة لن تسمح واشنطن للدول العربية بتقديمه للفلسطينيين إلا إذا التزم هؤلاء بكل عناصر الصفقة الاقتصادية والسياسية.

كم هي باهتة وسخيفة مزاعم الدول ورجال الاعمال الذين سيشاركون في مؤتمر المنامة، فلو كان المشاركون صادقين في مزاعمهم بدعم الفلسطينيين لكانوا قدموا هذه الأموال مباشرة للفلسطينيين قبل المؤتمر ،وقد ناشدهم الرئيس أبو مازن أكثر من مرة، وآخرها في مؤتمر وزراء الخارجية في أبريل الماضي، بتفعيل شبكة الأمان المالي وخصوصا بعد الحصار المالي الذي فرضته إسرائيل وواشنطن على السلطة الوطنية أخيرا بهدف ابتزازها والضغط عليها للتساوق من صفقة القرن.

بالرغم من كون الحالة الفلسطينية منقسمة وضعيفة إلا أن تعاطيها الإيجابي المُعلن مع الصفقة غير وارد حيث الجميع رسميا وشعبيا يرفضها، إلا أن الخشية تتأتى من التعاطي السلبي بمعنى الرفض العلني دون استراتيجية أو موقف موحَد لكيفية مواجهتها وتعطيلها، أيضا الصفقة لن تنجح إن كان هدفها حل الصراع لأن الحل يحتاج لموافقة الشعب الفلسطيني ،ولكنها قد تحقق درجة من التقدم إن كان هدفها إعادة تدوير فكر ونهج المفاوضات لإدارة الصراع وكسب الوقت وخصوصا أن الصفقة مشفوعة بإغراءات مالية قد تبدو مغرية في ظل الوضع الاقتصادي السيئ الذي تم افتعاله بداية في غزة ثم في الضفة الغربية.

وفي هذا السياق، فإذا كان حصار غزة وما نتج عنه من فقر وجوع وبطالة والحصار المالي للسلطة في رام الله من خلال منع أموال المقاصة وقطع واشنطن مساعداتها للسلطة وتردد العرب في تفعيل شبكة الأمان المالي ،إذا كانت هذه الإجراءات شجعت ترامب على طرح صفقة القرن وخصوصا في شقها الاقتصادي، فإن الرقم الصعب الفلسطيني يتمثل في ثبات صمود الفلسطينيين أمام الإغراء الاقتصادي تحت ضغط حاجة الشعب وضغط دول عربية ذات شأن.

د. إبراهيم أبراش
فلسطين

لا نشكك بموقف القيادة الفلسطينية وكل القوى الوطنية، ولكن، أي أموال ترِد الآن للسلطتين – مثلا مبلغ 480 مليون دولار التي وعدت قطر بتقديمها للسلطتين - قد تكون دفعة على الحساب من عشرات المليارات المخصصة لصفقة القرن في شقها الاقتصادي، الأمر الذي يضع على المحك ثبات مواقف السلطتين في غزة والضفة في رفضهما الصفقة وخصوصا في شقها الاقتصادي !!.

وأخيرا وبالرغم من التهويل والتضخيم الإعلامي والابتزاز السياسي والمالي إلا أنه في الإمكان تعطيل الصفقة ورفع الغطاء عنها ،عربيا بعدم مشاركة أكبر عدد من الدول العربية في مؤتمر البحرين، وفلسطينيا استمرار الرفض المشفوع بمصالحة وطنية عاجلة، ونحن على يقين باستحالة نجاح أية تسوية دون مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد، وسيبقى الفلسطينيون الرقم الصعب لأنه لا يمكن لأي مشروع تسوية أن يتجاوزهم ولا يمكن لأية دولة عربية أو كلها مجتمعة أن تتجاوزهم، ولو كان في الإمكان حدوث ذلك لتم تصفية القضية منذ عقود ❑❑

إسرائيل تعترف ياسر عرفات كان فعلاً بسبعة أرواح

❑ نشر الصحفي والمحلل العسكري الإسرائيلي رونين بيرغمان مقالاً له في صحيفة نيويورك تايمز الأميركية، تناول فيه خطة إسرائيل عام 1982 لاغتيال الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، والمبني على كتاب " Rise and Kill First: The Secret History of Israel's Targeted Assassinations" المنتظر نشره في شهر يناير/كانون الثاني 2018.

ويسرد الكاتب ما حصل ظُهر يوم 23 أكتوبر/تشرين الأول 1982، قائلاً: التقطت رادارات طائرات الـ(إف-15) أزيز طائرة النقل من طراز (دي إتش سي-5 بافالو)، على بُعد 370 ميلاً داخل المجال الجوي للبحر المتوسط. اقتربت الطائرات المقاتلة بسرعةٍ شديدة، وقرأ الطيَّارون الأرقام المدونة على ذيل الطائرة، ورأوا العلامات الزرقاء والبُنية. كانوا واثقين بعثورهم على الطائرة الصحيحة.

التقط الطيار الرئيسي مذياعه، وسأل: "هل لدينا إذنٌ بالاشتباك؟".

داخل غرفة القيادة والتحكم الرئيسية للقوات الجوية الإسرائيلية التي تحمل الاسم الحركي "كناري"، وعلى عمقٍ كبيرٍ تحت الأرض بمنتصف تل أبيب، دوَّى سؤال الطيار في مكبرات الصوت. واتجهت الأبصار صوب الضابط المسؤول. توقَّع الجميع أمراً بإطلاق النيران، لكنَّ القائد الأعلى للقوات الجوية، اللواء ديفيد أيفري، كان متردداً، رُغم ما كان يُعرَف عنه بكونه رجلاً حاسماً.

فريق الكاتب
لبنان

كان يعلم أنَّ مقاتليه لديهم كل ما يحتاجونه: لقد تعرفوا بصرياً على الهدف، ولديهم الفرصة لتوجيه ضربة للطائرة وإصابتها في السماء المفتوحة فوق المحيط. والأمر بإطلاق النار على الطائرة والراكب الذي تحمله، أتى من وزير الدفاع، أرييل شارون، شخصياً. ووظيفتهم -ومعهم أيفري- كانت إسقاط الأهداف، وليس اختيارها.

لكنَّ شكوك أيفري تغلبت عليه؛ إذ قال للطيار: "لا. أكرّر: لا تفتحوا النيران".

خطة اغتيال عرفات بالطائرة

بدأت هذه العملية العسكرية الهادفة إلى اغتيال ياسر عرفات، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وعدو دولة إسرائيل، في اليوم السابق بواسطة الموساد، وكالة الاستخبارات المدنية الإسرائيلية. وتلقت "تسوميت" -وحدة الموساد المسؤولة عن تجنيد وإدارة العملاء في الخارج- تقاريرَ من اثنين من مُخبريها داخل منظمة التحرير الفلسطينية، تؤكد أنَّ عرفات سيُغادر مطار أثينا في اليوم التالي، داخل طائرةٍ خاصة، متجهاً إلى القاهرة. وأرسلت "قيساريا" -وحدة الموساد المسؤولة عن عمليات الاغتيالات- اثنين من عملائها فوراً لجمع المزيد من المعلومات. ومُستغلين التراخي الأمني بمطار أثينا، نجح العميلان في انتظار عرفات داخل المنطقة التي تقف فيها الطائرات الخاصة.

وفي الوقت ذاته، كان شارون يضغط بشكلٍ مستمرٍ على الفريق رفائيل إيتان، رئيس هيئة أركان جيش الدفاع الإسرائيلي، لتنفيذ العملية. ووضعت القوات الجوية طيارتين من طراز "إف-15" في وضع الاستعداد للانطلاق فوراً من قاعدة تل نوف العسكرية. وأطلع أيفري الحَذِر الطيار الرئيسي بنفسه على تفاصيل المهمة. كان أيفري يُدرك المخاطر جيداً، وكان يعي حجم الكارثة التي ستقع في حال أسقطت إسرائيل الطائرة الخطأ. وقال للطيار: "لا تُطلق النار دون تأكيدٍ مني شخصياً. هل هذا واضح؟ حتى لو حدثت مشكلةٌ في التواصل أو لم تسمع الأمر مني" -وأكد الجزء الأخير: تسمع الأمر مني- "لا تُطلق النار".

وفي تمام الساعة 2:05 ظهراً، اتصل أحد عملاء "قيساريا" في أثينا بمقر قيادة الموساد. وقال بصوتٍ يضج بالإثارة: "إنَّه هنا. أؤكد تطابق هويته". وأبلغ أنَّه رأى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ورجاله يُجرون التجهيزات الأخيرة للصعود على متن الطائرة "دي إتش سي-5 بافالو" ذات الذيل الأزرق والعلامات البنية، وتحمل رقم التسجيل: 1169.

ويقول الكاتب الإسرائيلي إن الموساد نقل هذا التأكيد إلى كناري. لكنَّ شيئاً ما بدا مُقلقاً بالنسبة لأيفري رغم ذلك.

تأكيد هوية عرفات

وفي حديث للكاتب مع أيفري بعدها بسنوات، قال له وهو جالسٌ داخل جناحه التنفيذي المطل على تل أبيب حيث يعمل الآن رئيساً لشركة بوينغ في إسرائيل: "لم أفهم تلك القصة برمتها، ولم يكن من الواضح لي سبب طيران عرفات إلى القاهرة. فوفقاً لأجهزة الاستخبارات، ليس لديه ما يبحث عنه هناك في ذلك الوقت. وإذا كان متجهاً إلى هناك بالفعل، فلماذا داخل هذا النوع من طائرات النقل؟ فليس هذا مُوقراً بما فيه الكفاية بالنسبة لشخصٍ في مستواه. وطلبتُ وقتها من الموساد التأكد من كونه الرجل الصحيح".

وأصر عميلا "قيساريا" مُجدداً على أنَّه هو عرفات. وأبلغا: "الهدف تعمّد إطالة لحيته للتضليل". وأعاد الموساد تأكيد تطابق الهوية.

وفي تمام الساعة 4:30 عصراً، أبلغ العملاء عن إقلاع الطائرة. وتلقى أيفري الأمر الرسمي بالهاتف من إيتان: أسقطوا الطائرة. وأمر أيفري طياري الـ"إف-15" بالإقلاع. ولم يكن سيمضي وقتٌ طويل قبل أن تعترض الطائرتان المقاتلتان طائرة النقل البطيئة.

ومع اقتراب المقاتلات، استمرت الشكوك التي تساور أيفري. وطلب من مساعده الاتصال بالموساد مجدداً، وطلب تأكيداً ثانياً على أنَّ عرفات هو من يستقل الطائرة، وليس شخصاً آخر يُشبهه. ونادراً ما كان أيفري يُظهر مشاعره. لكن أحد مرؤوسيه الحاضرين في ذلك الوقت قال: "كان بمقدورنا أن نرى القلق الشديد بادياً على وجهه".

احتاج أيفري لمزيدٍ من الوقت، وكان يُدرك جيداً أنَّ الطيارين يُمكن أن يكونوا متحمسين بشدة، لدرجةٍ تدفعهم أحياناً للبحث عن أسبابٍ لإطلاق النيران على الهدف، أو تفسير إحدى الرسائل اللاسلكية غير الواضحة على أنَّها أمرٌ بالهجوم مثلاً. ولذا ذكَّر طياريه: "لا تُطلقوا النار. إذا لم يكن هناك اتصالٌ لا سلكي، فلا تفتحوا النيران".

واستمر إيتان في الاتصال؛ لمعرفة ما يجري، والحرص على تنفيذ أوامره بإسقاط الطائرة. ورغم تأكيد عملاء "قيساريا" مرتين أنَّ عرفات على متن الطائرة، أعطاه أيفري الرد نفسه في كل مرةٍ، مُستخدماً اسم إيتان الأول: "رفائيل، ليس لدينا تأكيدٌ إيجابي نهائي على أنه هو".

وعلى نحوٍ منفصل، قال أيفري لشعبة الاستخبارات العسكرية (المعروفة باسم آمان) والموساد، إنَّ التأكيد البصري ليس كافياً، وإنه طالب بتأكيدٍ آخر على وجود عرفات في الطائرة. وكان هذا عندما التقط الطيارون أزيز الرادار وطلبوا الإذن بالاشتباك.

30 طفلاً على متن الطائرة

ولم يكن بوسع أيفري المماطلة أكثر؛ إذ أُعطِيَ أمراً مُباشراً. وفي حال لم يُسقط الطائرة سريعاً، فسيتعين عليه شرح أسبابه لإيتان وشارون.

تعالت حدة التوتر. ومرت الدقائق ببطء.

وقبل 5 دقائق من تمام الساعة الخامسة، بعد إقلاع المقاتلات بـ25 دقيقة، ارتفع رنين الهاتف داخل كناري. وكان هذا صوت الخط المتصل مباشرةً بمقر قيادة الموساد. وجاء الصوت من الطرف الآخر مُحمَّلاً بالحرج: "ظهرت شكوكٌ جديدة". وكان لدى الموساد وقتها مصادرُ أخرى تؤكد أنَّ عرفات لم يكن بالقرب من اليونان على الإطلاق، وأنَّ الرجل الموجود بالطائرة يستحيل أن يكون عرفات.

ومع عدم صدور أوامر أخرى، استمرت طائرتا الـ"إف-15" في تتبع "البافالو". وكرر أيفري أوامره: "نحن بانتظار مزيدٍ من المعلومات. أبقوا أعينكم على الهدف وانتظروا".

وفي تمام الساعة 5:23 عصراً، وصل تقريرٌ آخر إلى كناري. وأشارت مصادر للموساد و"آمان" إلى أنَّ الرجل الموجود على متن الطائرة هو فتحي عرفات، شقيق ياسر الأصغر الذي يُشبهه، وهو طبيب أطفال ومؤسس جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني. وكان معه على متن الطائرة 30 طفلاً فلسطينياً مُصابين نجوا من المذبحة التي ارتكبتها الكتائب اللبنانية المسيحية المارونية في مخيمات اللاجئين بصبرا وشاتيلا في بيروت قبل شهر. ورافقهم فتحي عرفات إلى القاهرة ليحصلوا على العلاج الطبي اللازم.

إسرائيل أكثر الدول استخداماً لعمليات الاغتيال

تنفَّس أيفري الصعداء، وأصدر أوامره لطياريه: "عودوا أدراجكم، ستعودون إلى أرض الوطن".

ويتابع الكاتب مقاله: وكمراسلٍ في إسرائيل، أجريتُ لقاءاتٍ مع مئات الأشخاص العاملين في مؤسسات الاستخبارات والدفاع، ودرستُ آلاف الملفات السرية التي كشفت تاريخاً خفياً ومفاجئاً حتى في ظل سمعة إسرائيل المعروفة بالشراسة. واستشهد العديد من الأشخاص الذين تحدثتُ إليهم، في أثناء شرحهم أسباب ما فعلوه، بالتلمود البابلي: "إذا جاء شخصٌ لقتلك، فانهض واقتله أولاً".

وأضاف: وجدتُ في تحقيقاتي أنَّه منذ الحرب العالمية الثانية، استخدمت إسرائيل عمليات الاغتيال والقتل المستهدف، أكثر من أي دولةٍ أخرى في الغرب، ووصل بها الأمر في بعض الأحيان إلى تعريض حياة المدنيين للخطر. لكنَّني اكتشفتُ أيضاً تاريخاً طويلاً من الجدل الداخلي العميق –والمفعم بالغضب غالباً– حول كيفية الحفاظ على الدولة. هل يُمكن لدولةٍ أن تستخدم أساليب الإرهاب؟ هل يُمكن لها أن تؤذي المدنيين وسط عملياتها؟ ما هي التكاليف؟ وأين هو الخط الفاصل؟.

يرغب الناس في الحديث بشكلٍ متزايد. كانت المرة الأولى التي سمعتُ فيها عن أوامر شارون بإسقاط طائرة النقل التي تقلّ عرفات عام 1982، في أثناء حديثي عام 2011 مع ضابطٍ كبير داخل مقهى شمال تل أبيب. وصف الضابط كل شيءٍ بالتفصيل، لكنَّه وضع شرطاً عنيداً لنشر القصة: أن يقوم شخصٌ آخر بوصف الحدث رسمياً أيضاً. وفي تلك الحالة فقط يُمكنني نشر القصة. وذهبتُ لرؤية الشخص الآخر، وأنا أُدرك جيداً مدى صعوبة إقناعه بالحديث عن الواقعة. وتقربتُ إليه بطريقةٍ ملتوية قبل أن أدخل في صلب الموضوع. نظر لي الرجل نظرةً فولاذية، لكنَّه تلاها بتعبير رقيقٍ يحمل لمسة حزن على وجهه. وقال: "انتظرتُ أكثر من 30 عاماً أن يأتي شخصٌ ويسألني عن تلك القصة".

أول محاولة لاغتيال عرفات في ألمانيا عام 1965

لم يسبق لهدفٍ أن نجح في إعاقة واستفزاز وتضليل آلة الاغتيالات الإسرائيلية أكثر من ياسر عرفات، قائد منظمة التحرير الفلسطينية المحبوب الذي تُوفي عام 2004. أحياناً، تمكَّن من الهرب ببساطة، وأحياناً أخرى ألغى المسؤولون العملية لعدم تأكيد هوية الهدف، أو لأنَّهم رأوا التكلفة من أرواح المدنيين باهظة للغاية.

في الأعوام التي تلت تأسيس عرفات حركة فتح، أحد فصائل منظمة التحرير الفلسطينية عام 1959، اعتبره الموساد هو وأصدقاءه مجرد حفنة من الطلبة والمثقفين. وبحلول عام 1965، في أثناء تنفيذ "فتح" أولى العمليات ضد إسرائيل، طلب رافي إيتان، رئيس عمليات الموساد في أوروبا، (لا علاقة له برافائيل إيتان، الفريق بجيش الدفاع الإسرائيلي) من مائير عميت، مدير الموساد، أن يأمر "قيساريا" باقتحام شقةٍ يستخدمها عرفات كقاعدة عمليات في فرانكفورت وقتله. وكتب إلى عميت: "يُمكننا قتله بكل سهولة. يُمكننا الوصول إلى الهدف، وهذه فرصةٌ ربما لا نحصل عليها مجدداً". ووفقاً لإيتان، رفض عميت التوقيع على هذه المهمة. إذ لم يرَ المجموعة أكثر من مجرد عصابة من الشباب قُطاع الطرق. وقال لي إيتان بعدها بعقود: "من المؤسف أنَّهم لم يستمعوا لي. كنا سنوفر على أنفسنا الكثير من العناء والألم والأسف".

اغتيال عرفات كان الرأي السائد في أوساط الموساد

لكن في نهاية المطاف، انتصر موقف إيتان وساد؛ إذ أصبح اعتقاد أن اغتيال قائد منظمة التحرير الفلسطينية سيحلُّ الأزمة الفلسطينية بالكامل هو الرأي السائد في أوساط الاستخبارات الإسرائيلية أعواماً طويلة قادمة.

وفي بعض الأحيان، شملت الجهود تدخُّلاً عسكرياً مباشراً. فبعد حرب الأيام الستة مباشرةً، أطلق عرفات سلسلةً من عمليات حرب العصابات من القدس الشرقية والضفة الغربية. وبناءً على معلوماتٍ وصلتهم، اقتحم الجنود الإسرائيليون منزلاً كان يُقيم به، لكنَّهم وصلوا متأخرين بضع دقائق، ليجدوا طعامه ما زال ساخناً على الطاولة.

وكانت بعض الخطط الأخرى أكثر تفصيلاً؛ إذ استلهم الإسرائيليون فكرةً من فيلم The Manchurian Candidate، وقضوا 3 أشهر عام 1968 يُحاولون تحويل سجينٍ فلسطيني إلى قاتلٍ مُبرمج. وخلال 5 ساعاتٍ من إطلاق سراحه لتنفيذ المهمة، قام بتسليم نفسه للشرطة المحلية، وسلَّم مسدسه، وشرح كيف حاولت المخابرات الإسرائيلية غسل دماغه ليقتل عرفات.

ولم يتسبب فشل هذه المحاولات وغيرها في شعور إسرائيل بالحرج وحسب، لكنَّها ساهمت أيضاً في زيادة شعبية عرفات وهو يروي القصص عن معجزات هروبه.

وعلاوةً على كسب قلوب أبناء شعبه، بدأ عرفات أيضاً في تكوين صداقاتٍ مع العديد من الأشخاص النافذين بالخارج؛ إذ اعتبره إيريش هونيكر، قائد ألمانيا الشرقية، ثورياً حقيقياً مثل فيدل كاسترو، وأمدَّ جواسيسه الفلسطينيين بالمعلومات والأسلحة. وفي الوقت ذاته، تعهدته وكالة المخابرات المركزية الأميركية برعايتها من خلال قنواتٍ سرية، وهي الجهود التي حصدت الدعم على أعلى المستويات. ومع قرب نهاية السبعينيات، بدا عرفات بعيد المنال. وأصبح رئيس الدولة بحكم الأمر الواقع، وكان يحظى بدعمٍ عريض. واغتيال مثل هذا الرجل علنياً سيعني كسر كل أعراف العلاقات الدولية؛ وهو ما دفع الإسرائيليين إلى صرف النظر عن الأمر وهم يتميزون غيظاً.

أوامر بقتل جميع أعضاء منظمة التحرير

وبحلول عام 1979، تحول الوضع بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية إلى نمطٍ متكرر لا ينتهي من الضربات والضربات المضادة. ثُم تسببت حادثة قتلٍ مروعة في تأجيج التوتر أكثر. ففي 22 أبريل/نيسان 1979، رست مجموعةٌ من جبهة التحرير الفلسطينية -أحد فصائل منظمة التحرير الفلسطينية- مستخدمةً زورقاً مطاطياً على شاطئ نهاريا، وهي مدينة إسرائيلية تبعد 6 أميالٍ جنوب الحدود اللبنانية. وكان أحد أفرادها يُدعى سمير القنطار، وعمره وقتها 16 عاماً. وبعد محاولة اقتحام أحد المنازل وردعهم بطلقاتٍ نارية وقتلهم ضابط شرطة حاول القبض عليهم، اقتحم الرجال شقة إحدى الأسر، وأخذوا داني هران وابنته عينات (4 أعوام) رهائن. قاموا بعدها بجرهم إلى الشاطئ الذي حاصره الجنود وأفراد الشرطة، وحدث تبادلٌ لإطلاق النار. أطلق القنطار النار على داني، ثُم هشم رأس عينات بمؤخرة بندقيته حتى ماتت. بينما اختبأت سمادار، زوجة داني، داخل مساحةٍ ضيقةٍ في شقتهم مع ابنتها ياعيل، التي تبلغ من العمر عامين. وغطت فم رضيعتها بيدها لتمنعها من البكاء بصوتٍ عالٍ وتدل المهاجمين على مكانهما. وفي غمرة ذعرها، خنقت سمادار طفلتها بيدها.

ويقول الكاتب الإسرائيلي إنه في أعقاب أحداث نهاريا، أصدر رافئيل إيتان أمراً بسيطاً للقائد الميداني أفيغدور بن-غال: "اقتلهم جميعاً"، ويقصد هنا جميع أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية، وأي شخصٍ على صلةٍ بها في لبنان.

وبمباركة إيتان، عَيَّن بن-غال، مئير داغان، الرجل الذي يعتبره خبير جيش الدفاع الأول في العمليات الخاصة، لقيادة الجهود في جنوب لبنان. وأسس ثلاثتهم جبهة تحرير لبنان من الغرباء. وجرت المهمة بالكامل دون موافقةٍ أو علمٍ من الجيش أو وزارة الدفاع أو أجهزة الاستخبارات أو حتى الحكومة. (لم أتحدث مع إيتان الذي تُوفي عام 2004 عن أيٍ من هذه الأحداث).

خلق الفوضى بين الفلسطينيين والسوريين في لبنان دون ترك بصمة

وبين عام 1979 وأوائل عام 1983، كانت الجبهة قد قتلت مئات الأشخاص عند تفكيكها. وكان ديفيد عجمون، رئيس أركان القيادة الشمالية لجيش الدفاع الإسرائيلي وقتها، واحداً من القلائل المطلعين على عمليات داغان السرية. وقال: "كان الهدف وقتها خلق حالةٍ من الفوضى بين الفلسطينيين والسوريين في لبنان، دون ترك بصمةٍ إسرائيلية؛ لمنحهم شعوراً بأنَّهم تحت الهجوم دائماً وتغذية إحساسهم بانعدام الأمان". ولتنفيذ ذلك، قام داغان وفريقه بتجنيد مواطنين لبنانيين محليين: دروز ومسيحيين ومسلمين شيعة يكرهون الفلسطينيين، ويرغبون في خروجهم من لبنان.

وفي الخامس من أغسطس/آب 1981، قرر مناحم بيغن، رئيس الوزراء الإسرائيلي، تعيين أرييل شارون وزيراً للدفاع في إسرائيل. وحمل بيغن -أحد أبطال الحركة السرية التي سبقت تأسيس دولة إسرائيل- كثيراً من التقدير والإعجاب تجاه الجنرال السابق، ووصفه بأنَّه "قائدٌ مجيدٌ للجيوش"، لكنَّه كان قلقاً من عدم استعداد شارون لقبول سلطة رؤسائه عليه، لدرجة أنَّ أحد نواب بيغن صرح ضاحكاً قبل تعيينه بعامين: "شارون على استعداد لقصف الكنيست بالدبابات".

محاولة أخرى لاغتيال عرفات عام 1982

ورفع شارون الرهانات مبكراً؛ إذ جدَّد التركيز على عرفات ومنح الضوء الأخضر إلى بن-غال وداغان من أجل تنفيذ عمليةٍ ستُغير مسار تاريخ الشرق الأوسط حال نجاحها. كانت عملية أوليمبيا تقتضي من العملاء الإسرائيليين زراعة عددٍ هائل من القنابل تحت منصة كبار الزوار التي كانت تحت الإنشاء وقتها في استاد بيروت، حيثُ كان من المقرر أن تحتفل منظمة التحرير الفلسطينية بذكرى عمليتها الأولى داخل إسرائيل يوم 1 يناير/كانون الثاني 1982. وبضغطة زرٍ واحدة، سيتمكنون من تحقيق هدفهم بالقضاء على سائر القيادة الفلسطينية.

كان كل شيءٍ جاهزاً، بما في ذلك متفجراتٌ قوية موزعة بالفعل أسفل المنصة، بالإضافة إلى 3 عرباتٍ مفخخة متوقفة في الشوارع المحيطة بالاستاد، كان من المفترض أن تنفجر بعد دقيقةٍ من انفجار المنصة عندما يصل الهلع لأعلى درجاته ويحاول الناجون من الانفجار الأوليّ الهروب من موقع الحادث. وكان من المتوقع أن تصل معدلات القتل والدمار إلى "مستوياتٍ غير مسبوقةٍ، حتى بالنسبة للبنان"، وفقاً لتصريحات ضابطٍ رفيع المستوى في القيادة الشمالية. لكن مجموعةً من ضباط "آمان" القلقين، بالإضافة إلى نائب وزير الدفاع، توجهوا إلى بيغن وطالبوه بأن يأمر داغان بإلغاء العملية. ويتذكر أحد الضباط قوله لبيغن: "لا يُمكنك أن تقتل استاداً رياضياً بأكمله. سيطاردنا العالم كله بعد هذا!". وألغى بيغن العملية.

خطة شارون الخيالية

وقتها، كان شارون يعمل على مخططٍ أوسع نطاقاً. ففي 6 يونيو/حزيران، اقتحم جيش الدفاع الإسرائيلي الحدود صوب لبنان. وتقدم جيشٌ قوامه 76 ألف مقاتل و800 دبابة و1500 ناقلة جنود مدرعة باتجاه الشمال، وبدأ في غضون أسبوعين حصاراً وقصفاً مروعاً على أحياء بيروت الغربية. قدَّم شارون الحرب على أنَّها عملية توغل محدودة تهدف فقط إلى إزالة مدفعية منظمة التحرير الفلسطينية التي تهدد الإسرائيليين، لكنَّه كان يمتلك رؤيةً أكثر تطرفاً بكثير على أرض الواقع: أن تنجح القوات الإسرائيلية في احتلال لبنان ونفي الفلسطينيين إلى الأردن، حيثُ سيصبحون أغلبيةً يُمكنها تأسيس دولةٍ فلسطينية محل المملكة الهاشمية. وافترض شارون أنَّ هذا سيقضي على المطلب الفلسطيني بإقامة دولةٍ في الضفة الغربية، التي ستُصبح من ثم جزءاً من إسرائيل. وفي هذه الخطة الخيالية، كان هناك عنصرٌ محوري إضافي: قتل ياسر عرفات.

الأب المؤسس للدولة الفلسطينية

ولتحقيق هذا الهدف، تم تشكيل فرقة عمليات خاصة، تحمل الاسم الحركي "سالت فيش". وعيَّن شارون خبيريه في العمليات الخاصة داغان ورافي إيتان (الذي كان يعمل وقتها مستشاراً لوزير الدفاع في شؤون مكافحة الإرهاب) للإشراف على العملية. وقال داغان: "كنتُ أعتقد أنَّ القضاء عليه سيُغيّر مجرى التاريخ. لم يكن عرفات مجرد قائدٍ فلسطيني؛ بل أشبه بالأب المؤسس للدولة الفلسطينية. وقتله سيفتح الباب لعددٍ ضخم من الصراعات الداخلية داخل منظمة التحرير الفلسطينية، مما يُعيق قدرتها على اتخاذ أي قراراتٍ مصيرية مستقبلاً بشكلٍ كبير".

وتولى قيادة الفرقة المقدم عوزي دايان، الرئيس السابق لوحدة استطلاع هيئة الأركان

العامة الإسرائيلية (ماتكال)، نخبة كوماندوز الجيش الإسرائيلي. وتنصتت "آمان" على المكالمات الهاتفية في بيروت محاولةً تتبع تحركات عرفات. وكانت الضربة الجوية طريقتهم المفضلة للهجوم عليه. وقال دايان: "كانت مهمةً معقدة للغاية؛ إذ كان علينا جمع المعلومات من مصادر متنوعة لنعرف أي مبنى أو كهف هو الموقع الصحيح، من أجل أن نحدده على الخريطة ونقربه لأدق الإحداثيات، ثم نرسلها إلى القوات الجوية مع منحهم وقتاً كافياً لتصعد طائرة إلى السماء وتقصف الموقع".

وكان عرفات يُدرك أنها ليست مصادفةً أن تسقط القنابل باستمرار على المناطق التي يُوشك أن يدخلها أو يغادرها للتو؛ لذا استمر في تغيير عاداته اليومية. وخرج الفريق الذي بدأ يُصيبه الإحباط بخططٍ أكثر استفزازية.

وفي الثالث من يوليو/تموز 1982، عبّر أوري أفنيري، المحرر بإحدى المجلات اليسارية الإسرائيلية، الخط الأمامي في بيروت مع مراسلٍ ومصورٍ لإجراء لقاءٍ صحفي مع عرفات في قلب المدينة. أثار هذا اللقاء الكثير من الجدل في إسرائيل؛ إذ كان الكثيرون يرون عرفات بوصفه ألد أعداء البلاد، وكان هذا بمثابة أول لقاءٍ رسميٍ له مع الإسرائيليين. وقرر فريق سالت فيش أن يستغل هذه الفرصة بالسماح للصحفيين الثلاثة دون علمهم بقيادة فريقٍ من القتلة مباشرةً إلى عرفات. واندلع نقاشٌ حاد بين أعضاء فريق سالت فيش: هل من الصائب تعريض حياة مواطنين إسرائيليين للخطر وربما قتلهم؟ وكانت الإجابة التي توصلوا إليها، أنَّه من الصائب فعل ذلك. لكنَّ عرفات ساورته الشكوك بشأن مراقبة الموساد لأفنيري؛ لذا قام أفراد حراسته باتخاذ إجراءاتٍ مضادة مضللة شديدة الصرامة، وتاه فريق سالت فيش عن هدفه وسط أزقة جنوب بيروت.

كيف راوغهم عرفات؟

ومع مرور الأيام، كثف شارون ورفائيل إيتان الجنرال بجيش الدفاع الإسرائيلي ضغوطهما على القوات الجوية وفريق سالت فيش للقضاء على عرفات. ويقول أيفري: "كان هناك شعورٌ بأنَّ الأمر شخصي بالنسبة لشارون. واعتقدتُ أنَّ الأمر فوضوي، وفيه مخاطرة بإيذاء المدنيين". وشاركه عوزي دايان مخاوفه وقال: "لقد أُنقِذَت حياة عرفات بفضل شيئين: حظه السعيد الذي لا حدود له، وأنا".

كان دايان يرى في عرفات هدفاً شرعياً، لكن دون أن يعني ذلك قتل الكثير من المدنيين. وتابع دايان: "كان رافائيل يتميز غيظاً. ويتصل بي أحياناً ليقول: (تنامى إلى علمي امتلاكك معلوماتٍ عن هذا المكان أو ذاك، لماذا لم تُقلع الطائرات إلى السماء؟)، وأُجيب بأنَّ هذا مستحيل؛ لوجود العديد من الناس حوله. ليرد رفائيل: (لا تهتم لأمرهم، سأتحمل مسؤولية الأمر). لكنَّني لم أكن مستعداً للسماح بهذا. رفائيل لن يُعلّمني أخلاقيات الحرب".

وكان إيتان يُذكِّر دايان دائماً بأنَّه ليس من سلطاته تقرير إسقاط القنابل من عدمه. لكنَّ دايان رغم ذلك، وجد طريقته للمشاركة في صُنع القرار. وأوضح دايان: "كانت مهمتي أن أُبلغ إن كان الهدف جاهزاً من وجهة النظر الاستخباراتية. ومن هذا المنطلق، في كل مرةٍ كنا نعرف فيها أنَّ الانفجار سيؤدي إلى خسائرَ بشريةٍ هائلة، كنا نُبلغهم أنَّ الهدف ليس جاهزاً من الناحية الاستخباراتية".

وربما كان شعور إيتان بمقاومة قراراته هو الذي دفعه في وقتٍ من الأوقات، لأن يأخذ مزيداً من الإجراءات المباشرة. ففي مساء الرابع من أغسطس/آب، طلب إيتان من أفييم سيلا، قائد قطاع عمليات القوات الجوية، أن يأتي لرؤيته. وكانت علاقة الرجلين وطيدة؛ إذ كان إيتان مُعجباً بسيلا، الضابط الواعد والقائد المستقبلي المحتمل للقوات الجوية.

نجاة عرفات من الاغتيال مجدداً

حيّا إيتان، سيلا، وأخبره بأنَّه في اليوم التالي لن يعمل من كناري كالمعتاد؛ بل "سيسافر في رحلة".

تساءل سيلا: "هل هي مثل رحلتنا الأخيرة معاً؟"، مُشيراً إلى زيارتهم لبيروت في مايو/أيار إعداداً للاجتياح وعملية اغتيال عرفات.

وأجاب إيتان: "شيءٌ من هذا القبيل. لكن من الأعلى. قابلني غداً في حاتسور"، وهي قاعدةٌ جويةٌ عسكرية في الجنوب. وأضاف: "ستقود الطائرة، وأنا سأتولى التوجيه وتشغيل أنظمة القتال. سنقصف بيروت".

كان سيلا مقتنعاً بأنَّه لم يسمع بشكلٍ صحيح. وقال لي: "كان الأمر جنونياً! أصابتني الصدمة. إذا أخبرني شخصٌ ما بأنَّ رئيس الأركان، الذي لا يستقل الطائرات عادةً، سيمنح قائد قطاع عمليات القوات الجوية إجازةً في خضم الحرب لينطلقوا في رحلةٍ لقصف بيروت معاً، لم أكن لأصدقه".

وفي اليوم التالي، التقى الاثنان في حاتسور، وصعدا على متن طائرةٍ مقاتلة من طراز "إف-4"، وانطلقا مع 3 طائراتٍ أخرى في مهمةٍ تستهدف قصف مجمع مكاتب بغرب بيروت، حيثُ كان المفترض أن يحضر عرفات اجتماعاً وفقاً لعملاء سالت فيش. ويقول سيلا: "كان أداء رفائيل متذبذباً، وأعتقد أنَّه كان مريضاً بعض الشيء. وقمتُ بالتوجيه بنفسي. بينما قام هو بتشغيل أنظمة الذخيرة، التي كانت بدائيةً بالمصطلحات المعاصرة. قصفنا الهدف مرتين، ثم مرةً ثالثة؛ للتأكد من إصابته. كان رفائيل سعيداً للغاية، وانطلقنا عائدين إلى إسرائيل". لكنَّ عرفات نجا مجدداً نتيجة التوقيت: إذ سقطت القنابل قبل وصوله مباشرةً.

إصرار شارون على قتل عرفات

لكنَّ شارون لم يتراجع عن نيته قتل عرفات مطلقاً. فبعد انتهاء المعارك في بيروت وإجلاء قادة منظمة التحرير الفلسطينية وقواتها، كان شارون وإيتان "يتحرقان شوقاً لقتله"، وفقاً لعاموس جلبوع الذي كان آنذاك عميداً يشغل منصب رئيس قسم الأبحاث في "آمان".

لكنَّ فريق شارون وقتها، أدرك مع ذلك أنَّ الاغتيال العلني سيجعل من عرفات شهيداً. ورغم هذا، أصدر شارون الجَسُور أوامره لأجهزة الاستخبارات بإيجاد طريقةٍ أكثر براعة للتخلص من قائد منظمة التحرير الفلسطينية. وتحول اسم عملية سالت فيش إلى غولد فيش. لكنَّ مهمتها لم تتغير، وأمر شارون بأن تُمنح أولويةً قصوى. واجتمع فريق غولد فيش يومياً داخل مكتب جلبوع. ويسترجع جلبوع ذكرياته، قائلاً: "كان لدينا ألف أمرٍ آخر أهم مائة مرة. لكنَّ شارون كان مُصرّاً".

في الواقع، أصبح شارون أكثر تهوراً. وعندما أبلغ الموساد عن استقلال عرفات طائراتٍ تجارية في رحلاته تشتري فيها منظمة التحرير الفلسطينية جميع تذاكر قمرة الدرجة الأولى أو درجة رجال الأعمال له هو ومساعديه- قرر شارون أنَّ مثل تلك الرحلات تُعتبر أهدافاً شرعية. ورأى أنَّ الطائرة ستُقصف في البحر المفتوح بعيداً عن الساحل، حتى يستغرق المحققون وقتاً طويلاً للعثور على الحطام والتأكد مما إذا كانت قد أُصيبت بصاروخٍ أو تحطمت نتيجة فشل المحركات. وتُفضَّل المياه العميقة في هذه الحالة؛ لجعل عملية استعادة الحطام أكثر صعوبة. (ويقول عوديد شامير، معاون شارون في ذلك الوقت، إنَّ جميع الطائرات المستهدفة كانت طائراتٍ خاصة. لكن 3 على الأقل من الضباط الذين حضروا تلك الأحداث أخبروني بأنَّ بعض الأهداف شملت طائراتٍ تجارية).

ورسمت القوات الجوية خطةً مفصلة؛ إذ وجدوا بُقعةً فوق البحر المتوسط تمر فوقها الطائرات باستمرار، دون تغطية رادار من أي دولة، ويبلغ عُمق البحر تحتها 3 أميال، ما يجعل عملية انتشال الحُطام صعبةً للغاية وربما مستحيلة. لكنَّ تنفيذ الهجوم في هذه البقعة المثالية يعني أن الوقت المتاح قصيرٌ للغاية.

ولأنَّ العملية ستُنفذ بعيداً عن المجال الجوي الإسرائيلي والرادارات الإسرائيلية ومدى إرسالها، كان على القوات الجوية تأسيس مركز قيادة محمولٍ على متن طائرة "بوينغ 707" مجهزة برادار وأجهزة اتصال. وكان سيلا منوطاً به قيادة العملية من تلك الطائرة.

ووفقاً لأوامر شارون حينها، استمر وضع عرفات تحت المراقبة، مع وضع 4 طائرات "إف-15" و"إف-16" في حالة تأهب لاعتراض طائرة عرفات. وعلى مدار 9 أسابيع، من نوفمبر/تشرين الثاني 1982 وحتى أوائل يناير/كانون الثاني 1983، انطلقت تلك الطائرات 5 مراتٍ على الأقل، لاعتراض وتدمير طائراتٍ اعتُقِدَ أنَّها تحمل عرفات على متنها، لتعود أدراجها بعد مغادرتها بوقتٍ قصير دون جدوى.

وأعرب جلبوع عن معارضته الشديدة لتلك العمليات من وقتٍ لآخر. وأضاف: "كان من الواضح بالنسبة لي، أن القوات الجوية ستؤدي المهمة على أتم وجه. لكن كان منوطاً بي مسؤوليات إضافية"؛ إذ كانت وظيفة جلبوع أن يُقيّم التبعات السياسية والعسكرية والاقتصادية لكل عملية. وتابع: "أخبرتُ رئيس الأركان إيتان بأنَّ هذه العملية يُمكن أن تدمر الدولة عالمياً، إذا عُرِفَ أنَّنا أسقطنا طائرةً مدنية".

عرقلوا مهمة اغتياله مراراً

وفي كل مرة، حاول قادة القوات الجوية عمداً عرقلة المهمة، برفضهم الانصياع للأوامر، التي رأوا أنَّها غير قانونية بشكلٍ فج. ويقول سيلا: "عندما تلقينا الأمر، ذهبتُ لرؤية إيتان. وقلتُ له: (سيادة رئيس الأركان، نحن لا ننتوي تنفيذ هذا، وهو أمرٌ لن يحدث بكل بساطة، أتفهم أنَّ وزير الدفاع مسيطرٌ هنا ولا أحد يُمكنه الوقوف أمامه؛ لذلك سنجعل الأمر مستحيلاً من الناحية التقنية). ونظر إليّ رفائيل دون أن يقول شيئاً. واعتبرتُ صمته موافقةً ضمنية على ما قلته".

وفي مناسبةٍ أخرى، كانت هناك طائرةٌ تُجارية يُعتقد أنَّها تُقل عرفات من عمان إلى تونس فوق البحر المتوسط. وفي أثناء اقتراب الطائرات المقاتلة من الهدف، وجَّه إيتان سؤاله لجلبوع عما إذا كان يعتقد أنَّ هدفهم على متن الطائرة بشكلٍ مؤكد، بينما يقف الرجلان داخل الحجرة المركزية في كناري.

تسائل جلبوع: "سيادة رئيس الأركان، هل ترغب فعلاً في سماع رأيي؟". فأومأ إيتان برأسه موافقةً.

شعر جلبوع بقلبه يقفز في صدره. فراوغ، وشرح الأسباب كافة التي تؤيد وجود عرفات على متن الطائرة، ثم ذكر الأسباب العديدة للشك في وجوده على متن الطائرة.

ونفد صبر إيتان، فصرخ: "جلبوع. نعم أم لا؟". فأجاب جلبوع: "حدسي يقول إنَّه ليس على متن الطائرة". توجه إيتان إثر ذلك إلى الهاتف الأحمر الآمن في جانب الغرفة، وأخبر شارون بأنَّ العملية يجب أن تنتظر يوماً آخر.

وفي النهاية، عُرقِلَت خطط شارون لارتكاب جريمة حربٍ أخيراً، نتيجة انعدام ضميره في الماضي. فبعد ضغطٍ شديدٍ من الرأي العام الإسرائيلي وانتقاداتٍ دوليةٍ متزايدة، اضطر بيغن إلى فتح تحقيقٍ قضائيٍ في المذبحة التي وقعت بمخيمات اللاجئين ببيروت. واستقرت اللجنة على أن المسؤولية المباشرة عن ارتكاب المذبحة تقع على عاتق ميليشيا الكتائب، لكنَّها حكمت بأنَّ بعض الإسرائيليين -ومنهم شارون- يتحملون المسؤولية أيضاً؛ لسماحهم للكتائب بدخول المخيمات، مع علمهم أنَّها ستستغل الفرصة لارتكاب الفظائع. وأُجبِرَ شارون على تقديم استقالته من منصب وزير الدفاع.

نجا شارون بالطبع من هذه الضربة، وأصبح في عام 2001 رئيساً لوزراء إسرائيل. وتوصل إلى تفاهمٍ تدريجيٍ مع إدارة الرئيس الأميركي جورج بوش الابن، تدعم بموجبه الولايات المتحدة إسرائيل حتى مع شنها حملة واسعة من عمليات القتل المستهدف، كانت الأكبر في تاريخ البلاد.

وفي 22 مارس/آذار عام 2004، قصفت طائرةٌ مروحية إسرائيلية الشيخ أحمد ياسين في شوارع مدينة غزة. ياسين، هو مؤسس حركة حماس، ويُعتبر مثل عرفات زعيماً سياسياً ذا شهرةٍ عالمية. وفي 23 أبريل/نيسان، صرَّح شارون لمراسلٍ إسرائيليٍ بأنَّه لم يعد ملزماً باتفاقية عام 2001 مع بوش، قائلاً: "التزامي هذا لم يعد له وجود". وبعد أن طُلِبَ منه توضيح ما إذا كان يعني إيذاء عرفات، أجاب: "لا أعتقد أنَّ هذا الأمر يُمكن أن يكون أكثر وضوحاً".

ثم فجأةً، سقط عرفات، الرجل الذي نجح في مراوغة الموت مراتٍ عديدة، مستسلماً لعدوى غامضة أدت إلى سكتةٍ دماغية. وتُوفي في 11 نوفمبر/تشرين الثاني عام 2004، عن عمرٍ يُناهز 75 عاماً. وحتى يومنا هذا، تتضارب الآراء بين خبراء الطب الشرعي ورؤساء المختبرات الطبية حول سبب الوفاة وما إن كانت توجد آثار لمادة البولونيوم المُشعة التي سبق استخدامها في الاغتيالات على ملابس عرفات وفي رفاته. ونفى المتحدثون الرسميون الإسرائيليون أن تكون لإسرائيل أي علاقةٍ بوفاة عرفات ❑❑

FOSNA
FRIENDS of SABEEL NORTH AMERICA
A Christian Voice for Palestine

العثور على الذات ... اغتيال الدونية

❑ يغادرنا المبدع غاضبا ونتخلى عنه ونحتفظ بالمتخلفين عن ركب الابداع مما يعني اننا نحتفظ لأنفسنا بالتخلف ونهدي لأعدائنا او للغير على احسن تقدير كل مبدع وفاعل وقادر على الانتقال بذاته ومن حوله ولو بعض خطوة الى الامام فتجمع امريكا وأوروبا كل المبدعين وتقدم لهم كل المحفزات للإبداع والابتكار والانتقال الى الامام وهم معا يشكلون آلة تفريخ جماعية للإبداع لا يفوقه احد من البلدان التي تنكرت لأبنائها فتنكروا لها فالباقين على ارضهم هم العاجزين والمقهورين وقليلي الحيلة غير القادرين على الانتقال الى اي بديل للواقع الذي يعيشونه وبالتالي فان الفقر والجهل ينتج عادة التخلف الذي ينتج بدوره الديكتاتورية والحكم الاستبدادي المطلق فالأساس اذن في الوصول الى حالة التخلف يأتي من كبت الحريات ومنع الابداع والابتكار والتخلص من اولئك القادرين على فعل ذلك والإبقاء على اولئك القابلين بالخنوع والخضوع وتعظيم دورهم وتسليمهم مقاليد الحكم والإدارة لا لكفاءتهم وإنما لاستعدادهم المطلق في طاعة وتنفيذ وتنفيذ ارادة الديكتاتور وبطانته وهو ما يقود الى الاغراق في التخلف فحين تضع مسئولا جاهلا فتأكد انك ستجد مؤسسة من الجهلة فالمسئول الجاهل والمتخلف وغير المؤهل سيأتي لإدارة مؤسسته بمن هم اكثر منه جهلا وتخلفا وفسادا حتى يستطيع ان يسيطر عليهم.

التخلف اذن ظاهرة اصيلة في المجتمع العربي الذي قبل اولا بالتنازل عن الافضل من ابنائه لصالح غيره مع مواصلة اعتقاده الخاطئ بأنه الافضل ورفضه للتعاطي مع كل ما هو ايجابي لدى غيره وعزل نفسه عن ما حوله رافضا التأثر وفاقدا للقدرة على التأثير وهذا كما اسلفنا جاء في الاساس من القبول بتسلط الحاكم والتوقف عن البحث عن بدائل والحاكم هنا ليس فقط الرئيس او الملك او الامير بل كل حاكم بدءا من رب الاسرة مرورا برب العمل وانتهاء برأس الدولة مما يعني ان الادوار المتتالية التي يمر بها المواطن العربي منذ طفولته قائم على التعمية والارضاخ فالأب لا يقبل النقاش من الزوجة والأبناء والابن لا يقبل النقاش من الاخوات والأم والمدير لا يقبل النقاش من المعلمين او الموظفين الاقل درجة وهكذا اذن نجد ان الجميع يخضع للارضاخ ويقبل بالتسلط كنمط حياة فالحاكم اليوم كان خاضعا امس سواء في بيته او مدرسته وحتى خارج هذا النظام فان النظام العشائري ايضا يعطي السلطة للعشيرة الاكبر ويجعل العشائر الاصغر خاضعة.

وجود حاكم على راس السلطة يملك شخصية العربي المقموعة سيجعل منه نفسه قابلا للخنوع للأجنبي او المستعمر ويتحول تلقائيا الى اداة وألعوبة بيد المستعمر الخارجي ينفذ اوامره ومشاريعه على حساب نفسه وشعبه شاعرا بالدونية تجاه الاقوى وكل ما هو اقوى فهو نفسه تربى على الخنوع منذ ولادته وتعلم الخنوع للأب الخانع والمدير الخانع بمعنى ان سلسلة الخنوع اصيلة ومتجذرة ولن يغفر للغارقين بالخنوع جد قديم عظيم هناك او غيره.

حالة التخلف العربي قائمة اذن على نظام القهر والتسلط وبنظام دائري تتحرك خيوطه من خارجه فمكوناته جميعا قابلة بالخنوع والرضوخ للتسلط وصاحبه ايا كان فالكل خانع لغيره ويمارس التسلط على غيره في الاسرة والعمل والشارع والنظام السياسي والاقتصادي برمته وعادة ما تفرز حالة التخلف هذه حالة الاحباط وتولد القناعة بانعدام القدرة على الانعتاق حد رفض هذا الانعتاق والبحث عن متسلط جديد لا نظام جديد وبنية جديدة, وتجربة ما يسمى بالربيع العربي والتي جاءت على شكل سعي تدميري للذات لا سعي للثورة بمعناها الشامل ولذا لم تأت ثورات الربيع هذا بأي تغيير جذري حقيقي فلم يتغير شيء لسبب بسيط ان لا برنامج جماعي للثورة ولا ادوات منظمة مستقلة مالكة لمشروع سياسي اجتماعي اقتصادي وقد ساد شعار ارحل على كل ثورات الربيع العربي وكان الهدف فقط هو استبدال الكرباج بكرباج والحاكم المتسلط بآخر مما وصل بالحال حد التدمير الذاتي في دول مثل ليبيا واليمن وجعل من طالبي التغيير ادوات خائنة مدمرة لبلادها بيد المتسلط الاجنبي كما هو الحال في العراق وسوريا.

نظام التسلط اذن في المجتمع العربي نظام دائري ومعقد فالكل متسلط والكل خاضع للتسلط ففي الاسرة الاب متسلط على الجميع وفي غيابه تتسلط الام على بناتها والذكور الصغار والأخ الاكبر يتسلط على الجميع وهذا ينتقل بنا كما اشرنا الى خارج الاسرة لتتواصل حالة التسلط والخنوع القائمة على الانانية الفردية القائمة على ابتكار حالة تسلط خاصة بالذات للتقليل من أثر حالة التسلط الممارسة عليه عبر تقليدها أو الامعان بزيادتها أكثر فأكثر على من هم ادنى منه قوة اجتماعية او اقتصادية او سياسية او حتى جسدية.

ولكي يبرر لذاته قبوله بالتسلط الواقع عليه تجده يخترع لذاته اسبابا ومبررات نظرية وعملية فهو يهرب مثلا الى الماضي ليمسك بأي حكاية مضيئة في تاريخه حتى لو شكلت النموذج الاكثر تخلفا مقارنة بالواقع إلا انه يجعل من مكانتها في عصرها حالة خاصة به توحده مع المتسلط ويضع نفسه مع قاهره في سلة واحدة وطنية او قومية او دينية او حتى عشائرية بنظام ابوي لا فكاك منه وهذا يفرز ايضا ثقافة خنوع وفي احسن احوالها ثقافة اتقان التعبير عن الوجع فتجد معظم الاغاني العربية قائمة على الالم والحزن والشكوى واللوعة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا لتتحول بذلك الثقافة الى مورفين يساعد المقهور على ادمان قهره حد عشقه والقبول به وعشق قاهره ولو في سره من باب الاعجاب به والرغبة في تقليده حيث امكن ذلك والاكتفاء بالغيبيات والشكوى واعتبار الدعاء مثلا اسقاطا لواجبه تجاه تحرير ذاته او بلده فالعرب هم اكثر الامم اتقانا للدعاء على الادعاء بدءا من اعداء الفرد وانتهاء بأعداء الوطن والأمة فالزوجة تدعو الله ان ينتقم من الزوج والزوج يدعو الله ان ينتقم له من مديره والآخر من رئيسه وصولا للحاكم الذي يدعو الله ان ينتقم له من المتسلطين عليه من الاعداء الخارجيين متمنيا ان يستجيب له الله فيصحو ذات يوم فلا يجدهم دون ان يفعل في سبيل ذلك شيئا على الاطلاق خشية بطش قاهره وسيده الذي يتحول طبعا الى مشغل ويتحول الحاكم الى شغيل لقهر لشعبه لصالح مشغله ونعود الى نفس الدائرة التي يتحكم بها الاجنبي بأصابعه من الخارج فيدوخ من يتحكمون بها منهكين خانعين وتجري كل الامور لصالحه بينما تتحول كل مكونات الدائرة وما يملكون الى دقيق لخبزه واذا فشل الفساد والخنوع او لم يتمكنا من الفرد لسبب علمه او قدراته فهو ينجو بنفسه بالانتساب الى امة اخرى حتى لو كانت امة معادية لامته التي تنكرت لعلمه وممتلكاته بحيث يبح لا يملك سواها ولا يجد بدا من بيعها لأولئك الاعداء مقابل الحرية والأمن والخبز التي افتقدها في وطنه الام.

حالة القهر والتخلف الناجمة عنها تولد الانانية والانزواء فكل مقهور يبحث عمن يحميه فيبدأ بالتقوقع على نفسه باحثا عن الجماعة الاقرب والأكثر شبها به فتكون الاسرة والعشيرة علما انه نفسه يمارس القمع بحق اعضاء هذه الجماعة وهو ما يفرقنا عن يرنا من الامم التي تتوحد بناء على المصلحة الجماعية فيتوحد الناس في نقابات وجمعيات كأشخاص متساوين بالقدرة والمصلحة فحين يتوحد العمال في نقابة ما مثلا فإنهم يتوحدون بنفس الصفة والمصلحة فجميعهم اذن لهم نفس المصلحة ويخضعون لنفس الظلم ولا احد فيهم يخضع لغيره بعكس العقد العشائري القائم ايضا على سلطة الاكبر والأقوى الذي يملك بنفسه لنفسه سن القوانين وتنفيذها في ان معا بدون حق الاعتراض لأعضاء هذه الجماعة وكذا بعكس العقد الطائفي او المذهبي القائم على تقديس صاحب المعرفة او المشرع او المفسر والذي يجعل من قناعاته قانونا ملزما ومقدسا للآخرين حد الوصول بهم الى تقديس شخصه.

عدنان الصباح
فلسطين

يشترط لكي يستطيع التسلط أن يسود ويفرض نفسه توفر الجهل وغياب المعرفة وانعدام القدرة على الوصول اليها كما هو الحال في عصور الظلام لكن عالم ثورة الاتصالات واقتصاد المعرفة جعل من هذا الشرط غير قابل للتحقيق ووفرت الاختراعات العصرية ادوات للتواصل والوصول الى المعرفة يصعب السيطرة عليها وهو ما جعل حال المتخلف الخاضع الذي يمارس سلطاته على من هم اقل منه في حال يرثى لها فالأب الجاهل المحافظ الذي يمنع ابنته من النظر الى الرجال ولو من الشباك يترك بين يديها جهاز اتصال ينقلها الى اي مكان شاءت على وجه الارض صوتا وصورة كما ينقل لها ايضا كل جهات الارض وبالتالي فالذي يجري هو حالة من ازدواجية الشخصية او الانفصام بحيث يتشكل لدينا شخص علني يتناقض كليا مع الشخص الكامن في داخله فهو في العلن ملزم على تقديم نفسه كما تريدها جماعته ويفعل غيره نفس الشيء وفي الخفاء يكون كما يريد بمعنى تناقض حاد بين السلوك العلني والقناعات الكامنة والسلوك في الخفاء بحيث يتشكل لدينا مجتمع قائم على الكذب بكل شيء وبكل ما تعني الكلمة من معنى وحين يصبح الجميع مقتنعين بكذب الجميع والجميع يمارس ما يخالف قناعاتهم بما يصل احيانا ان يتناقش اثنان فيما بينهم بما هو صحيح وينقدون ما هو قائم ثم حين يغادرون مجلسهم يقبلون من بعضهم السلوك المخالف لما اعلنوه لبعضهم معا بما يعني الشرعنة المطلقة للذات والآخرين لممارسة الكذب علنا في كل شيء.

التسلط والتخلف والقهر الناجمان عن بعضهما يقودان اذن الجميع الى العودة الى الذات الاقرب والتي قد تكون الاسرة او العشيرة او الطائفة بهدف تحقيق اقصى امان ذاتي ممكن وأقصى مصلحة ذاتية ممكنة وبالتالي فأنت ستهرب من سطوة الحاكم الى سطوة العشيرة او الطائفة او سطوة الاقوى في العشيرة او الطائفة والذي بدوره سيتحول الى سيف اخر على رقبتك لتحقيق مصالحه ومصالح الاقرب اليه وهكذا ندور في دوامة لا نهاية لها ابدا.

التخلف والجهل والفقر والخضوع يفرخون امراض كثيرة وغير محدودة كمرض التبعية للأقوى او الاعلى او الاكثر معرفة او الاكثر بطشا محليا كان ام خارجيا بما يجعل المقموع مريضا بكل اشكال الامراض الاجتماعية ويجعله دائم البحث عن ما يخرجه من الحالة الدونية التي يعيشها فإما ان ينزوي بعيدا بما يجعل منه غير ذي صلة بأي شيء او يقبل بان يصبح اداة الاقوى الاشد على ابناء جلدته او يسعى للظهور بالتباهي الكاذب بالمظاهر المدمرة لصاحبها ومجتمعه فمثلا ظهور ظاهرة التبذير والإسراف في المظاهر الاجتماعية كالمأكل والملبس بحيث يجري هدر جزء كبير من الثروة الوطنية للبلد وناسها على مظاهر كاذبة لا تغني ولا تسمن من جوع.

حالة التخلف والدونية التي يعيشها الفرد او المجتمع ستدفع به الى ايجاد شماعة ليعلق عليها سكوته وضعفه والأسباب التي اوصلته الى ما هو عليه فتجد العلماني يتهم الديني والديني يتهم العلماني والعشائري يتهم المدني " صاحب فكرة الدولة المدنية " والمدني يتهم العشائري والطائفي يتهم الطائفة الاخرى والمتزمت يتهم المفرط والديمقراطي يتهم العنصري بما يعني اتهامات واتهامات للذات الاخرى تصل حد تقديس الذات الانا بحيث يصبح كل ما عدا أناك مجرم وتصبح مهمتك انقاذ أناك الفردية ايا كانت الاضرار التي ستلحق بأي اخرين ايا كانوا وحين تسود فردية الانا الذاتية تصبح الانا الجماعية في عداد الموتى ويستطيع الجهل والعصبية ان يفعلا فعلهما في الوصول لحالة القبول والخنوع للقهر والتسلط ايا كانت الجهة التي تمارسهما.

التسلط والتخلف يمنعان الشعوب من كل اشكال الابتكار والإبداع وكذا التخطيط الواعي المدرك والقدرة على الاستثمار والتطوير والتنمية ويغرق المجتمع بتخبط بكل شي فمن اقتصاد المنزل البسيط الذي يصرف مثلا في رمضان اضعافا مضاعفة عن حاجته فيشتري مثلا كيلوا غرام من اللحم لشخصين كل الانظمة الصحية تقول ان 160 غرام على ابعد تقدير هو ما يحتاجانه معا ثم يأكلانه ضررا او يلقيان بما يتبقى في حاوية النفايات في حين يشتري الغربي اللحم بالغرامات والفواكه في الحبة او اجزاء الحبة كما هو الحال مع البطيخ فيأكل ما يكفيه ويوجه باقي نقوده لما هو مفيد في حين يصرف العرب على بطونهم ناي اكل الاخضر واليابس ولا يعرفون شيئا عن القراءة ولا البحث العلمي ولا التطوير ولا التأهيل المهني والتقني فيبقى المهني فاشلا فيعمل في التجارة ما لا يعرف شيئا عنها إلا من اشتعل عند تاجر اخر فينشغل بالغش قبل ان ينشغل بالنجاح ثم يبني بيتا يتسع للعشرات فلا يستطيع القيام بواجباته فيتحول الى سجن وبيت للأشباح وسيارات قبل ان يهتم بتطوير صناعته او تجارته بل يتحول الى فهلوي ولص وغشاش لتحقيق الربح بسبب جهله واستعرضيته التي تغطي دونيته كما يعتقد وهذا ايضا ينسحب على المؤسسة والحكم فلا خطط ولا مهام ولا تطوير بحيث تصبح السلطة مصدرا للثروة عبر النهب والتخريب في حين ان الثروة هي مصدر السلطة عند الامم التي تحترم ذاتها وتعيش بنظام مدني ديمقراطي قائم على قوانين المواطنة والدولة المدنية ودولة المؤسسات لا دولة " حارة كل من ايده اله " بحيث نسفلت شارع اليوم نحفره غدا ونبني دورا للعبادة طمعا في العفو الالهي عن الجرائم ولا نكترث ببناء مدرسة واحدة لتعليم ابناءنا وبناتنا فقد تجد في قرية صغيرة عدد مساجد يزورها عدد قليل من المصلين مع ان الصلاة جائزة حتى في الشارع واكتظاظ شديد في المدارس او مدارس بدون مكتبات ولا مختبرات ولا وسائل تعليمية ولا ظروف صحية وتجد شوارع تباهي اوروبا في العاصمة مقابل طرق مدمرة في الضواحي والأماكن النائية وهذا ايضا ينتج مواطن عالة يريد من الدولة ان تطعمه وتسقيه ولا يريد ان يعمل ... يريد من الدولة ان تقيم له الشوارع والمدارس والمستشفيات دون ان يشارك إلا بسرقة مستحقات الدولة من ضرائب ورسوم وغيرها وهو يبرر سرقته بفساد الجميع وان ما سيدفعه ستتم سرقته من الحاكمين وهو قطعا اضعف من ان يدفع ثم يسعى لمراقبة امواله التي يدفعها مطالبا بحقوقه وحتى نواب الشعب المنتخبين يتحولون فورا الى ممثلين للسلطان لا للشعب ويسائلون الشعب لصالح السلطان وليس العكس ويهتمون برواتبهم وامتيازاتهم التي يسرف بمنحها لهم السلطان لإفسادهم ويتحولون عالة على الشعب لا اداته لتقويم السلطة والسلطان ❑❑

المثقفون العرب أمام امتحان السياسة

❑ كارثة أن تفكر الأمة من قفاها تاركة دماغها منتجعاً لأبخرة متصاعدة من معدة مليئة بالهامبرغر والدجاج المقلي على الطريقة الأميركية. التحالف القومي الديني (البعثي الوهابي) منع كل أدوات التفكير. ليس أن مراكز البحث ممنوعة، والخوض في غير مواضيع يقررها الرقيب ممنوعة؛ المطلوب أن يفكر الإنسان كما يُرسم له. ومن يرسم التفكير العربي هم قوم من المخابرات الجهلة الأميين السفلة الذين يتمتعون بأدمغة صغيرة الحجم ورؤوس فارغة وأصوات لا يفهمها إلا من يريد إهانة نفسه.

مراكز البحوث ممنوعة، مراكز التفكير معدومة. الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى يُملى عليها. حتى في أكثر البلدان العربية ديمقراطية لا يمر وقت إلا وتداهم صحيفة أو محطة تلفزيون أو يُحال إعلامي الى المحكمة. إعلامنا يخلو من "الصحافة الاستقصائية". الأخبار هي عادة ما يصدر عن السلطة من دون أسئلة كثيرة حول صحتها. خريجو كليات الإعلام لا يكادون يجيدون اللغة التي يكتبون بها. حلقات النقاش التلفزيونية تعلوفيها الأصوات على مادة النقاش.

كتب التجديف أو التشكيك بالتاريخ الرسمي تصدر من الخارج وبأسماء مستعارة. عدد القراء قليل لأن ما يصدر عن عقل مستنير وجريء هو قليل القليل بعد المرور على مراكز الرقابة. الممنوعات في النشر أكثر من المسموحات. يكاد يكون مستحيلاً أن تطال رئيساً أو رجل دين بما لا يناسبه، فكأن هؤلاء لا يرتكبون الأخطاء. ليس انخفاض عدد القراء إلا لأن الإنتاج الفكري الجريء قليل. مجال اللغة العربية واسع لكن محطات الرقابة والحدود المانعة، مادياً ومعنوياً، كثيرة.

نحن أمة في الظلام. لا يمكن التفكير إلا في وضح النهار. التفكير في الليل يحصل مع الخوف من قرع الباب لاستدعاء ما. في وضح النهار تكاد تخلو الساحات العامة من النقاش الحر. الرقيب في كل مكان.

الثقافة السائدة تخلو من غير المألوف. السلطات السياسية تقمع، ورجال الدين يساعدونها في اعتبار كل بدعة (أي جديد) ضلالة. والضلالة صاحبها الى نار جهنم. أنت مهدد في الأرض وفي السماء. ثابت أن هناك تحالفا بين السلطة السياسية القمعية والمؤسسة الدينية. السجون العربية ملأى بسجناء الرأي.

لم يقدم المثقفون الكثير للدولة، نظرياً وعملياً؛ بقوا أسرى مفهوم الأمة المتجسدة بين الحين والآخر في النظام. وهو نظام قمع يضطر المرء لاجتنابه لاتقاء شر استبداده. في البلدان الرجعية والبلدان التقدمية ادّعى كل فريق حاكم أنه يمثل الأمة، سواء إسلامية أو عربية، وللأمة أولوية على الدولة. وفرضَ نظام الاستبداد نفسه وغيّب مفهوم الدولة، وبالتالي أعاق مفهوم المواطن. وادّعى في نفس الوقت أن المجتمع متخلّف لا يستحق نعت الأمة. واستمرت التجزئة ولم يستطع القطر العربي أن يتحوّل الى دولة. بقي الخيال العربي خارج الواقع والتاريخ، يعاني من آثار سايكس بيكو، ثم قيام دولة إسرائيل والهزائم اللاحقة. ولم يقدر، أو لم يعرف، كيف يتعامل مع هويته كعربي، ولا مع واقعه كعضو في دولة تقصّر عن الحلم العربي. وبقي سهلاً إدانة الغير على ضعفنا وتأخّرنا، وبقي صعباً أن نرى تمزّق واقعنا الفريد كعرب: لا نفهم تاريخنا المجيد ولا واقعنا المحزن. رافق ذلك تمزّق فكري معرفي: نحن لا نستطيع أن نجمع على أن ما حدث في 2011 ثورة، وأن ما تلاها ثورات، وأن الثورة المضادة لكل ذلك بالمرصاد. ساهم الجميع في تهميش المجتمعات العربية، حتى في وعي النخب الثقافية؛ وكان الاستبداد سبباً رئيسياً في ذلك.

رفعت الجماهير العربية في ثورة 2011 والثورات اللاحقة شعار إسقاط النظام لا إسقاط الدولة. لكن الأدبيات، على العموم، لا تميّز بين الدولة والنظام. أهل النظام يرفضون التمييز ويصرون على أن النظام هو الدولة. ولا يقرّون بأن النظام يمثل أقلية في الدولة، سواء كانت الأقلية طبقية أم إثنية أم طائفية.

في عقود مضت كان مفهوم الأمة معيقاً لنشوء الوعي بالدولة. الآن صار النظام والمفاهيم والمصالح المادية المرتبطة به معيقاً للوعي بالدولة. لا يتشكّل الوعي بالدولة إلا بإدراك أنها، أي الدولة، شرط لما عداها، ولا شرط عليها. وجودها حتمي وتاريخي، حتى ولو ماتت الأحلام سابقاً بنشوء دولة غيرها، دولة الوحدة العربية. لم تتطوّر مفاهيم الدولة القطرية، بحيث أنها هي الدولة-الأمة. كانت هناك اعتراضات ضد التجزئة، ونشوء الدولة العربية على يد الاستعمار. لكنها، أي الدولة، هي الواقع الوحيد وعدم الاعتراف بها، والعودة دائماً الى سايكس-بيكو، هي عودة تشبه السلفية وإن كانت غير دينية. العقل السلفي يحكم الوعي العربي. هي موجودة، واقعية، محسوسة، ولا وجود لغيرها. كما تريد السلفية الدينية العودة الى ماض متخيّل، أو لم يعد موجوداً، تنكر السلفية القومية الواقع الموجود وتريد العودة الى ماض لم يوجد أصلاً في الماضي القريب أو البعيد. وما زلنا نتحدث عن "العبور الى الدولة" وكأنها غير موجودة. يقصدون بالدولة مؤسسات النظام، في أنها، أي الدولة، مفهوم مجرّد لم ينغرز في ضمائر النخب الثقافية، خاصة التي تديرها نخب سياسية ترفع من شأن النظام الى اعتباره هو الدولة.

الدولة بما هي كل الناس ضمن حدود جغرافية محددة هي الديمقراطية الوحيدة. لا نظام عربياً يتمتع بالديمقراطية. جميعها أنظمة استبدادية. يريدون إسباغ مفهوم الدولة على النظام لتأبيد هذا الأخير بكل ما فيه من تمايزات و"هيراركيّات" طبقية وإثنية وطائفية يمكن أن تحتفظ كل دولة عربية بسيادتها في إطار وحدوي، من الجامعة العربية الى كيان أكثر تطوراً. لا سيادة للأمة العربية والإسلامية، ولا للوطن، بل للدولة الحالية حتى ولو كانت قطرية مشوبة باعتراضات لم تعد مجدية، بالأحرى لم تعد لازمة.

تمنحنا المعرفة قدرة على التصرّف في هذا العالم؛ تمنحنا السياسة قدرة على تحويل الديمقراطية الى مساهمة المجتمع في مناقشة وتقرير مصيره. ولا تبقى الديمقراطية مجرّد تعداد لأرقام منتخبين؛ ويمنحنا الوعي بالدولة صلابة الانتظام في مجتمع ويبعدنا عن انتهازية الإنتماء الى النظام. يعني ذلك أن يخضع الوعي للمعرفة، وأن يخضع الموقف لثقافة التجاوز والخروج من التقليد، وأن يخضع النظـــام للدولـــة، وأن يخضـــع العسكر للسلطة السياسية مهما كانت، وأن يخضع المال لضرورات الإنتاج، وأن تخضع الديبلوماسية لصالح الدولة. وشرط ذلك كله أن تكون الدولة، وهي توجد حينما تكون إطاراً ناظماً للمجتمع، لمجتمع قرّر فيه الناس أن يعيشوا سوية. مع العيش سوية تزول الطائفية ، ولا تعود الانقسامات العمودية محور الحياة العامة.

الفضل شلق
لبنان

الأمر يحتاج الى قيادة سياسية نخبوية عارفة مشبعة بالوعي السياسي. ذلك هو الطريق الذي يوصل الى مواجهة الاستبداد بنجاح وكفاءة. والكل يعتمد على اعترافنا بالدولة التي

نحن فيها بكل أمانة وصدق. وفي نفس الوقت نجعل هذا الكيان سيداً في استقلاله. قادراً على التعامل مع أخوته العرب بلا خوف ولا وجل، ولا كذب وتكاذب.

سوف يُعزل الدين السياسي وتقتصر الممارسة على الإيمان. سوف يخرج الدين من الشارع ومن الساحة العامة، ويصبح عند ذلك، وبسبب ذلك، مزية لا نقيصة طائفية. لا نستطيع العيش سوية متى كنا طوائف، والطوائف كيانات سياسية. ففي ذلك تناقض داخلي في المصطلح. إذا كنت طائفياً، وكانت طائفتك هي مجالك السياسي، فأنت لا بدّ أن تكون مباعداً مقصياً منافساً لمن هو من غير طائفتك. علاقة الطائفة بالدين مثل علاقة الدولة بالنظام، تحتاج الى درس ومعرفة ووعي بضرورات العيش سوية في دولة. أن نحوّل الدولة القطرية الى كيان حي باستيعابه الطوائف لا أن نبقى أسرى الطوائف التي تشكّل هيكلاً لعبادة الأصنام. كل زعيم طائفة، بل كل زعيم في بلد مركّب من الطوائف هو صنم، والناس عبدة الأصنام. الوحدة السياسية (مع الحفاظ على الاختلافات وخلافات الحوار والسياسة) هي التوحيد الأساسي الذي لا معنى للتوحيد الإلهي من دونه. إذا كان الله خلق الإنسان على شاكلته، فعلى الإنسان أن يعيد خلق الله من داخل ذاته، على شاكلته أيضاً. لا وجود لله مع وجود الطوائف؛ هي كفر صريح. نستعمل التعابير الدينية لإعطائها معنى آخر غير الذي ورثناه. تجاوز الموروث الثقافي يكون شرطا للحياة السوية. في ظل النظام الطائفي، وما يشابهه، وكل الأنظمة العربية تشابهه، يولد الإنسان، وفي هذه اللحظة يسجّل على خانة الطائفة، على خانة أعداء "المكونات" الأخرى في المجتمع. ويصير عدوا للمجتمع، عدوا للدولة كإطار ناظم للمجتمع. من يصير عدوا للمجتمع يصير عدوا لنفسه، إذا يفقد مقتضيات ضميره ولا يبقى شيء من الأخلاق. الفساد يتعلّق بالمجتمع والسياسة؛ الأخلاق تتعلّق بالضمير الفردي. لا يصير الفساد ثانوياً (أو يلغى) إلا متى سيطر الضمير الفردي على كل مواطن. لا يصير الإنسان مواطناً إلا بالسلوك على أساس الضمير الفردي. هذه المواطنية هي الوجه الآخر للدولة. هي معنى الدولة. المواطنية (الفردية) سرّ الدولة.

ليس المثقفون العرب كذلك. هم لهذا السبب يخيّبون آمال شعوبهم العربية كلما قاموا بثورة. ما أحلى الثورات العربية في مواجهة الصورة الكالحة لمثقفيها. هؤلاء الذين يشكلون قاعدة للاستبداد بفساد وعيهم بالدولة وغيابها.

لا تحتاج الدولة الى شريعة. تحتاج الشريعة الى دولة. في البداية كانت الدولة. الشريعة إضافة مفتعلة. صحيح أنها شرائع، وأنها موروثة، لكنها من لزوميات ما لا يلزم. سيبقى الموروث الديني موجوداً. الخلاف هو على موضعه في المجتمع. في أن يكون جزءاً من المجتمع، خلفية ذهنية، ممارسة فردية. لا كل المجتمع. لا أسوأ من شعار "الإسلام هو الحل" إلا الدعوة السلفية التي تقضي بطبيعتها بالعودة الى ماض لم يعد موجوداً. وهو لم يكن موجوداً في الأصل. المعرفة التاريخية ضرورية لاكتشاف زور وبهتان ما يدعو إليه هؤلاء.

موضوع الحياة البشرية، كي تكون سوية ومجدية ومنتجة ومصدراً للقوة، هو أن يكون العيش سوية كبشر هو جوهر الموضوع. العيش سوية مع الله ليس مسألة بشرية. والإيمان بالله مسألة أخرى يستطيع كل فرد أن يتعامل بها مع الخالق.

القول بهذه الطريقة، وبهذا المعنى، وبهذا الإصرار، هو كيلا يبقى الدّين عبءا على صاحبه. هو من أجل أن يتحوّل الدين الى قوة روحية، وأن يتحوّل الى قوة أخلاقية. ولا بدّ من الاعتراف بفقدان الأخلاق في مجتمعاتنا. نفقد الأخلاق حين لا يعود الضمير الفردي مصدر السلوك والوعي والمعرفة.

ببغاوات تردّد شعارات ومقولات الاستبداد. لو لم يكن لدى الاستبداد جحافل من المثقفين لما استطاع إعادة تشكيل الوعي العربي لصالح الأنظمة؛ والأدهى من كان الأجدر بالاستبداد والاتجاه نحو وحدة عربية فيدرالية أو كونفيدرالية قاعدتها الجامعة العربية للدول العربية التي تريد أن تلعب هذا الدور مع العلم أن تطوير الجامعة يتطلّب أن يكون لكل دولة (في إطارها) سيادة غير منقوصة. العمل الوحدوي العربي لا يحدث بالنضال الشعبي، بل بسعي الأقطار العربية نحو مصالحها. النضال الشعبي يجب أن يتكرّس لبناء الدول (القطرية) وحسب. النضال الحقيقي هو ما يهدف لبلورة مفاهيم جديدة وأفكار لأمة يمكنها أن تُصنع وأن يُكتب لها البقاء. لا فائدة من النضال الشعبي في كل قطر إلا بالشعارات التي يرفعها كل المناضلين وهي تهدف بالدرجة الأولى والنهائية الى إسقاط النظام وتحقيق ما تيسّر من الكرامة والعيش المقبول اجتماعياً. هكذا يكون إسقاط الأنظمة لصالح دولها وليس العكس.

ما زال أمام المثقفين العرب عمل نظري فلسفي يقومون به؛ العمل يتبعه نضال لطرح برامج وسياسات تعارض ما تطرحه السلطة. ما نقوله هو أن المعرفة والوضوح النظري هما طريق الممارسة النضالية وليس العكس. لم يكن جائزاً تكرار شعارات للمقاومة كانت هي هي منذ الستينات وقبلها وحتى اليوم. المقاومة المطلوبة ليست سليلة القوانين. مع نهاية الحروب الأهلية لا بد من بناء دول منتجة بقواها الداخلية؛ ولا يعني ذلك رفض المساعدات الأجنبية التي تتناسب مع المخططات والحاجات الأهلية. يبني البلد أهله، كمواطنين، وليس قوى أجنبية مهما كانت النوايا حسنة. المنطقة العربية هي منطقة قائمة في ذاتها، وهي تشكّل الجامعة العربية. على الصعيد السياسي هذا الكيان هو الذي يجب تطويره الى جانب العمل لتطوير كل دولة عربية بسيادة قطرية كاملة.

ملخص ما سبق: الدولة في مواجهة النظام. جميع الأنظمة العربية يجب إزالتها من الداخل. لا يمكن مواجهتها إلا بنظام فكري نظري متكامل. لقد ثبت تهافت الدولة الاستبدادية ومن الضروري إزالتها عن بكرة أبيها، وإنشاء دول بكل معنى الكلمة. دول تصير فيها كلمة المواطن لدولته. وهذه الدولة توصل رغباته الى الجامعة وغيرها.

إنّ ترديد النخب الثقافية أقاويل الأنظمة، من دون عمل فكري يناقضها، لن يفيد كثيراً في السير على الطريق الصحيح. وإلا ستبقى النخب الثقافية أسيرة أنظمة الاستبداد وخاضعة لها عن قصد أو غير قصد ❑❑

إسمعوا صوتي

ابرام لويس حنا
مصر

✠ يَا ايها الْعُرْبَ
لِتَسْمَعُوا كَلَامَاتِي وَ آهاتي
لِتَسْمَعُوا صَوْتِيَ حِينَ أَتَكَلَّمُ فَنَادِرًا مَا اتكلم عَنْكُمْ يَا أَيُّهَا الْعُرْبَ
رَأَيْتُ مِنْكُمِ الضَّرَرَ، رَأَيْتُ مِنْكُمِ الاكاذيب، رَأَيْتُ الْعُرُوبةَ مُدَوَّنَةٌ فَقَطْ فِي الْكُتُبِ.
رَأَيْتُكُمْ...
عَاشَرْتُكُمْ..
لَكِنِيّ أَحْبَبْتُكُمْ
أَحَبَّتِ اكاذيبكم، احببت اساطيركم
احببت رُؤْيَةَ الرَّجُلِ الْعَرَبِيِّ مُنْدَفِعٌ كَالْصَّارُوخِ عَنْدَمَا يَرِي امْرَأَةٌ يُهْتِكُ عِرْضُهَا،
يَنْدَفِعُ مُدَافِعًا عَنْهَا وَلَوْ فِي هَذَا حَيَاتِهِ.
أَحْبَبْتُكُمْ عَنْدَمَا رَايْتِ الْعَدْلِ فِيَّ الْبِلَادَ، لَا يُوجَدُ بِهَا شَحَّاذُ مَادِدْ يَدِيَّهُ مِنْ أَجَلِ الطَّعَامَ، طِفْلَ مَادِدْ يَدِيَّهُ مُلَوَّثٌ بِالتُّرَابِ مُلَوَّثٌ بِالْحُزْنِ مِنْ رَأْسِهِ حَتَّي حِذْصَرَ رَجُلِهِ..
تَحَوَّلْتُم، لِتَشْتَهُوا، اين النَّخْوَةَ ؟ أَيْنَ الْعُرُوبةَ؟
لَمْ تَكُنِ الْعُرُوبَةُ سَيِّئَةً لِلْغَايَةِ مثلمَا مَا اصبحت عَلَيْهِ...
يَا أَيُّهَا الْعُرْبَ إِنِّي أَكْرَهُكُمْ وَ اِعْشَقِ الْعُرُوبَةَ.
اعشقها فَكَرَةً.
يَا لَيْتَكُمْ تُطَبِّقُونَهَا عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ.
أَنَاشِدَكُمْ....
وَلَكِنَّ لِمَنِ اتكلم وَاِنْتَم تَصُمُّونَ آذنكم عَنِ السَّمْعِ...
للاسف ✠✠

نمط الحرب الأمريكي: الصفقة وصدمة الوعي

❑ غاية العلوم الإنسانية الأكبر والأكثر صعوبة هى أن تتحول لعلوم تطبيقية أقرب لمجال العلوم الطبيعية تتمكن من استشراف السلوك البشري الفردي أوالجماعي (للجماعات أو الدول) وفق أنساق أو مسارت تتكرر (نسق يضم عدة مسارات مرتبطة ومتراتبة بعضها على بعض أو مسار فردي مستقل لها مسبباته الخاصة)، وأبرز الآليات في هذا المجال هو القدرة على بناء "النمط" أو "النموذج المعرفي"، باختصار النمط هو عبارة عن رصد تكرار ظاهرة ما ورصد المسببات لها وكذلك النتائج والأهداف التي تنتج عنها في الماضي، والقدرة على بناء وجود لها في الحاضر والأهم توقع مسار أو نسق حدوثها في المستقبل، النمط هنا هو أعلى أداة يمكن للمشتغلين بالدراسات الإنسانية الوصول لها، والنمط يمكن تطبيقه على معظم تمثلات الوجود الإنساني في الأدب والسياسة والمجتمع والتاريخ والجغرافيا (في علاقتها بالإنسان).

دراسة النمط يمكن تطبيقها على الأفراد من خلال رصد عدة سلوكيات منفردة، في ظل وجود مخزون وجهد معرفي سابق (نظري وعملي) من العمل على رصد مصفوفات (أنماط) متعددة من السلوك البشري، بحث يمكن للباحث الخبير من خلال رصد عدة سلوكيات منفصلة دالة أن يحدد لأي المصفوفات الشخصية ينتمي الشخص المقصود، وعلى المستوى الأعلى من الجماعات والدول يسير الأمر بالطريقة نفسها شرط وجود معرفة مسبقة بأنماط السلوك التاريخي الجمعي، وما يتطلبه ذلك من هضم واستيعاب عدة مجالات متداخلة وبينية سواء لدوافع الجماعات البشرية وحراكها التاريخي داخل المجتمع، أو لمسار التدافع الحضاري (صراعا وتعايشا) بين الدول والكيانات السياسية وعوامل قيام وانهيار الحضارات، لكن الأمر هنا يتطلب دراسة متأنية ومتجردة لعلاقة الجماعة البشرية بكل من الدين والإبداع والبطولة والمقاومة والتكيف والثورة، للكشف عن العلاقات البينية لآليات جريان كل منهم في علاقته بالآخر، حتى نصل للمصفوفات السلوكية التي تشكل الأنماط الرئيسية لحراك الجماعات والدول ودوافعها كذلك.

من هنا تعد "دراسات النمط" هى الهدف الأسمى والأعلى للعارفين والمهتمين بدراسة الظاهرة البشرية قديما وحديثا، وأصبحت معظم مراكز الأبحاث العالمية مهمومة بالكشف عن الأنماط القديمة وأشكال تطورها كأحد آليات التدافع الحضاري، وحسم الأمور في المواجهات السياسية والثقافية وغيرهما.

بعد هذا التمهيد لفكرة النمط، نحدد النمط الذي سنحاول الكشف عنه وسنسميه نمط الحرب: الصفقة وصدمة الوعي، ونبدأ بتحديد أطرافه فالنمط سيشمل الدول العربية وأنظمتها السياسية وقاعدتها الجماهيرية من جهة، وعلى الجهة الأخري سيوجد الغرب بتمثله الأمريكي والصهيوني وما يدعمهما من تمثلات سياسية، وفرضية النمط هى وجود تدافع بين الوعي العربي والسيطرة الغربية طوال القرن الماضي، وافتراض أن الحروب كانت أداة رئيسية لكسر الوعي وصدمته وتمرير مخططات السيطرة الغربية/ الصهيونية، ذلك في رسم تاريخ النمط ومساره، أما في الاستشراف فيكون وضع الاحتمالية لاستخدام "نمط الحرب" ذاته من قبل ترامب كأداة لصدم الوعي العربي وكسره لتمرير مشروع الهيمنة الجديد المسمى بـ"صفقة القرن".

أولا سنرصد تكرار ظاهرة النمط المتمثلة في الحرب بالنطاقات والتوصيفات التي حددناها كما يلي، حيث سنجد لدينا حروب: 1948- 1956- 1967- 1973- 1990- 2003، مع الوضع في الاعتبار وجود حروب صغيرة بينهم في لبنان في 1982- 2006 وفلسطين 1987- 2000، وفي محاولة لاستكشاف أبعاد النمط سنحدد إطارا للحروب الثلاثة الأولى: 48-56-67 وسنقول أن التكرار النمطي الأبرز فيهم كان 48-67 حيث سنتخذهما مفصلا للنمط، لنحاول توصيفه الآن.

ارتبطت الحربان بالوعي العربي بالذات وضرورة كسره بالقوة وفرض الأمر الواقع، ففي 1948 تعرض الوعي العربي لصدمة باحتلال فلسطين وانكسار الجيوش العربية ضعيفة التسليح فقيرة التدريب، لكنها أنتجت حالة من المقاومة المضادة تجاه الغرب/ الصهيونية، استمرت حتى وصلت لذروتها فيما قبل 1967 مع تمدد مشروع المقاومة المصري والمد القومي، لتأتي الحرب وتقدم صدمة جديدة للوعي العربي وتفرض عليه تخفيض السقف والانتقال بمجموعة أهدافه من الفعل والمقاومة إلى الرد فعل والدفاع عن الذات، ليبدو وكأن النمط بدأ يهدينا أول محدداته بأن الحرب دائما لصدمة الوعي عند الآخر/العربي، وإجباره على تخفيض سقف طموحه الجمعي والانتقال من حالة المبادرة إلى حالة رد الفعل باستمرار.

حاتم الجوهري
مصر

إذن دعونا نختبر الفرضية السابقة على تمثلات نمط الحرب وتكراره فيما بعد ذلك في عام 1973 وفي عام 1990، في عام 1973 رغم المفاجأة العربية على الجبهة المصرية والسورية، إلا أن الحرب انتهت بالجولان محتلا وسيناء شبه منزوعة السلاح، اعتراف مصري بدولة الاحتلال وغياب فلسطين عن مائدة المفاوضات وكسر الحصار الأفريقي والأسيوي على "إسرائيل" بعد الخطوة التطبيع السياسي.

إذن تستمر الفرضية في قدرتها على تفسير النمط، وفي حرب 1990 والتي تم فيها غزو العراق وتفكيكه، دخلنا في مرحلة أخرى من كسر الإرادة وقبول الأمر الواقع وفرضه على الفلسطينيين فيما عرف باتفاقية أوسلو التي أنتجت ما عرف بـ "السلطة الفلسطينية"، بل ارتبطت بتقديم إسرائيل كنموذج واضح لقيادة دول المنطقة عبر تفكيك معلن للوعي العربي عُرف بمشروع الشرق الأوسط الكبير، غير أن النمط تعرض للتحول هنا حيث رفض الإسرائيليون أنفسهم وليس العرب مشروع التعايش كحل للتدافع الحضاري، ورفضوا الاكتفاء بما تم تحقيقه بالفعل من مكاسب وأرادوا للتدافع الحضاري أن يستمر في حالة الصراع، وتم اغتيال القيادة السياسية الإسرائيلية (إسحاق رابين) التي كانت تقود توجه دمج إسرائيل كنموذج أعلى على العرب.

ثم عاد النمط مرة أخرى لخلخلة الوعي بتنشيط اللمف العراقي 2003 عندما سقطت بغداد، بعدها تم إعدام صدام حسين شنقا في صبيحة عيد الأضحى في أقصى أشكال صدم

الوعي وتفكيكه، تأكيدا على محاولة كسر الإرادة العربية وصدمها عبر نمط الحرب، ومنذ ذلك الحين مررنا ببعض الحروب الصغيرة في الملف اللبناني والفلسطيني، أنتجت نوعا من الثبات في الإرادة الفرعية هناك تجاه المخططـات الأمريكيـة والصهيونيـة، ثم جاءت الثورات العربية مع مطلع هذا العقد لتصدم الوعي الغربي باستعادتها لخطاب المبادرة وإسقاط كل ذاكرة القهر وفرض الإرادة عبر حروب القرن الماضي، وحاول الغرب التدخل عبر تكتيك إدارة التناقضات بين المؤسسات العسكرية العربية واليمين واليسار، لمنع ظهور تمثل سياسي للثورات الجديدة يمكن أن يتحول لنمط ونموذج جديد لا تستطيع مواجهته بالأساليب القديمة.

ومع ظهور ترامب ومن خلال نظرة سريعة على خطابه يظهر سريعا عودته المباشرة لفكرة التعالي ومحاولة صدم الوعي العربي من خلال ملف القضية الفلسطينية محور المواجهة الممتد من القرن الماضي، والتي بدأها بملف القدس ونقل السفارة الأمريكية في إسرائي إليها، ثم تطور مشروعه الصريح لكسر الإرادة العربية واستغلال التناقضات اراهنة والتدافع الكامن بين السعي لمنظومة قيم ثورية جديدة وبين الحرس القديم ومنظومة قيمه القديمة، ترامب هنا يستدعى النمط وتكرار بشدة، ويمكن هنا تفسير محاولاته لخلخلة الوعي العربي وصدمه في الملف السوري عبر الانسحاب أو الحضور في مواجهة ما عرف بـ "داعش"، والتي لم تأتي بالنتيجة المرجوة وربما كانت تمهيدا للمسرح، ثم تكراره صدم الواقع العربي خاصة في تصريحاته بشأن الخليج والسعودية تحديدا كاشفة.

ليبدو العودة للملف الإيراني مغريا بالنسبة لترامب لممارسة نمط الحرب بعد أن وظفته أمريكا سابقا في مرحلة التمهيد لتفكيك العراق، حيث سيحقق الملف الإيراني أهداف الصدمة في الوعي التي سترتبط بالملف الخليجي والسعودي تحديدا والأهم ربط كل ذلك بتمرير صفقة القرن عبر دمج وفرض الأمر الواقع على معظم الأنظمة السياسية الموجودة في المنطقة وعلى رأسها مصر، من خلال المهارة في إدارة التناقضات وتوظيفها لصالح النمط (الحرب) بالطبع، فالأمر لابد أن يتم عبر تنشيط وإشعال كل التناقضات الساكنة في المنطقة، لابد أن يمر بعدة نسق (له عدة مسارات متراتبة ومتداخله) يشمل دق الأسافين بين فتح وحماس وتفجير الوضع الداخلي بأى شكل لخلخلة الموقف الفلسطيني الرافض، والأبرز هنا محاولة ترامب افتعال مواجهة مباشرة مع إيران وتوريط الخليج والسعودية مجددا لضرب لبنان (حزب الله) وفلسطين (حماس) وإعلان الإخوان جماعة إرهابية لغواية مصر، ومنح حفتر الشرعية والتمويل للسيطرة على طرابلس، لتشكيل تحالف يتم توظيفه في إشعال النمط (الحرب) بحجة تمرير المصالح الداخلية أيضا.

قد لا تحدث الحرب وقد تحدث بشكل محدود وقد تديرها إيران مستفيدة من خبرات الماضي في المواجهة العسكرية مع أمريكا، وربما تنجح أمريكا بخبراتها الطويلة في تجهيز نسق الظروف والعلاقات والتناقضات التي تمكنها من تفعيل نمط الحرب كاملا لتمرر الصفقة وصدمة الوعي الجديدة، وبين كل هذه الاحتمالات يبقى السؤال هل من وسيلة للتصدي الحضاري للنمط ودفعه للوراء، في محولة لوقف تسلسل النمط وتكراره التاريخي عند المحطة الحالية محطة صفقة القرن!؟

ذلك هو بناء النمط البديل وقدرة الذات على التماسك والصمود ثم المواجهة ودفع العدوان للوراء بشكل ناعم وصلب، وربما لست الآن في حاجة لأفصل النمط البديل ويكفي إجماله، إنما يبقى الأمل كل الأمل في أن يخرج العرب من حالة التناقضات الداخلية، وتظهر فكرة مركزية جديدة تحتضن الثورات العربية وتتوحد معها، وتدفع الآخر وهيمنته للوراء وتتسق مع مستودع هوية الذات وتسعى لامتلاك مستلزمات الدفاع عنه❑❑

حيوان اسطوري اسمه الغول

بودهان عبد الغفور
الجزائر

✠ كانت أمي سامحها الله كلما أحدثت شغبا أو سببت لها ازعاجا أو زدت قلقا على قلقها المعهود تلجأ كي تؤدبني وبالتحديد كي يأكلني الى مايشبه حيوان كبير ذو شعر كثيف أتخيله الغوريلا في بعض الاحيان أو أكبر بقليل في مخيلتي الصغيرة الا وهو الغول * البازغوغ* هذا الكائن الوهمي الاسطوري الذي تكثر زياراته في ليالي العاصفة ذات الامطار والرعود يدخل من كل مكان واكثرها من الفتوحات الموجودة في النافذة ليقف فوق رأسي ...أراه من بعيد ضخما اسودا كلما أقترب زاد توهجا فأصاب بنوبة وقشعريرة خوف حتى الموت ...فينحني ويقترب منى ويأمرني بصوته الذي يشبه الرعد أن لا اضايق أمي ..صرخت مرة و مرتين ..فسمعت خطى قدميها بسرعة نحوي لتنقذني ..فأخبرتها انه الغول من هددني وأفزعني ..فتبعده بيديها ملوحة *أمشي هه* فيختفي في الجو مخترقا السقف وفي بعض الاحيان يخرج متجها الى المطبخ ..لا أعلم لماذا المطبخ بالذات ....رأيت بعد ذلك الغول في أشجار المشمش في حقلنا وفي جدار*أحمد بن عمر*الذي كان السواد يلفه ليلا ..وفي النهار موحشا..بقيت اراه واتخيله في الاماكن المظلمة وأراه في سلسلة الصبار * الهندي* التي تحيط بحقلنا ..أراه مساءا قبيل أذان المغرب في وادي قريتنا الصغيرة* الدوار* ....وضللت متخوفا ومبهورا بالغول في المرحلة الابتدائية وأحسست انه قابل للمصادقة وخاصة المطيعين القادرين على احترام رأي الام وأداء الصلاة وحل الواجبات المدرسية ...كنت معجبا به وشديد الثقة ان لديه مهام لاحصر لها في تقفي أثر المجرمين واللصوص والاشرار في كل مكان...وكنت على علم وثقة كاملة انه لا يقترب عندما يكون الاب حاضرا أو من موقع به القرأن ...

أعترف اني كنت شقيا ومشاغبا وأمارس هوايتي المفضلة بعد رمي المئزر والمحفضة وهموم الحفظ والواجبات المدرسية وهي سرقة بساتين الرومان والمشمش والعنب والتين والبروق واللوز ..ومطاردة دجاجات جدتي في العطلة التي كانت اغلى من أي شئ اخر في نظرها .....مع مرور الوقت تغيرت الامور وأتسعت علاقاتي مع الغول لم أعد أجده بين الاشجار والمعلمين ,امسى له تعاريف عدة ونماذج مختلفة ومتعددة في كل نواحي الحياة ..اراه مسؤولا يخيف الشعب يزورهم ويذكرهم بالعشرية السوداء اذا اساؤو التصرف وخرجوا عن طوع الرئيس ....يزور اذا تململ الشعب من حين لأخر في صورة بوحمرون والطاعون والكوليرا والحمى القلاعية وخطف الاولاد واسقاط الطائرات ...وفي بعض الاحيان يبتعد عن الاذية ويستعمل الحكايات والقصص حسب عقول العامة لينسيهم بعض هموم الحياة وشفاءا لمرضاهم بقصة *حليب العتروس* ودواء *رحمة ربي* و *بول البعير* و*لسان الفنك*.....عرف صديقي الغول ان هذا الشعب غوغائي فأدخل العياشي في الانبوب الارتوازي فشاهد الناس قصته وصارت عالمية ....ثم طرح اشكالية هل يمكن الترحم على *هواري منار* ؟ وقضية البوشي والمخدرات والجنرالات....

استنتجت اخيرا وذلك لغبائي المعهود أن صديقي الغول يعيش على الخرافة والوهم ويستمد قوته وجبروته من ضعف وعي الناس ....انه يتغير كي يبقى ويتمدد ويستمر ...اني اراه في كل مكان الان في الشارع في التلفاز في العمل في حياتي الشخصية أمسى ينساب بين كل شئ سلسا شفافا مروعا مدمرا في النهاية ✠✠

دراسة حول واقع السجون الصهيونية السرية

صور حية عن الارهاب الصهيوني العنصري

يحي المعلم
فلسطين

❑ تفيد الدراسات الصادرة عن هيئات ولجان ومراكز ابحاث وباحثين عن واقع شؤون الاسرى. في هذه السجون الصهيونية العنصرية صور حية عن الارهاب الاسرائيلي. حكومات الصهاينة المتعاقبة منذ احتلالها لفلسطين وخصوصاً الضفة الغربية وقطاع غزة عام 1967، والسجون التي اقيمت على تراب كل فلسطين من شمالها الى نوبها وعن وجود معتقلات وسجون سرية لدى الاحتلال وهي محصنة بشكل جيد حيث ان بعضها هو عبارة عن ثكنات وقواعد عسكرية يعود لحقبة الاحتلال البريطاني لفلسطين والبعض الآخر من صنع الاحتلال الصهيوني.

الاسرى المفقودين بين الحياة والموت في السجون السرية

كشفت مصادر صحفية اجنبية واسرائيلية معلومات عن اربع مقابر ارقام هي :

1- مقبرة الأرقام المجاورة لجسر "بنات يعقوب" وتقع في منطقة عسكرية عند ملتقى الحدود الإسرائيلية – السورية – اللبنانية، وتفيد بعض المصادر عن وجود ما يقرب من 500 قبر فيها لشهداء فلسطينيين ولبنانيين غالبيتهم ممن سقطوا في حرب 1982، وما بعد ذلك.

2- مقبرة الأرقام الواقعة في المنطقة العسكرية المغلقة بين مدينة أريحا وجسر داميه في غور الأردن، وهي محاطة بجدار، فيه بوابة حديدية معلق فوقها لافتة كبيرة كتب عليها بالعبرية "مقبرة لضحايا العدو"، ويوجد فيها أكثر من مائة قبر، وتحمل هذه القبور أرقاماً من 5003 – 5107، ولا يعرف إن كانت هذه الأرقام تسلسليه لقبور في مقابر أخرى أم كما تدعي إسرائيل بأنها مجرد إشارات ورموز إدارية لا تعكس العدد الحقيقي للجثث المحتجزة في مقابر أخرى.

3- مقبرة "ريفيديم" وتقع في غور الأردن.

4- مقبرة "شحيطة" وتقع في قرية وادي الحمام شمال مدينة طبريا الواقعة بين جبل أربيل وبحيرة طبريا. غالبية الجثامين فيها لشهداء معارك منطقة الأغوار بين عامي 1965 – 1975. وفي الجهة الشمالية من هذه المقبرة ينتشر نحو 30 من الأضرحة في صفين طويلين، فيما ينتشر في وسطها نحو 20 ضريحاً، ومما يثير المشاعر كون هذه المقابر عبارة عن مدافن رملية قليلة العمق، ما يعرضها للانجراف، فتظهر الجثامين منها، لتصبح عرضة لنهش الكلاب الضالة والوحوش الضارة.

بناء على متقدم يؤكد للقارئ بأن هناك علاقة بين السجون السرية ومقابر الارقام وتدل على ان الاسرى المفقودين منذ سنوات قد تعرضوا للقتل وسرقة اعضائهم وهذا ما كشف عنه الكاتب السويدي دونالد بوسدوم عن عملية بيع اعضاء الاسرى في سجون الاحتلال الاسرائيلي, ومن ثم يتم دفنهم داخل مقابر الارقام لكي يتم محو اثار نزع الاعضاء البشرية منها عن طريق التحلل.

لماذا يخفون الاسرى وما اوضاع السجون

قد يقول قائل ما الفائدة التي يستفيد منها العدو الصهيوني من قامة مثل هذه السجون وما المعيار الذي يتبعه الصهاينة في الاعتراف بوجود اسير او انكاره. هنا تكمن الاجابة اذا سارع الاعلام الى مكان الحادث يتم الاعلان عنه – او اذا شملت عملية الاسر عدد كبير من الجنود الاحتلال وشاركوا فيه او عمليات اسر كما حصل مع الشيخ عبد الكريم عبيد ومصطفى الديراني اللذان اسرهما في عملية انزال من قراهم.

اما في احيان كثيرة يرفض الاعتراف بالاسرى ولو كان في امكان العدو عدم الاعتراف بأحد الاسرى لفعل ما تأخر ابداً كما حدث في صيف عام 1982/6/6 خلال العدوان على لبنان حين قامت قوات الاحتلال بعملية الانزال على منطقة نهر الاولى في صيدا جنوب لبنان واصدمت بمجموعة شباب تجمع اللجان والروابط الشعبية وحصل اشتباك معهم، وقد تم أسر ثمانية من الشباب واطلق اثنان منهم وهما هاشم ابراهيم وحمزة يزبك في عملية تبادل اسرى عام 1984 وبقي ستة وهم ابراهيم نور الدين، حيدر زغيب، بلال الصمدي، محمد معلم، محمد شهاب والشاهر، وكذلك المفقود حسين دبوق الذي اعتقل من منزله في صور وسعيد اليوسف ورشيد آغا عماد العبد الله الذين اعتقلوا على حاجز قوات الاحتلال في لبنان وهم ينتمون الى جبهة التحرير الفلسطينية ولم تعترف قوات الاحتلال بوجودهم حتى الان. ،رغم ان هناك شهود اثنان من المقاومين اللذان اطلق سراحهما في معركة نهر الاولي .شاهدوا بعض الاخوة يأخذهم جيش الاحتلال ولكن القوات الصهيونية لم تعترف بوجودهم حتى الان.

ويتم ايضا اجراء التجارب الطبية على عينات من السموم والادوية على الاسرى كحقول تجارب ومن يفارق الحياة يتم دفنه في مقابر الارقام وهذا ما كشف عنه مساءلة لنائبة اسرائيلية عن حزب ميرتس اليساري لوزير الصحة الاسرائيلي عام 1995 عن سبب سماح الوزارة للجهات الامنية بزيادة نسبة التجارب الطبية على الاسرى. والاطباء الاسرائيليون في السجون مجردون من الانسانية ويجيزون لانفسهم ممارسة كل اساليب الدموية واللانسانية ويسعون لابتكار ابشع الاساليب لالحاق الاذى بالاسرى وهي سمات سائدة في السجون الاسرائيلية بشكل عام.

السجون السرية بشكل خاص

وبالفعل اجرت صحيفة "يديعوت احرونوت يوم 2003/10/13 لقاءا صحفياً مع رئيس الوزراء أريئيل شارون، فكان مما قاله في هذه المقابلة: "إسرائيل لديها التزام من الدرجة الأولى في إنقاذ أي يهودي يأسره العرب... وأنا أتعامل مع هذا الملف منذ ما يقارب خمسين سنة. وعندما كنت في سلاح المظليين، كنا نخطف جنوداً أردنيين ضمن خطة أسميناها بنك الأسرى لنستخدمهم كأوراق مساومة إذا وقع جنودنا في الأسر".

ومن المعلوم للجميع أن الأردن لم يجر أي عملية لتبادل الأسرى مع الحكومة الإسرائيلية منذ ذلك الحين، فأين ذهب الجنود الذين اعترف شارون بخطفهم؟ وكما حصل ايضا في عملية التي نفذتها البطلة الشهيدة دلال المغربي مع رفاق لها وتم اسر احد افراد العملية يحيى سكاف ولم تعترف اسرائيل بوجوده حتى يومنا هذا مما يدل على ان اسرائيل لا تحترم أي من الاعلام او الرأي العام او الشهود، فهي حتى اليوم تطيح بالمؤسسات الدولية واتفاقيات جنيف وتستبيح كل المقدسات السماوية وامام الرأي العام العالمي بأسره، كما وفاة الحاج ماجد الزبون الغائب عن المنزل منذ واحد وعشرين عاماً، وتم خطفه في الحدود مع فلسطين وبوفاته اعاد ملف الاردنيين البالغ عددهم تسعة وعشرون مفقوداً وهو ما ثبت في سجلات اللجنة الوطنية لنصرة الاسرى والمفقودين الاردنيين في سجون الاحتلال.

ان الاعتقال والأسر هو أحدى الوسائل المتبعة لسلطات الاحتلال ضد المقاومين العرب والفلسطينيين, ولا زالت سلطات الاحتلال تحتجز الآلاف من الأسرى والمعتقلين في سجونها. ولم تكتف سلطات الاحتلال ببناء 28 سجناً ومركز توقيف وتحقيق، بل سعت إلى إنشاء سجون سرية لتكون مقابر للإحياء تنتهك فيها كل الأعراف والمواثيق الدولية، ويمارس بداخلها كل أصناف التعذيب، دون أن يتمكن احد من اقتفاء تلك الجرائم.

السجون السرية لها طرقها الخاصة للتعامل مع الأسرى الذين يتم احتجازهم بها, ويطلق على هؤلاء الأسرى والمفقودين (أسرى X), وهم أسرى تم اختطافهم أو اختفائهم من سجون الاحتلال أو من مناطق سكناهم دون إبلاغ ذويهم أو منظمات حقوق الإنسان الدولية بمكان احتجازهم أو التهم الموجهة إليهم.

نموذج من حالات التعذيب في احد السجون السرية رقم 1391

سجن 1391، بناية مبنية من الإسمنت في وسط فلسطين المحتلة، يتوسط قرية إستيطانية بالكاد ترى في أعلى التلة لأنها محاطة بالأشجار الحرجية والجدران المرتفعة. ويبدو السجن من الخارج كأي مركز شرطة بناه البريطانيون أبان انتدابهم لفلسطين، له برجين مراقبة توفر الحراسة العسكرية والمراقبة المكثفة لمحيط المنطقة. والشهادت التي أدلى بها عدد من المعتقلين السابقين في ذلك السجن تفترض بأن السجن مزدحم بالمعتقلين.

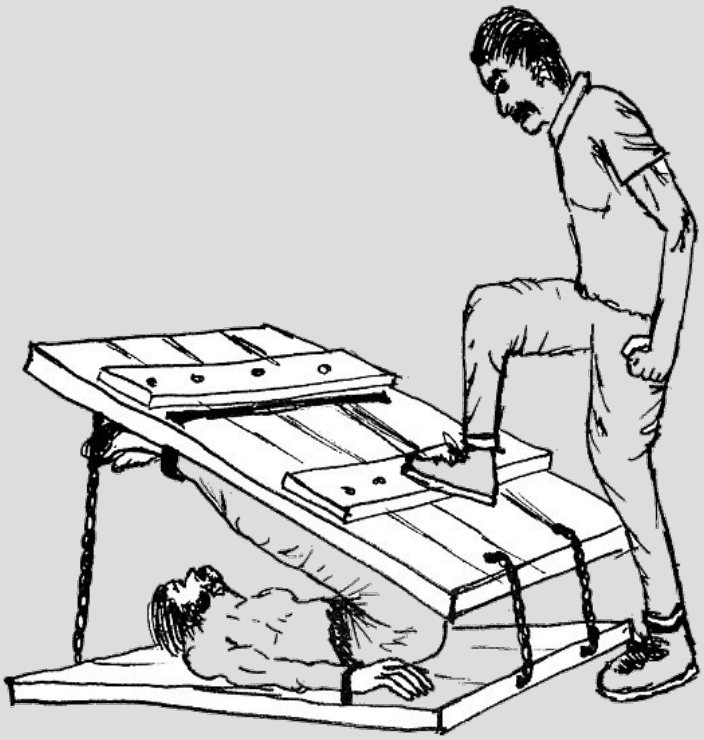

وفي المقابل، ذكر الأسير المحرر سامر المصري أنه يعتقد أن السجن في مكان قريب من الساحل، لأنه كان يسمع أصوات بعض الطيور البحرية كطائر النورس بالقرب من المكان المذكور، وكذلك نظراً لقصر المسافة نسبياً عندما تم نقله من التحقيق داخل هذا المعتقل إلى محكمة التمديد في سجن الجلمة بشمال فلسطين. ووصف الأسير المحرر طبيعة هذا المعتقل، بأنه بناء قديم، وجدرانه مهترئة ولونها قاتم، والإضاءة في الغرف ضعيفة جداً، وكل هذه العناصر تؤثر على نفسية المعتقل، خاصة - حسب المصري - أن الغرف في هذا السجن موجودة تحت الأرض، وذلك لشعور الأسير بأنه ينزل بالسيارة منحدراً قوياً قبل الوصول إلى المكان المنشود لبدء جولات التحقيق القاسي معه.

تقول المحامية الإسرائيلية "ليئا تسيمل"، المتخصصة في الدفاع عن الفلسطينيين: "أي شخص يدخل هذا السجن يختفي، ومن المحتمل للأبد". وتضيف: "لا فرق بينه وبين سجن يديره الديكتاتوريون العنصريون من جنوب أفريقيا". وقد طالبت المحامية "ليئا تسيمل" و"مركز الدفاع عن الفرد" واسمها المشهور "هاموكيد" عام 2002 بمعلومات

عن هذا السجن، وإظهار الفلسطينيين المفقودين لبرهنة أنهم لا زالوا على قيد الحياة. وقد اعترفت السلطات الإسرائيلية بأن المعتقلين المفقودين كانوا محتجزين في السجن السري، لكنها لم تعط أي تفاصيل، لكنها أحالت جميع المطالب إلى ما يسمى رئيس شعبة مكافحة الإرهاب بالقرب من حيفا.

وهنا قامت منظمة "هاموكيد"، برفع دعوى قضائية إلى المحكمة العليا الإسرائيلية تطالب فيها الحكومة بكشف المعلومات حول هذا السجن واستندت إلى أن القانون الدولي والإسرائيلي يعارضان وجود سجون سرية، وقد اعترف الإدعاء العام بوجود السجن، وأنه يستخدم لحالات خاصة وغير مخصص للأسرى الفلسطينيين، وأنهم توقفوا عن استخدامه منذ مدة ولم يبق فيه إلا عدد قليل من الأسرى الذين رفض الادعاء كشف هوياتهم وظروف اعتقالهم.

قامت القناة العاشرة في التلفزيون الإسرائيلي، ببث تقرير مفصل عن هذا السجن وكشفت العديد من المعلومات المستقاة من "هاموكيد"، ثم توالت التقارير الصحفية في الصحف العبرية مثل الخبر الذي نشرته "يديعوت أحرونوت" في 2003/8/3، والخبر المنشور يوم 2003/8/27 في "معاريف".

أما في التحقيق الصحفي الذي كتبه أفيف لافي في صحيفة "هآرتس" العبرية، فقد فضح فيه ممارسات شعبة الاستخبارت العسكرية داخل المعتقل، ووصفه أنه نسخة جديدة لغوانتنامو. وجاء في هذه التفاصيل: يتذكر الجندي (م) المرة الأولى التي أرسل فيها لتنفيذ مهام حراسة في معسكر 1391. فقبل أن يصعد إلى برج الحراسة، تلقى أمرا صريحاً من الضابط المسئول: "عندما تكون فوق البرج، لا تنظر إلا إلى الأمام. إلى خارج القاعدة، وإلى الأطراف. أما ما يحدث خلفك فهو ليس من اختصاصك. إياك أن تدير رأسك إلى الوراء.

لكن جندي الاحتياط في سلاح الاستخبارات، لم يكن قادراً على ضبط نفسه، إذ راح يسترق النظر بين حين وآخر، إلى الوراء. شاهد من فوق نقطة حراسته الجدران الشائكة المزدوجة المحيطة بالمعسكر، وكلاباً هجومية مدربة تجول في الشريط الواقع بين الجدارين، وسيارة جيب عسكرية تقوم بأعمال الدورية في الجانب الداخلي للسياج، والمركبات التي يستخدمها أفراد الوحدة التي تتولى إدارة القاعدة، والمبنى الإسمنتي الضخم، القديم، الذي استخدمته الشرطة البريطانية في عهد الانتداب والذي تحيط باسمه الآن هالة من الغموض: معسكر الاعتقال السري في دولة إسرائيل.

ثمة أوجه شبه معينة بين معسكر الاعتقال الأمريكي في كوبا وبين هذا المعسكر، وخصوصاً بكل ما يتصل بعلامات الاستفهام القانونية والقضائية التي تحوم حول المعسكرين والشكوك المريبة حول ما إذا كان وجودهما أو نشاطهما يتماشى مع مبادئ الديمقراطية. ولعل معسكر غوانتانامو الأمريكي يتقدم على نظيره الإسرائيلي من حيث الموقع الجمالي على الأقل، إذ تشاهد أبراج الحراسة الأولى من مياه البحر الكاريبي، في حين يقع السجن السري الإسرائيلي بجانب شارع اعتيادي وسط البلاد.

من الداخل، يبدو السجن كأي قاعدة عسكرية اعتيادية، عنابر للجنود وغرفة طعام وورشة لتصليح وصيانة السيارات. وباستثناء الحراسة الجسدية، التي أوكلت لمجندين جدد في الغالب، فقد أحيط المعسكر 1391 من جانب دولة إسرائيل بسور حصين من التكتم والسرية.

فمنذ الثمانينيات، حينما نقل المعسكر من موقعه السابق في جنوب البلاد إلى موقعه الحالي، تبذل إسرائيل كل جهد مستطاع في سبيل إبقاء وجود هذا السجن في حد ذاته طي السرية التامة. وحتى بعدما كشف أمره، لا تزال الدولة ترفض إشراك العالم والجمهور الإسرائيلي في طائفة التساؤلات المتعلقة بالسجن: مكانه، وهوية المعتقلين، وأسباب سجنهم هناك، ومدة سجنهم، وهل حوكموا قبل سجنهم، أو هل ينتظرون المحاكمة، وما هي الظروف التي يتم اعتقالهم فيها، وغيرها من التساؤلات التي تكون إجاباتها في أي معسكر أو منشأة اعتقال أخرى في إسرائيل واضحة وخاضعة لرقابة خارجية وقضائية.

سجن 1391، حسبما هو معروف، هو السجن الوحيد الذي لا يعرف المعتقلون فيه مكان احتجازهم، فعندما حاول أحد منهم الاستيضاح، رد عليهم الحراس بأنهم محتجزون "في المريخ" أو في "الفضاء الخارجي" أو "خارج حدود إسرائيل". وهذا هو السجن الوحيد الذي رفضت الدولة السماح لممثلي الصليب الأحمر بزيارته. كما أن أعضاء الكنيست لم يقوموا بزيارته مطلقاً، حتى أن السياسيين الإسرائيليين، وبضمنهم مسؤولون سابقون في الحكومة، أبدوا جهلاً تاماً بشأن وجوده عندما سئلوا عنه.

يقول المحامي دان باكير، المستشار القانوني لجمعية حقوق المواطن في إسرائيل إن أي منشأة اعتقال سرية تعتبر منافية للمبادئ الأساسية في أي مجتمع ديمقراطي، وللشفافية والرقابة العامة على سلطات الحكم. كما إن وجود معتقل من هذا النوع يثير مخاوف مزدوجة، أولاً مخاوف بوجود اعتقالات سرية وحالات اختفاء أو مفقودين، وثانياً مخاوف من إساءة استخدام القوة وإساءة المعاملة وممارسة العنف والتعذيب.

هذه المخاوف لها أساس من الصحة كما سنبين لاحقاً، إذ تقول عضو الكنيست زهافا غالئون والتي طلبت السماح لها بزيارة سجن 1391، لكنها لم تلق جواباً إن حقيقة وجود سجن كهذا، لا يعرف أحد مكانه من ناحية رسمية، هي من سمات الأنظمة الديكتاتورية، الشمولية ودول العالم الثالث.

ولعل أحد أسباب هالة السرية المحيطة بالمكان يرجع إلى حقيقة كونه وسط قاعدة عسكرية تتبع إحدى الوحدات السرية في سلاح الاستخبارات - الوحدة 504 – التي تتولى جمع معلومات استخبارية عن طريق العنصر البشري، وبشكل أساسي بواسطة استخدام عملاء ومخبرين خارج فلسطين المحتلة. ويتولى بعض ضباط الوحدة مهمة تشغيل العملاء والاتصال بهم، فيما يعمل ضباط آخرون في التحقيق.

نشاطات الوحدة المكثفة في لبنان سلطت الأضواء على معسكر 1391، الذي تحول إلى مركز للتحقيق مع المشبوهين بالانتماء لمنظمة حزب الله الذين اعتقلهم أو اختطفهم الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان. وكان من أشهرهم الشيخ عبد الكريم عبيد ومصطفى الديراني.

الطائرة العمودية التي اختطف بها الشيخ عبيد من منزله في بلدة جبشيت بجنوب لبنان، أحضرته مباشرة إلى بوابة المعسكر 1391. ولم يغادر عبيد المعسكر، باستثناء حالات تمديد اعتقاله في المحكمة، سوى مرة واحدة بعد مرور 13 عاماً على اختطافه واحتجازه، حيث نقل عبيد وديراني إلى سجن كفار يونا.

لكن عبيد وديراني ليسا المختطفين الوحيدين اللذين زج بهما في زنازين 1391. فقد احتجز فيه أحد الشبان اللبنانيين، ويدعى هاشم واصف، الذي تصادف وجوده في منزل الشيخ عبيد عندما قامت وحدة إسرائيلية باقتحام المنزل، لتقتاده أيضاً، حيث مكث 11 عاماً في السجن، بداية في معسكر 1391 ثم نقل في السنوات الأخيرة إلى سجن الرملة. وطوال هذه المدة لم يحاكم أو توجه له أية تهمة، فضلاً عن أن الحكومة الإسرائيلية أنكرت في السنوات الأولى حقيقة وجوده رهن الاعتقال لديها، ومنعته من الاتصال مع العالم الخارجي.

وفي نيسان 2000، أقرت المحكمة الإسرائيلية العليا الإفراج عن هاشم مع 18 معتقلاً لبنانياً آخرين احتجزوا حسب الرواية الإسرائيلية الرسمية كرهائن مقابل ملاح الجو الإسرائيلي المفقود في لبنان رون أراد.

يقول بعض سكان المنطقة التي يقع فيها معسكر 1391، إنهم يتذكرون أنه كانت هناك لغاية السبعينيات لافتة قرب المعسكر تشير إلى أن البناية الإسمنتية القديمة التي تتوسطه استخدمت في عهد الانتداب كمخفر للشرطة البريطانية، ثم اختفت اليافطة، وكذلك اليافطة التي وضعت لاحقاً قرب مدخل القاعدة والتي كتب عليها اسم المعسكر 1391، أزيلت قبل عدة سنوات.

في الصور الجوية الرسمية، وكما هو متبع إزاء المنشآت الأمنية الأخرى، لا وجود للمعسكر، حيث تظهر مكانه حقول وتلال جيء بصورها من مكان آخر لتوضع بطريقة تخفي كل أثر للمعسكر في الصور الجوية. كذلك، فإن معظم الخرائط لا تحتوي على أثر للمعسكر.

يتعين على القادمين للمعسكر اجتياز بوابتين أحيطتا بأسلاك شائكة. بعد اجتياز البوابة الأولى يتم إقفالها آلياً، وبعد ذلك فقط تفتح البوابة الثانية. قسم الاعتقال والتحقيق يقع على مقربة من غرفة الطعام. زنازين الاعتقال القائمة على دهليز طويل، تلتصق إحداها بالأخرى، تفصل بينها جدران إسمنتية سميكة. ولا يستطيع المعتقلون الإتصال فيما بينهم سوى عن طريق القرع على الجدران أو الصراخ على بعضهم، كما يقول أحد الضباط الذين خدموا في المعسكر، مضيفاً: إن هذه ممنوعات، لكننا لم نكن نملك القدرة دوماً على ملاحقة مثل هذه الأمور. وحتى لا يتمكن المعتقلون من معرفة مكان وجودهم، يتم إحضارهم لمعسكر الاعتقال بعيون معصوبة. وفي مرحلة استيعابهم داخل السجن، تصادر منهم حاجاتهم الشخصية، وتنزع عنهم ملابسهم ليرتدوا بدلاً منها بنطالاً وقميصاً بلون أزرق.

زنازين الاعتقال متشابهة جداً، وهناك حجرتان فقط واسعتان نسبياً (2.5) متر مربع، أما غرف الزنازين فتعتبر سيئة للغاية، إذ لا تزيد مساحتها عن 1.25 متر مربع. كما أن الظلمة فيها شديدة، حيث طليت جدرانها باللون الأسود أو الأحمر. أبواب الزنازين صنعت من فولاذ سميك، ولا يوجد في الزنزانة أي نافذة أو تهوية ما عدا كوة صغيرة في الباب لا تفتح إلا من الخارج.

داخل كل زنزانة توجد مسطبة من الباطون ملاصقة لأحد الجدران تستخدم كسرير وضعت عليه فرشة وبطانية. وفي الجدار المقابل للمسطبة، هناك فتحة، أشبه بماسورة يضخ الماء عبرها، لكن الحنفية تخضع لسيطرة وتحكم الجنود خارج الحجرة. وهناك تحت مصب الماء ثقب في أرضية الحجرة أو الزنزانة، يستخدم كمرحاض لقضاء الحاجة.

هذه المعلومات نضعها امام الرأي العام العالمي لما يجري في السجون السرية الاسرائيلية وهذا غيض من فيض مما يرتكبه الاحتلال الصهيوني في فلسطين ❑❑

VOICE OF WOMEN
LA VOIX DES FEMMES
CANADIAN VOICE OF WOMEN FOR PEACE

دبلوماسية النذالة

ماجدع. محمد
سورية

✠ يهمس القميءُ بأذن قميءٍ على مقاس هواجسه
اشتمني
اغسل عرضي بلا استحياءٍ
وانشر عُريَّ
في التقاويمِ
في الصّحفِ والدوريات
في الحوليات
ولا بأس بأن توسّع مدار التعرية
كأن تنشر مثلاً فداحتي على الجدران
أو تلوّح بها على الأسطح ككشاش الحمام
أو تبثها على الشاشات
وبكل ما نهلتَه من علوم دبلوماسية النذالة
دوّن عاريَ بكامل قُبحه على الشاخصات
حتى يُقنعَ الأبلهُ سقيماً مثلهُ
بأننا أعداءٌ ألدّاء
من عتبة الخيمة حتى سياج مرابع السماء
وإلاّ فكيف ستحلّق هواجسهم كالأرياشِ
فرحاً من حولنا
وتخفق أفئدتهم من الإيمان تودُّداً إلينا
وهي ترفّرف نشوى من فيض الاحتفاءِ بنا
نحنُ الأوباشُ المجرّدون من كسوة النُّبلِ
فتحمينا أوبار جلودهم
مِن قيظ الحياة وزمهريرها
وكلّما تهارشوا أكثر
منحتنا أرياشهم المتطايرة المزيدَ من النشوةِ
وفرصةً أخرى للنجاة ✠✠

رقصة البنادق والسحرة

إيفان علي عثمان
العراق

✠ أنامل الثلج تتموج مع VOLK
أوشحة طائرة
تتعرى على الرخام
غابة من السنابل الكرزية تغزو المرايا

2
أصابع برغندية
درابزين من السنديان
نجمة نبيذية
ترسم حواجب الثورة على جدار الشرق
كأس فودكا يحتسي العشق Suspiria
رقصة البنادق والسحرة

3
البعد البري
يتدلى من يسار الساكورا البؤساء
يفرون نحو النص الموحش Madame Blanc
رايات من الحرير
ترفرف في وريد الماء ✠✠

أين يقع لبنان في مؤشر الابتكار العالمي لعام 2018؟

عادل عبد الزهرة شبيب
العراق

❑ يعد مؤشر الابتكار العالمي أداة كمية مفصلة تساعد صانعي القرار عبر العالم على بلوغ فهم افضل لسبل تحفيز النشاط الابتكاري الدافع للتنمية الاقتصادية والبشرية.

والمؤشر ينشر سنويا منذ عام 2007 , وهو اداة قياس رئيسة بالنسبة لمديري الأعمال وواضعي السياسات وغيرهم ممن يريدون الاطلاع على حالة الابتكار في العالم. والمؤشر يقيس الرخاء في البلدان وفقا لعدة معايير ويعتمد في الغالب في تصنيفه على تسعة معايير رئيسة والعديد من المعايير الفرعية.

وتتمثل المعايير الأساسية بـ :
1. الجودة الاقتصادية, الذي يتضمن قياس : انفتاح الدولة الاقتصادي, ومؤشرات الاقتصاد الكلي وأسس النمو والفرصة الاقتصادية وكفاءة القطاع المالي
2. بيئة الأعمال الذي يتضمن قياس : بيئة ادارة الأعمال والبيئة التحتية للأعمال ومعوقات الابتكار ومرونة سوق العمل .
3. الحوكمة والذي يتضمن قياس اداء الدولة في ثلاثة جوانب : كفاءة الحكومة, والديمقراطية والمشاركة السياسية, ودور القانون.
4. التعليم والذي يتضمن قياس: اتاحة التعليم وجودة التعليم والعنصر البشري
5. الصحة والذي يتضمن قياس اداء الدولة في ثلاثة جوانب : الصحة البدنية والذهنية, والبنية التحتية للصحة, والرعاية الوقائية.
6. السلامة والأمن والذي يتضمن قياس: الأمن القومي والسلامة الشخصية.
7. الحرية الشخصية, والذي يتضمن قياس تقدم الدولة نحو الحقوق القانونية والحرية الشخصية والتسامح الاجتماعي.
8. رأس المال الاجتماعي, والذي يتضمن قياس: قوة العلاقات الشخصية والدعم الاجتماعي والأعراف الاجتماعية والمشاركة المدنية في البلاد.
9. البيئة الطبيعية والذي يتضمن قياس اداء الدولة في ثلاثة جوانب: جودة البيئة الطبيعية , وضغوط البيئة , وجهود المحافظة على البيئة.

يضع مؤشر الابتكار درجة من صفر الى 100 في كل معيار على حدة وتجمع كل الدرجات في درجة واحدة متوسطة تتراوح من صفر الى 100 ,وكلما اقتربت الدولة محل الدراسة من 100 دل ذلك على انها اكثر رخـاء وحلت في ترتيب متقدم في المؤشر, والعكس صحيح فكلما اقتربت الدولة محل الدراسة من الصفر دل ذلك على انها اقل رخاء وحلت في ترتيب متأخر في المؤشر الذي يتضمن ايضا ترتيب كل الدول في كل معيار من المعايير التسعة على حدة وبهذا الصدد فقد تصدرت النرويج قائمة المؤشر فيما حصلت اليمن على المركز الأخير في القائمة. بينما سيطرت القارة الأفريقية على قائمة ادنى عشر دول في مؤشر الابتكار العالمي بوجود سبع دول افريقية وثلاث دول اسيوية هي العراق وافغانستان واليمن, وشملت القائمة اربع دول عربية هي العراق واليمن والسودان وموريتانيا.

وكان ترتيب لبنان 90 عالميا لعام 2018 الذي ضم 127 دولة واقتصادا حول العالم. وتذيلت اليمن المؤشر عربيا وعالميا بحلولها في المركز 127عالميا. بينما احتل لبنان المرتبة 81 عالميا في مؤشر الابتكار لعام 2017 .

مؤشر الابتكار العالمي هو تقرير يشارك في نشره كل من جامعة كورنيل والمعهد الأوربي لإدارة الأعمال (الانسياد) والمنظمة العالمية للملكية الفكرية (الويبو, وهي احدى وكالات الأمم المتحدة المتخصصة).

اما فيما يتعلق بتقرير التنافسية في العالم العربي لعام 2018 الذي نشره المنتدى الاقتصادي العالمي ومجموعة البنك الدولي فقد حل لبنان في ذيل قائمة الدول العربية لعام 2018. وبين التقرير بأن لبنان يتمتع بنتائج لا بأس بها فيما يخص مؤشر تطور الأعمال والاستعداد التكنولوجي والابتكار. ويشير التقرير الى أن لبنان لا يزال مثقلا بسبب هشاشة البنية الاقتصادية الكلية وضعف سوق العمل وعدم فعالية مؤسساته والتي تعتبر امورا اساسية في تنافسية الدول .

الا أنه لا بد من الإشارة الى ان الأوضاع الحرجة في سوريا وتدفق اعدادا كبيرة من اللاجئين ادى الى استنزاف الموارد الاقتصادية والى ضغوطات كبيرة على كل من النظام التعليمي والصحي خصوصا مع زيادة عدد الأمراض المعدية.

ووجد التقرير بأن لبنان قد تمكن من تحسين مستويات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وذلك بفضل زيادة عرض نطاق الانترنت الدولي واشتراكات الانترنت المتنقل , في الوقت الذي تراجع فيه الانكماش مما ساهم في النهوض بالاقتصاد الكلي للبنان بعض الشيء ❑❑

واحة الديمقراطية تتأقلم مع محيطها

يعقوب بن إفرات
فلسطين

❑ المقولة، "الديمقراطية لا تصلح للعرب"، هي أشهر مقولة تستخدم من قبل الأنظمة العربية لتبرير طبيعتها الإستبدادية الفاسدة، وأصبحت أيضا حجة أساسية في قمع الربيع العربي والشعوب المطالبة بإسقاط الأنظمة. هذه المقولة المدعومة بأموال الخليج منحت الجيوش العربية "حامية الوطن" الشرعية للبطش وذبح كل من تجرأ الخروج الى الشارع مطالبا بالحرية. الجيش المصري، السوداني، الجزائري، الليبي والسوري موحدين في السعي لإدامة السلطة بإسم "إحباط المؤامرات على العرب".

أما إسرائيل فهي نفسها تبرر سياساتها الحربية وعلاقتها مع هذه الأنظمة المجرمة بالإدعاء ان ما يصلح لليهود لا يصلح للعرب، إذ أن الأنظمة العربية القمعية هي ضرورة لا بد منها بسبب عدم مؤهلة العرب للنظام الديمقراطي. بحسب هذا الادعاء تعتبر إسرائيل واحة الديمقراطية في صحراء الإستبداد العربي ولذلك فمن الطبيعي ان يتماثل الغرب بل ويدعم إسرائيل التي تعتمد قيم الحضارة الغربية.

الا انه وبخلاف لهذه الرواية تبينت إسرائيل في الأسبوع الأخير كرمز للنظام الفاسد القاضي على المؤسسات الديمقراطية. الحادث الإستثنائي وغير المألوف كان عندما وبعد شهرين فقط من الإنتخابات للكنيست وجدت إسرائيل نفسها وهي تعيد لانتخابات بعد ان فشل نتانياهو في تشكيل إئتلاف حكومي رغم فوز الكتلة اليمينية ب65 مقعد من مجمل ال120. وبالرغم ان الشعب الإسرائيلي حسم أمره وصوت بأغلبية لصالح نتانياهو الا ان قراره هذا لم يتم ترجمته بإنشاء حكومة إئتلافية جديدة بل ادى الى زلزال سياسي غير مسبوق وضع البلاد في حالة من الترقب وعدم الإستقرار السلطوي.

أسباب الفشل بقيت غامضة، إذ كان الموضوع العيني الذي عرقل التوقيع على إتفاق إئتلافي جديد بقيادة نتانياهو كان الخلاف بينه وبين رئيس حزب "اسرائيل بيتنا" افيغدور ليبرمان حول قانون تجنيد الطلاب المتدينين الى الجيش. رغم عن ان ليبرمان قد حظي في الانتخابات الأخيرة فقط بخمسة مقاعد اغلبها من الناخبين من أصل روسي، فالإئتلاف اليميني الجديد كان لا بد ان يضم حزبه ودونه لم يكن ممكنًا لنتانياهو ان يضمن أغلبية برلمانية.

أزاء هذا الخلاف إنقسم الإسرائيليون الى معسكرين، معسكر يؤيد نتانياهو الذي إتهم ليبرمان بمسؤولية إسقاط حكومة اليمين، وفي المقابل معسكر يتعاطف مع ليبرمان ويتهم نتانياهو بفشل سياسي كبير وعدم القدرة على التوسط بين أطراف الائتلاف الحكومي. ولكن الحقيقة هي ان من يتحمل المسؤولية الكبرى على ما يحدث ليس نتانياهو وليبرمان لحالهم بل مليون ناخب اسرائيلي الذين قرروا أن يدلوا بصوتهم لحزب الليكود برئاسة نتانياهو وغضوا الطرف تماما للائحة الاتهام الخطيرة التي من المقرر ان تقدم ضد نتانياهو بثلاث ملفات بتهمة الفساد.

لقد تحولت الإنتخابات الأخيرة الى إستفتاء حول شخصية نتانياهو ليس الا، بينما أصبحت القضايا الامنية، الحرب والسلام، الإقتصاد والرفاه مهمشين ولم يتم مناقشتها. كل ما اهتم به الجمهور في إسرائيل كان مسألة تبرئة نتانياهو او إدانته إذ سعى زعيم الليكود الى تحويل التصويت الى إستفتاء شعبي حول الموضوع بدل ان يتم حسم المسألة في المحكمة.

ان الحالة الإسرائيلية ليست إستثنائية بل أصبحت قاعدة. النظام الديمقراطي موجود اليوم بمأزق بأكثر من دولة وعلى رأسها امريكا وبريطانية. ان القاعدة الإنتخابية للرئيس ترامب في أمريكا لا تبالي بكل التهم المواجهة ضده، مثل التواطؤ مع روسيا، او عرقلة القانون او حتى إخلاقه الفاسدة الامر الذي يهدد أركان النظام الديمقراطي الأمريكي بفقدان مصداقيته. اما وفي بريطانيا فقد أنجرّ الشعب وراء وعود حول التخلي عن الأجانب في حالة الإنفصال عن الإتحاد الأوروبي وصوّت بنعم بإتفتاء حول ما يسمى "بريكسيت" على عكس كل التوقعات ومنذ ذلك الحين سقطت حكومتين من خلال ثلاث سنوات والبلد موجود في حالة من الشلل السياسي.

نتانياهو إذن ليس لوحده وله أصدقاء كثر يتصرفون مثله بالضبط: يستعملون دعاية شعوبية ويتلاعبون مع خوف الناس من الغريب والأجنبي ويعتمدون على القومية المفرطة والمغلقة برفع الشعار "إسرائيل أولاً" (او أمريكا او روسيا او المجر او ايطاليا). كل الأنظمة اليمينية المتحالفة مع نتانياهو تشن الحرب على الصحافة الحرة وتعمل جاهدة من أجل تغيير تركيبة المحكمة العليا كي يتلائم مع توجهاتها. هذه هي من سمات زعماء مثل ترامب وبوتين وفيكتور اوربان وماتيو سالفيني وحتى اردوغان في تركيا. اما ونتانياهو مثله مثل أصدقائه يعمل على إنقاذ نفسه من الملاحقة القانونية وربط مصير البلاد كله والنظام الديمقراطي بمصيره الشخصي. ان الشعب الإسرائيلي قرر بأغلبية بان الفساد مسموح ما دام نتانياهو من يضمن له الإستقرار الأمني وإقتصاد يراعي رفاهية الطبقة الوسطى من اصل شرقي والتي تعيش خارج العاصمة الإقتصادية تل ابيب.

اما ما يهدد الديمقراطية الاسرائيلية ليس الشعب الإسرائيلي المضلل بل قيادته اليمينية المتطرفة التي طبقت نظام الأبرتهايد في الضفة الغربية وأحكمت الطوق المميت على غزة. وقد تخلى نتانياهو نهائيا عن فكرة حل الدولتين وحظى بدعم كلي من ترامب الذي خيط "صفقة القرن" على مقاس نتانياهو. ها نحن نرى أمامنا كيف تتحول "واحة الديمقراطية في الشرق الأوسط" بإذن من البيت الابيض الى دولة نظامين، حكم ذاتي فلسطيني دون حقوق مدنية او سيادة، الى جانب نظام ديمقراطي مشوه داخل حدود الخط الأخضر الذي يفصل بين المناطق المحتلة واسرائيل. ما يضمن الاستقرار الأمني داخل إسرائيل وتمتع نتانياهو بدعم شعبي هو التنسيق الأمني مع السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية وصفقة الدولارات القطرية مع حماس في غزة مقابل الهدوء على جدار الفاصل بين إسرائيل وغزة.

من الصعب التكهن بما ستكون نتيجة الإنتخابات في شهر أيلول القادم، لكن من المؤكد ان إعادة إنتخاب نتانياهو ستعيد الأزمة من جديد لسببين: الأول يعود الى عدم وجود مقاعد كافية لتشكيل حكومة خصوصا بعد الطلاق بين نتانياهو وليبرمان. السبب الثاني هو الأخطر، فحتى اذا تمكن نتانياهو من تشكيل حكومة عليه ان يغير القانون حتى يستطيع التهرب من المحاكمة. بكلمات أخرى، نتانياهو "الساحر" الذي أثبت قدرته على النجاح داخليا وخارجيا بما في ذلك تأثيره على الساحة العالمية بهدف إلغاء الاتفاق النووي مع ايران، المراهنة على ترامب ضد اوباما، علاقته الحميمة مع بوتين، تنسيقه الامني مع ابو مازن رغم المضايقات الذي فرضت على السلطة الفلسطينية، معاملته مع حماس وعلاقته الاستراتيجية مع مصر والسعودية - نفس نتانياهو أصبح عقبة سياسية كبيرة تهدد الإستقرار السياسي والنظام الديمقراطي الذي تفتخر اسرائيل به منذ عقود.

لا بد من التنويه هنا بأن الأزمة السياسية في إسرائيل لا تنحصر في شخصية نتانياهو بل تعكس المأزق الذي دخل اليه نهجه السياسي والإقتصادي على مدار 20 سنة. ان رحيل نتانياهو عن المشهد السياسي في إسرائيل يشكل إذن نهاية لعهد وبداية لعهد جديد. ان المعارضة السياسية لنتانياهو المتمثلة في حزب "ازرق ابيض" بقيادة ثلاثة رؤساء الأركان للجيش لا تحمل معها برنامجًا بديلًا، فهي لا تعارض ترامب وسياسته ولا تطرح حلًا للقضية الفلسطينية وليس لها بديل إقتصادي. ان الإعتماد على التنسيق الأمني مع السلطة الفلسطينية وعلى التفاوض عبر مصر وقطر مع حركة حماس ليس حل جذري لمصير 5 ملايين فلسطينيين العائشين في ظروف صعبة ودون التمتع بحقوق مدنية وحياة كريمة.

الإستمرار بسياسة رأسمالية نيو ليبرالية التي تمنح كل التسهيلات الضريبية لرأس المال الكبير، من شأنها ان تجبر الحكومة على تقليص الميزانيات على البنية التحتية وعلى الصحة والمواصلات والتعليم والرفاه. فسياسة الإعتماد على القطاع التكنولوجي دون مراعاة الطبقات المسحوقة ستؤدي لا محالة الى أزمة إجتماعية شبيهة بما تمر بها الولايات المتحدة وبريطانيا.

لذلك فان المطروح في حملة الانتخابات الجديدة ليس حلًا للازمة السياسية وإستبدال نتانياهو فقط بل مواجهة القضايا الأساسية والمصيرية التي ستحكم مستقبل الشعب الإسرائيلي. ان البديل الوحيد لمواصلة النزاع مع الفلسطينيين ونظام الفصل العنصري، وللحملة على النظام الديمقراطي ومن اجل وقف التدهور نحو الأزمة الإقتصادية، هو بانهاء نظام الابرتهايد في الضفة الغربية وفك الحصار عن قطاع غزة وإنشاء نظام ديمقراطي حقيقي في إطار دولة واحدة ديمقراطية من النهر للبحر يتمتع فيها كل مواطنيها فلسطينيين واسرائيليين بحقوق متساوية. اما الأساس الاقتصادي لمثل هذه الدولة لا بد ان يكون الإقتصاد الأخضر الجديد، المبني على اساس الطاقة المتجددة والثورة التكنولوجيا الجديدة التي تفتح أفاق جديدة للإزدهار على اساس إقتصاد مستديم وتشاركي.

هذا هو المستقبل ليس للفلسطينيين والاسرائيليين فقط بل للإنسانية اجمع ❑❑

يعقوب بن افرات هو شخصية سياسية يسارية في فلسطين التاريخية. كان بن افرات عضوا في تنظيم "الشرارة" وكان بين من قبعوا في السجن الاسرائيلي بتهمة الانتماء للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين مع بداية الانتفاضة الأولى عام 1987.في سنة 1995 كان بن افرات من المؤسسين لحزب دعم العمالي الذي تمسك بموقف معارضة اتفاق أوسلو على اعتبار انه لا يحقق السلام العادل والحد الأدنى من الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني.

الرقابة الفكرية

عبدالامير آل حاوي
العراق

❑ أيام زمان ..حيث البساطة الخالية من التعقيدات التقنية التي غزت المجتمع الى أصغر حيز بل مسامة فيه ايام الفطرة السليمة والنيات الحسنة ولغاية سنوات ليست ببعيدة عن ذاكرة المجتمع والناس كانت هناك ذائقة خاصة نظيفة شفافة للانتاج الفكري تمتاز بجمال الكلمة ورقتها ووضوح الفكرة وسمو اهداف الموضوع المطروح للقراءة أو المشاهدة أو الاستماع وهذا ما يعد من معايير التطور الثقافي والاجتماعي التي يقاس بها المستوى الحضاري لاي مجتمع يتقبلها ويتفاعل معها حتى وان كانت محاولات ونتاجات فردية أو محدودة تنبع من واقع متردي فقير أو مزدهر على حدٍ سواء ..والدليل على ذلك أرتقاء الانتاج الادبي والفني وعلى كافة الاصعدة والميادين في العراق حتى بات مناراً يهتدي به ويحذو حذوه مبدعي وفناني الدول المجاورة . الكتابة والنشر ،الاذاعة والتلفزيون ،السينما والمسرح كلها ادوات تعبيرية للوجدان والضمير والمشاعر الانسانية والعواطف والحماس والوطنية.

وقد يعتقد الكثير تماشياً مع موجة الديموقراطية الزائفة التي تجتاح بلدان العالم (بفعل فاعل) أن الرقابة والسيطرة على هذه الانشطة يعد تعسفاً وظلماً وأنتهاكاً للحقوق والحريات التي عادةً ما تمتاز بها الأنظمة الشمولية الدكتاتورية التي تضييق على حرية الراي والمعتقد والتعبير عن الافكار خصوصاً تلك التي تقض مضاجع السلطة وتطير النوم من أعينها والتي تعمل على اثارة الرأي العام وتأجيج الشارع ضدها ... ولو تماشينا مع مثل هذه الطروحات والأراء يكون السؤال المهم هل البديل الانفلات التام والهبوط الفكري وتدني المستوى الى حد الابتذال ولجوء الدخلاء على الثقافة والابداع والكثير من كتاب وأدباء وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة الى لغة سوقية مليئة بالاخطاء الاملائية واللغوية ناهيك عن سطحية وتفاهة ما يطرح الامرالذي لا يمكن القبول به باي حال من الأحوال وبالمقابل هناك بالتأكيد من يلقي الضوء وينيرالزوايا المعتمة ويعبر عن الخلجات والدواخل الانسانية والقيم والتقاليد الاجتماعية ويقارع الظلم والاضطهاد بشكل راقي ورائع ورفيع المستوى ،صحيح ان حرية التعبير وأبداء الرأي مكفولة دستورياً ليس على صعيد العراق فحسب بل عالمياً وفق الاعلان العالمي للحقوق والمواثيق الدولية لكن هل يعني ذلك عدم أخضاع الأنتاج الفكري وحرية الرأي والتعبير الى أي ضوابط أو قيود ينص عليها قانون ينظم لهذا الشأن ووفق ألية معتمدة لتكون هذه الضوابط بمثابة محددات تعمل على فرز الغث عن السمين وتصفية السموم الفكرية الهدامة للقيم والاخلاق أو التعرض والعبث بحريات الاخرين بشكل سافر تحت عنوان حرية التعبير وخدش الحياء كما هو حال الاغاني والافلام وبعض المطبوعات المنتشرة الآن ، أذن الحل يكمن بفهم المعادلة المهمة التي تنص على (كل حق ممنوح يقابله واجب مفروض) وحرية التعبير احد هذه الحقوق التي يترتب عليها مسؤلية تعادلها وبناءاً على هذه القاعدة لابد من الموازنة التي تبدأ من الذات الشخصية لتشكل بمجموعها الضمير الاجتماعي أو الرقابة العامة وخير مصداق على هذا الآية الكريمة (وكفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) لاحظ الدقة (نفسك) أولاً وليس شئ أخر وهذا المعيار لا يختلف عليه حتى العلمانيون الذين قد يزعجهم الرجوع الى نصوص القرأن .

أن المنابر الاعلامية الكبرى وخلال العقدين أو الثلاثة المنصرمة سيطرة عليها مؤسسات ضخمة وكبيرة تدار باموال طائلة يقف ورائها أشخاص وعوائل من أمراء المال المرتبطين بمنظمات وجمعيات مشبوهه كل همها تدمير الانسان للسيطرة على العالم ونهب خيراته والتحكم بحركة كل شيء وفق أرادة هذه المؤسسات...هنا تبرز أهمية الرقابة الفكرية على ما تنتجه مثل هذه المؤسسات التي تقلب الحقائق وتشوه الواقع وتعمل على تضليل الناس وغسل أدمغتهم وتوجيههم لا شعورياً نحو أهداف محددة وحصر أهتماماتهم بكل ما هو غرائزي رخيص . ولعل المستوى العالي من الاداء الشيطاني والجهنمي وفق اسس علمية نفسية تتلاعب وتوهم وتضلل عقول الجماهير بالمقابل جدب الساحة الثقافية للاقلام الواعية والمتصدية لمثل هذه اللعبة من جهة وغياب الرقابة من جهة ثانية تعد مشكلة لابد من الوقوف عليها طويلاً ❑❑

فلسطين الصهيونية بين مجتمع مستوطنين ووطن قديم لشعب جديد

الأدبيات الأكاديمية و إعادة كتابة تاريخ فلسطين

محمود الصباغ
فلسطين

❑ كان حاييم وايزمان قد لاحظ في رسالة وجهها للرئيس [الأمريكي هاري] ترومان في كانون أول-ديسمبر 1945 بأن " فلسطين قياساً بحجمها و مساحتها, ربما تكون من أكثر البلدان الي تعرضت للبحث و التقصي في العالم " [1]. وكان للصراع العربي-اليهودي على فلسطين دوراً محرضاً في تحول الاهتمام الشعبي وأنشطة اللجان الدولية والمجموعات الخاصة إلى مرشد للباحثين والمفكرين الذين ينتمون لمجموعة واسعة من التخصصات سواء كانوا باحثين كتابيين أم آثاريين أم رجال دين ولاهوتيين أم من يعملون في حقل البحوث التاريخية والاجتماعية. واستناداً إلى هذا العمل، أكد المجتمع الدولي عبر الانتداب, الحق الشرعي والأخلاقي لليهود في إعادة تشكيل أنفسهم كشعب حديث في فلسطين[2]. وترتبط السابقة" إعادة" بالـ" العودة" و"الزعم", كما تشير كلمة "إعادة" أو تلمح -بالطبع- إلى معنى" العودة من جديد, و بالتالي شرعية الطيف الواسع من المفاهيم المتعلقة بالماضي اليهودي و أهميته بالنسبة للعالم المعاصر. ومن حيث الجوهر, كان الافتراض السائد على نطاق واسع-كما هو الحال في أدبيات العلوم الاجتماعية والإنسانية- أن انتماء اليهود التاريخي العميق و الحيوي للأرض كان ضرورياً لتأكيد حقهم في استيطانها[3].

إن ما تهتم به هذه المقالة هو بيان الجهات الرافضة لتفسير الماضي هذا وآثاره المعاصرة. وجذر هذا التغيير أو الرفض يعود في بدايته ,على الأقل, إلى ثلاثينيات القرن الماضي, لكنه أصبح واضحاً ومميزاً و متكرراً في الجيل السابق [لجيلنا], وبهذا سوف يخصص الجزء الأكبر من هذا المقال لدراسة هذا التطور النسبي الحديث. فيتم, أولاً, استعراض بعض التعليقات القليلة لاستعادة المفهوم السابق الذي حظي بدعم واعتراف المجتمع الدولي والأوساط الأكاديمية في حق اليهود في وطنهم في فلسطين.

"إعادة التأسيس" و الاستحواذ الثقافي

كان لمفهوم "إعادة البناء "معنى واضح ومثير في الجزء الأول من القرن العشرين, حيث كان يشير إلى تأييد عودة ظهور اليهود كعناصر فاعلة في التاريخ, وكان هذا بمثابة اعتراف بأن اليهود كانوا أمة مثل الأمم الأخرى, حيث صارت الدولة القومية العامل المميز والقيّم في الشؤون الدولية. فعلى سبيل المثال عبّرت مبادئ ويلسون الأربعة عشرة عن حقوق الأمم في تقرير المصير وفي دول خاصة بها. كما زخر العالم الأوروبي في القرن التاسع عشر, والعالم غير الأوروبي في القرن العشرين بحركات التحرر "الوطني".

وفُهمت الدولة القومية، منذ فترة الثورة الفرنسية على الأقل، على أنها الأداة اللازمة لمنح الحريات والحقوق الشخصية, فهذه الحقوق وتلك الحريات لا يمكن أن تنتج هكذا من الفراغ, بل لابد من إنجازهم عن طريق مجتمعات سياسية منتظمة حول شعوب واضحة, وبالتالي، اعتبرت القومية نزعة مثالية تقدمية من شأنها تعزيز مسيرة قيم التنوير السياسية العالية. ومع تفكك الإمبراطورية العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى، اخترعت عصبة الأمم نظام الانتداب لتعزيز التنمية الوطنية لمناطق واسعة كانت خاضعة لنظام حكم استمر نحو 500 عاماً, وكان القصد من الانتداب رعاية تشكيل دول جديدة حتى تنال استقلالها، وطبقت هذه الأداة, أي الانتداب, على اليهود، كما هو حال الشعوب العربية في سوريا والعراق. ومن وجهة النظر هذه، لم يكن يحق لليهود دولة فحسب, بل كيانهم السياسي الذي كان. ويقع هذا الكيان -بطبيعة الحال- في ذلك الجزء من العالم الذي نشأوا وأقاموا فيه منذ قديم الزمن، والذي ما زال يشكل حضوراً حيوياً للمنطقة، بما في ذلك فلسطين. وعلى الرغم من أن تعريف اليهود كشعب حديث كان له عواقب سياسية واضحة وجلية، إلا أن أي تناقض في هذا الوضع سيضر بشدة بالبرنامج

الصهيوني إن لم يكن سينفيه, ولذلك . لم يكن الاعتراف الرسمي من قبل الهيئات الدولية كافياً , بل كان من الضروري إعادة التأسيس لتكون بمثابة حجة تؤيد الشرعية وتدعم مثل هذا الاعتراف, ليس أقله الإجماع العام الذي مكّن من الاعتراف بإسرائيل في تشرين الثاني -نوفمبر 1947 من قبل الأمم المتحدة. ويمكننا العثور, ربما, على أكثر الأدلة وضوحاً وتمييزاً -بالنسبة لأولئك الذين يرغبون في الاعتراف- في عملية إحياء اللغة العبرية وتحويلها إلى لغة حية, يتعين بموجبها المشهد المكاني بهوية يهودية وتطوير الثقافة المحلية من خلال جذور تعود للماضي.

إعادة إقرار اللغة القومية

خلقت الصهيونية مجتمعاً على عكس "المجتمعات المتخيلة" الأوروبية الأخرى[4]. وكان الصهاينة قد نأوْ, صراحةً و بطرق حاسمة, بأنفسهم عن المنفى الأوروبي الذي تركوه وراءهم. ولم يتخيلوا قط, والحال هذه, ارتباط كيانهم السياسي بدولة أوروبية، كما أنهم لم يقوموا بغرس الثقافة الأوروبية في كيانهم بتلك البساطة. بل بعكس ذلك عبروا عن رفضهم الصريح والواعي للكثير من الماضي الأوروبي. ومن الأمثلة الرئيسية على ذلك النجاح الفريد لاستعادة اللغة العبرية كلغة حية واستخدامها في الأدب الشعبي النابض بالحياة, وفي الإعلام الحديث، والبحوث العلمية، والتجارة والسياسة. ولم يحدث, في العالم الحديث, أن تم-من قَبل- إحياء أي لغة قديمة أخرى، حتى لو كانت محفوظة في الصلوات المقدسة أو في دراسة متون النصوص المقدسة. ومع الأخذ في الاعتبار المواطنين اليهود والعرب في إسرائيل، والفلسطينيين في الضفة الغربية والدول المجاورة، واليهود في الشتات، فيوجد, بكل تأكيد, ليس أقل من 8 ملايين شخص أصبحوا الآن ملمين بالعبرية كلغة حية عصرية. وهذا العدد أكبر من أي عدد للناطقين بعدد من اللغات المعاصرة المحكية حتى في أوروبا. علاوة على ذلك، فقد اتخذ قرار إعادة إحياء اللغة العبرية على خلفية التعارض المباشر مع أولئك الذين أصروا الحفاظ على اللغات الأوروبية. في الواقع، حتى هرتزل كان يتوقع أن تكون اللغة الألمانية هي لغة الدولة اليهودية، ولكن في حالة معركة ثقافية قوية بين العلمانيين والمتدينين kulturkampf ، هزم هذا الاحتمال بشكل حاسم قبل الحرب العالمية الأولى.

الاستعادة عبر التسمية

شرعت الصهيونية أيضاً في "إعادة تخيل" أو "إعادة تشكيل" المشهد المكاني للبلاد. وكانت هذه العملية قد ابتدأت مع الأفواج الأولى للمستكشفين المسيحيين وعلماء الآثار وعلماء الكتاب المقدس القادمين من أوروبا والولايات المتحدة إلى فلسطين منذ منتصف القرن التاسع عشر عندما كانت البلاد لاتزال تحت الحكم التركي. ولم تكن الأسماء العربية المعاصرة سوى مجرد تعديلات أو تشويه للتسميات القديمة الموجودة في النصوص المقدسة أو غيرها من المصادر التاريخية. واصل المستوطنون الصهاينة هذه العملية، على الرغم من أنها لم تكن بالنسبة لهم مجرد استعادة أرض الكتاب المقدس, بل كان ينظر لها كمحاولات شخصية عميقة لإعادة تصور أنفسهم في أرض أسلافهم وبناء على ذلك تجاهل الصهاينة بطريقة واعية, عند إعادة تسمية الأرض، العديد من الدلالات المادية بالإضافة إلى الدلالات الاجتماعية والثقافية لكل من أوروبا والجيران العرب, ففي إسرائيل[اليوم]، لا يوجد نيو فيلنا أو نيو بيالستوك أو نيو وارسو, ولا نيو إنجلند أو نيويورك, أو كامبريدج, أو أكسفورد, أو باريس أو برلين، وهلم جرا. بل احتفى الصهاينة, بدلاً من ذلك، بالعودة للتاريخ, لرحوفوت الكتابية وأشكلون [عسقلان]. بالطبع لم تتطلب الحاجة إيجاد اسم جديد لأورشليم. بالإضافة إلى ذلك، تم إطلاق آلاف الأسماء على الشوارع والساحات العامة والمشاهد المكانية وبإشارات عبرية في كل مكان الأمر الذي حدى بالمراقبين - تحت وقع هذا التأثير الكامل- إلى اعتبار المستوطنات بمثابة مظهر ملموس لعملية الإحياء القومي على يد أشخاص يمكنهم أن يزعموا بصورة شرعية أنهم يعيدون السكان الأصليين[لموطنهم] [5]. والأمر ذاته تم التقاطه على صعيد الموسيقى والفن والأدب من خلال الإنشاء الواعي لـ "الفولكلور". غير أن هذا الأمر عبر عن مفارقة بطريقة ما, فالموسيقا و الثقافة الشعبيتين يستمدان بحكم تعريفهما من مبدعين مجهولين ينتمون للماضي, ولكن على مستوى التطبيق العملي الصهيوني، تحول هذا الأمر إلى مشروع واسع وواعٍ ترافق مع دعاية صاخبة بهدف تحويل المهاجرين إلى مواطنين أصليين[6]. ومن المفارقات أيضاً, امتداد عملية إعادة التأسيس إلى ما هو أبعد من ذلك, ففي أوائل ثلاثينيات القرن الماضي كانت قد بدأت تظهر مؤشرات انفصال الصابرا- اليهودي الجديد المعاد تكوينه والذي ولد و نشأ في فلسطين- عن الجذور الأوروبية للثقافة الصهيونية أو حتى عن تراث الأجداد كما تمارس في أرض إسرائيل[7]. حتى أن بعض الصهاينة أصبحوا مقتنعين بأن إعادة التشكيل قد تجاوزت الحدود[8]. تردد صدى التكيف والتحول ورفض أوروبا عبر الواقع الفكري والثقافي لليشوف. لقد كان واضحاً بصورة ساطعة أن الصهيونية لم تكن منهمكة في مجرد عمليات تقليد أو غرس مباشر, لم ينظر الصهاينة أنفسهم كأجانب أو غزاة, لقد كانوا غرباء لقرون عدة في الشتات, أما الآن, في أرض إسرائيل, فقد سخروا طاقة إبداعية هائلة تشعرهم أنهم في وطنهم، كما لو كانوا من السكان الأصليين, مثل هذا التجديد كان له كبير الدور في اقناع جزء ليس بقليل من المجتمع العالمي بأن اليهود كانوا مؤهلين للاستقلال داخل هذا الجزء من البلاد الذي طبعوه ببصمتهم بصورة ملحوظة.

نقض البراهين -نقض الطروحات

في خضم انهماك اليهود في عملية "إعادة البناء"، كان هناك من ينكر شرعية عملهم, وأتى هذا من خلال مساهمة جورج أنطونيوس، المفكر والباحث والموظف العام اللبناني-الفلسطيني الرائد الذي خدم في فلسطين في ظل البريطانيين وأمضى الكثير من الوقت في لندن. عرض أنطونيوس وجهات نظره بشكل منهجي في كتاب المؤيد لمصالح العرب والذي كان له شأن وتأثير كبيرين والمعروف باسم " يقظة العرب"[9] (1938) يبدأ فيه بتحليل تاريخي لظهور العرب في التاريخ، ويختتم ببيان وضعهم بعد الحرب العالمية الأولى، ويختم بالتهجم على شرعية المزاعم الصهيونية. يجادل "صحوة العرب" بأن لعرب فلسطين جذور عميقة وعلاقة غير منقطعة بالأرض إلى ما هو أبعد من الفتوحات الإسلامية في القرن السابع وتمتد بالفعل إلى الفترة الكنعانية التي سبقت غزو العبرانيين. باختصار، كانت فلسطين عربية منذ زمن سحيق، وكانت تستوعب الفاتح الواحد تلو الآخر. وكان العرب سكانها الأصلين الوحيدين والمقيمين فيها منذ فترة طويلة. ويحذر أنطونيوس بأن انتزاعهم من أرضهم سوف يستدعي مقاومة نشطة ومشروعة. والأهم من ذلك، يمكن تطبيق تعريف [سكان فلسطين] على المسيحيين والمسلمين على ح سواء و يمكن لهما أن يفهما ذلك, في حين أن اليهودي قضية أخرى .فالعبرانيين انقطعت صلتهم بالأرض واختفت باختفائهم. ويزعم أنطونيوس أن العبرانيين القدماء كشعب لم يختفوا فحسب، بل أن اليهود المعاصرين هم مجرد أعضاء في مجتمع ديني طائفي, وبهذا, إذا كانت اليهودية كديانة مازالت موجودة فإن اليهود كشعب لم يعد لهم وجود. وهذا يعني ضمنياً اختفائهم من المسرح العالمي. لم تقتصر صيغة معاداة الصهيونية بشطب اليهود كفاعلين في التاريخ مجرد أسلوب للكتاب العرب, بل ربما تكون قد وصلت إلى أوسع جمهور لها من خلال عمل [المؤرخ] أرنولد توينبي، المفكر والمسؤول البريطاني السابق والمفكر الذي على اطلاع على عمل أنطونيوس. وصف توينبي اليهود -في عبارة مسيئة ومهينة بشكل خاص-بأنهم "أحافير"،وبالتالي إبطال الزعم الصهيوني بـ " الاستعادة "(وهي عبارته التي تقابل: إعادة التشكيل).وهي التهمة التي دار حولها مناقشات واسعة في الخمسينيات والستينيات بين توينبي من جهة, وأبا إيبان وجاكوب تالمون وياكوف هرتسوغ وإشعيا فريدمان من جهة أخرى[10].

ومن المفارقات الجدير ذكرها أنه في الوقت الذي كتب فيه جورج أنطونيوس كتابه، كانت ألمانيا النازية تحمل النزعة القومية إلى أقصى الحدود الوحشية التي سعت الأجيال اللاحقة للحد من انتهاكات الدولة القومية الحديثة من خلال نداءات "حقوق الإنسان". يرى الكثيرون الآن أن الحقوق القومية هي بالضرورة حقوق ثانوية مقارنة بحقوق الإنسان. ومع ذلك، لم يتم تحديد مفهوم حقوق الإنسان بعد في الفترة التي كانت تدور فيها المناقشات الحاسمة حول مستقبل فلسطين. لقد تمت المصادقة على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان من قبل الأمم المتحدة فقط في كانون أول-ديسمبر 1948، أي بعد حوالي العام من موافقة الأمم المتحدة على إنشاء دولة يهودية. كانت الدولة القومية في العام 1947 لا تزال هي النظام المميز في غياب أي أداة أخرى لتوسيع وحماية الحقوق بشكل فعال. لذلك فإن نزع الصفة القومية عن اليهود أدى إلى إضعاف مزاعمهم بأحقيتهم في دولة تخصهم مما يجعلهم عرضة لمخاطر إرادة أغلبية الأغيار.

أصبحت وجهة النظر التي دافع عنها أنطونيوس عاملاً أساسياً في الوثائق والنقاشات العامة العربية حول مستقبل فلسطين ولا تزال وجهة النظر هذه جزءً من خطاب معاد لإسرائيل في أنحاء العالم العربي. يردد الميثاق الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية للعام 1968 صدى [رؤية] أنطونيوس في الفقرة 20 التي يتم الاستشهاد بها في كثير من الأحيان: "[يعتبر باطلاً كل من تصريح بلفور وصك الانتداب وما ترتب عليهما] وان

دعوى الترابط التاريخية أو الروحية بين اليهود وفلسطين لا تتفق مع حقائق التاريخ ولا مع مقومات الدولة في مفهومها الصحيح، وان اليهودية بوصفها ديناً سماوياً ليست قومية ذات وجود مستقل وكذلك فإن اليهود ليسوا شعباً واحداً له شخصيته المستقلة وإنما هم مواطنون في الدول التي ينتمون إليها"، فاليهودية كدين موجودة, ولكن الأمر ليس كذلك عند الحديث عن شعب يهودي, و من خلال تجريد اليهود من هويتهم القومية يتم تمهيد الطريق للادعاء بأن الصهيونية مجرد امتداد للإمبريالية الأوروبية وبالتالي تحول اليهود إلى مستعمِرين ظالمين ينبغي معارضتهم في سياق حرب عادلة يخوضها السكان الأصليين. وفي ميثاق حماس للعام 1988، تم تغليف هذا الرأي بالفقه الإسلامي وبالتالي تصبح الحرب ضد الاستعمار جهاداً. ومهما كان الخطاب، علمانياً أو دينياً, فقد أصبح فصل اليهود عن صفتهم القومية لازماً لجهة تبرير العنف وتدمير الدولة اليهودية.

أمثلة على التفكير المعاصر

ربما كان إدوارد سعيد أهم شخصية معاصرة كان لها تأثير على آلية نزع الصبغة اليهودية عن فلسطين، وهو مفكر مسيحي آخر عرف نفسه على أنه عربي- في هذه الحالة فلسطيني- على الرغم من غلبة تنويعات الإسلام باعتبارها العقيدة المهيمنة بين العرب. من الواضح أن كون المرء "عربياً" يعني ضمناً التطابق مع أشخاص تاريخيين في الشرق الأوسط يتشاركون في ثقافة مشتركة تشمل المسلمين والمسيحيين على حد سواء, ولكن ليس اليهود. وبالتالي، لا يمكن لليهود أن يكونوا عرباً على الرغم من سكنهم الطويل في المنطقة منذ ما قبل المسيحية والإسلام. إن ما يكمن وراء التأويل الذي يستبعد اليهود هو تعريف مبني بالضرورة على وعي ضار باليهود لا محالة . يتماثل [إدوارد] سعيد أيضاً مع تذمر أنطونيوس من تحيز البحوث الدراسية الغربية ضد العرب، متهماً إياها بأنها تخدم الاستعمار[11]. وشرع, مثل أنطونيوس في عرض تصحيح لفكرة "إعادة البناء". فهو يرى على سبيل المثال، في مؤلفه "لوم الضحايا: زيف البحوث الدراسية والقضية الفلسطينية"، أن فلسطين كانت موطناً لحضارة مميزة "قبل هجرة القبائل العبرانية الأولى إلى المنطقة بقرون"[12]. وبانتقاله إلى ما وراء خبرته المشهود لها في النقد الأدبي, يقوّم البحوث الكتابية و الآثارية التقليدية باعتبارها مجرد بحوث "إمبريالية بأثر رجعي" متواطئة في طرد العرب أو، مرة أخرى كما يقول سعيد نفسه "تعاون سلبي" في هذا السلوك الظالم. يقدم سعيد تعريف "بأثر رجعي" لأسلاف الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين المعاصرين باعتبارهم السكان الأصليين المقيمين منذ زمن سحيق؛ في حين أن اليهود مغتصبين, وبهذا, يعقد سعيد تحالفاً واضحاً مع البحوث الآثارية والكتابية التصحيحية الأخيرة لما يعرف بالـ minimalists, وسيتم التعليق على استخدام البحوث الكتابية ذات الدوافع السياسية أدناه. ثمة ملاحظة إضافية ذات صلة هنا. كما أوضح ذلك إيفان كالمار وديريك بنسلار في كتابهما الأخير، "الاستشراق واليهود"[13]. يشير الباحثان إلى أن اليهود, في الواقع, تم "استشراقهم" أو تهميشهم في أوروبا المسيحية. إن العبارة الأساسية هنا, هي أوروبا المسيحية، لأن الحديث عن الاستشراق الأوروبي بدون تقاليدها المسيحية يعد إغفالاً خطيراً , من جهته, يطابق سعيد اليهود فقط مع المؤسسة المسيحية الأوروبية، وإطارها الاستشرافي. إن ما يقوض ما يمكن اعتباره مفيد في حجة إدوارد سعيد الإيحاء بأن اليهود كانوا يُعتبرون غرباءً في أوروبا المسيحية وغالباً ما تم تعريفهم على أنهم آسيويون, وكان من شأنه جعل اليهود مستشرقين وكذلك أهدافاً للاستشراق في وقت واحد. يبسط سعيد الأمور عن طريق نزع اليهود من الشرق مع الحفاظ على هويتهم الأوروبية سليمة. وهكذا يظهر اليهود كجناة فقط، وليسوا ضحايا, ويظهرون من جديد كدخلاء في فلسطين العربية.

إن محو اليهود كعناصر فاعلة في التاريخ هو، بطبيعة الحال، موضوع مألوف في مصفوفة اللاهوت المسيحي وقد تم طرحه في خطاب [إدوارد] سعيد. وعلى سبيل المثال ,خلط لاهوت التحرير (الذي تم توضيح مبادئه لأول مرة من قبل رجال الدين في العالم الثالث الملتزمين بمناهضة الاستعمار والماركسية) بين اللاهوت والتاريخ والسياسة على أيدي أنصار الفلسطينيين. فيؤكد-مثلاً- يؤكد نعيم عتيق رجل الدين المسيحي البارز الذي يعيش في إسرائيل ويدعي بأن أسلافه عاشوا في فلسطين ما قبل الإسلام بالفعل حتى وقت الفادي، أن المسيحية تدعم القضية الفلسطينية حيث أن يسوع لم يبشر بدين موروث فحسب، بل تقاسم الوعود الإلهية التي قدمت للعبرانيين القدماء. أي أن يسوع لا يكرر وعد العودة القومي أو الخلاص القومي لليهود. بدلاً من ذلك، يتحدث يسوع بلغة كونية، مما يشير إلى إلغاء الوعود الخاصة لليهود. وإذن تكون المزاعم اليهودية القائمة على العهد القديم بحكم المنقضية. ليس من المستغرب أن يستخدم نعيم عتيق حكم توينبي التاريخي على اليهود بإخراجهم من التاريخ لدعم حججه. لكن النص المقدس نفسه له حيوية وصلاحية فيما يتعلق بالشعوب الأخرى. ومن يطبق نعيم عتيق سردية العهد القديم عن الخروج لإلقاء الضوء على الموقف الحالي للفلسطينيين الساعين باسم العدالة التاريخية، إلى العودة إلى أرضهم الموعودة. ومثل أنطونيوس- الذي عارض خطة التقسيم التي طرحتها لجنة بيل سنة 1937-، ومثل سعيد- الذي عارض اعتراف عرفات بإسرائيل من خلال اتفاقيات أوسلو-، يدعي عتيق أن العدالة الكاملة ستتحقق في تفكيك الدولة اليهودية، ولكنه يقترح وبإذعان براغماتي اتحاداً مؤقتاً بين دولة يهودية ودولة عربية - فدرالية يتوقع حلها عندما يغادر اليهود البلاد[14].

لم يكن مثل هذا الدعم الأكاديمي الذي تلقاه [أدوارد] سعيد و[نعيم] عتيق موجودا عندما كتب أنطونيوس "يقظة العرب". لقد تم تطوير أطر تفسيرية جديدة لدعم مفهوم نزع الطابع اليهودي عن الأرض المقدسة. وهذه الأطر قدمتها المدرسة التصحيحية minimalist فيما يخص البحوث الآثارية و الكتابية. على الرغم من أنها لا تقدم تأكيداً للفلسطينيين على أنهم السكان الأصليين الأبديين سواء في النصوص أو الأدلة الأثرية، إلا أن هذه يعد كافيا لنقاد الصهاينة للتشكيك في الوجود اليهودي التاريخي. وظهر منذ منتصف القرن التاسع عشر إرث بحثي متطور يرى إمكانية انتقاد الكتاب [المقدس] كوثيقة تاريخية دون المساس بفكرة الوجود العبراني ذات يوم ولعبهم دوراً مهماً في تاريخ البشرية. فليس مهماً شرعية وصحة النقد هنا بل كيفية استخدام هذا النقد في النزاع العربي / الإسرائيلي. وتتجسد هذه المقاربة المعادية لإسرائيل في المدرسة التصحيحية للنقد الكتابي التي نشأت في العام 1970 تقريباً في كوبنهاغن (ومن هنا جاءت تسميتها "المدرسة الدنماركية") ووصلت إلى شفيلد في إنجلترا ومنها انتشرت في أماكن مختلفة من العالم. الخيط المشترك الذي يربط مؤيدي هذه المدرسة هو القول بأن العهد القديم ليس سوى نص تضليلي معقد ومركب اخترعه الكتّاب العبرانيون خلال الحقبة الفارسية و الهلنستية في يهودا. خلال تلك الفترة قامت مؤسسة دينية قديمة مخادعة بإنشاء أساطيرها المؤسسة ومروياتها التاريخية من أصداء الماضي المبعثر لإضفاء المصداقية على لاهوتها و بما يخدم أغراضها السياسية الآنية. وهذا يتطلب استعراض تفاصيل ملفقة وتمجيد نسب داوود وصلته بأورشليم. باختصار، من قصص الآباء البطاركة إلى قصص الخروج إلى سرديات سلالة داود، جميعها كتابية مشبعة بفانتازيا مقصودة و هادفة [15]. على الرغم من أن عدد العلماء المشاركين في تبني هذا النهج صغير نسبياً، إلا أن مزاعمهم قد وصلت إلى جمهور واسع من خلال المجلات الشعبية والأكاديمية، وقد أيدهم المناصرون للفلسطينيين بحماس في قضايا النزاع العربي/ الإسرائيلي. يظهر, إلى حد كبير, تسييس البحوث الكتابية بصورة واضحة في عمل كيث ويتلام، أحد رموز هذه المدرسة. فادعائه بقوته البحثية المقنعة لا تنبع من تحليله النصي فحسب، بل من استدعاء [إدوارد] سعيد .ويهدف استخدامه لمصطلحات سعيد نفسه لإظهار أن البحوث الكتابية التقليدية مجرد "خطاب استشراقي" غايته محو الفلسطينيين من التاريخ. ويؤكد ويتلام أن "الدراسات الكتابية شكلت جزءً من الترتيب المعقد للسلطة العلمية والاقتصادية والعسكرية التي حرمت الفلسطينيين من وجود أو تاريخ معاصر". وباستخدام عبارة مفضلة، تذكرنا بكل من سعيد وأنطونيوس، هناك ثمة مؤامرة "لإسكات" التاريخ الفلسطيني[16].

يشير تفحص الموقع الإلكتروني لجامعة القدس (المعادل الفلسطيني للجامعة العبرية في القدس) إلى أي مدى دخلت هذه البحوث الجديدة في المجال العام[17]. هنا، أيضاً، ثمة شعار مألوف يتمثل في الاضطرار إلى الكفاح ضد الحكمة الراسخة. يعلن هذا الموقع أن المؤسسين الحقيقيين للقدس هم اليبوسيين الكنعانيون الذين تعرضوا لغزوات متتالية, لكنهم في كل مرة كانوا يستوعبون الغزاة في مجتمعهم المضياف. وتشمل قائمة الغزاة العديد من الشعوب القديمة باستثناء العبرانيين. لقد غابوا لأنه، كما قيل لنا، لا يوجد أي أثر على الإطلاق لشخص يدعى"الملك داود". من الأهمية بمكان أن شطب اليهود من التاريخ يعتمد على أنصار المدرسة التصحيحية وكذلك على الباحثين الراسخين الذين لهم صلات قوية بالصهيونية، بما في ذلك مارك بريتلر، العالم الكتابي المتميز ورئيس قسم دراسات الشرق الأدنى واليهودية في جامعة برانديز. على الرغم من أن بريتلر عبر عن شكوكه حول جوانب من قصة يوشع، إلا أنه يدعم تاريخية النص الكتابي ككل. ومع ذلك، فإن أسلوب استغلال أفكار أحد العلماء حول قضية واحدة يتم تكرارها وتجميعها، مع التأثير التراكمي المتمثل في التشكيك في الحكمة المقبولة لجميع جوانب الدور اليهودي في العالم القديم. في الواقع، يحل الخطاب القائم على التقنيات الجدلية محل الحذر من البحوث الدراسية المسؤولة.

سري نسيبة- خريج جامعة أكسفورد وهارفارد، رئيس جامعة القدس، وربما الزعيم الفلسطيني الأهم الذي يسعى علناً إلى التعايش مع الدولة اليهودية- عمّم نفس الادعاءات في منشوراته الخاصة كما هو موجود على موقع جامعته. على سبيل المثال، قبل أوسلو مباشرة، عرض نسيبة التاريخ نفسه الذي يمكن العثور عليه لاحقاً على موقع القدس الإلكتروني في بيان شخصي عن معتقداته في كتاب يدافع فيه عن في حل الدولتين كتبه بالتعاون مع مارك هيلر الباحث الإسرائيلي الصهيوني بلا جدال[18]. وهكذا، حتى البراغماتيين والمعتدلين الملتزمين بالسلام والتوافق هم طرف في تقديم بحوث الإنكار. وعندما تكون المسألة في قبضة أفراد أقل مسؤولية فإن تداعيات مثل هذا النوع من "الأبحاث الدراسية" سوف تقود إلى المطالبة بنزع الشرعية عن الدولة اليهودية وإنهائها.

مساهمة العلوم الاجتماعية: نماذج من مجتمعات المستوطنين

هناك جزء آخر من الأبحاث الأكاديمية يساهم في إبعاد اليهود عن الأرض, وهو ما يمكن العثور عليه في التحليل، إن لم يكن الهيمنة، الموجود بين علماء الاجتماع والجغرافيين التاريخيين والباحثين السياسيين الذين يعرّفون الصهيونية بأنها قائمة على جور "مجتمع المستوطنين". على الرغم من أن الاستيطان اليهودي لفلسطين كان مدعوماً من قبل جيل من علماء الاجتماع، حتى أنه تم الاحتفاء بهذا الاستيطان، إلا أنه يعتبر الآن ظاهرة سلبية ومدمرة تتطلب تصحيح عواقبها. وهذا، إلى حد كبير، نتاج لاختيار نموذج تاريخي مختلف اختلافاً جذرياً. والتحليل الأكثر شهرة يمكن العثور عليه في كتاب غرشون شافير "الأرض, العمل, وأصول الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي, 1882 -1914" [19]. يعتمد تحليل شافير أسلوب المنهج المقارن ويبدأ بتحديد أنواع متعددة من مجتمعات المستوطنين خلال 400 عاماً من الاستعمار الذي بدأ مع كولومبوس وانتهى بالصهيونية. بالاعتماد على رؤى المؤرخين للإمبريالية الغربية، قام هو وزملاؤه بمراجعة الاستيطان اليهودي لتحديد أي من النماذج الاستعمارية المختلفة تناسب الصهيونية بشكل أفضل. ولشك سوف يخطأ شافير الصهيونية حتما, وبحكم العريف من خلال استخدامه إطار مقارن قائم على الاستعمار الأوروبي باعتباره الأداة التفسيرية الوحيدة, وباستخدام إحدى عباراته: لا يمكن للمرء أن يكون حاملاً قليلاً. إما أن يكون حامل أو لا يكون. وهكذا، بمقارنة اليهود بالبرتغاليين والإسبان والهولنديين والفرنسيين والإنجليز، فإنه يُنظر لهم حصريًا ضمن الإطار التاريخي الأوروبي. قد يكون الاستيطان الصهيوني حميداً بدرجة أقل أو أكثر إلى حد ما، لكنه يظل استيطان استعماري. وهنا لا يطرح شافير أي نموذج إضافي أو بديل يناسب الشذوذ اليهودي.

تعد المقارنات بطبيعة الحال أداة أساسية وفرض إلزامي في البحث العلمي الجاد. ومع ذلك، فمن المحير أن النقطة المرجعية العالمية لجميع هذه البحوث الدراسية الناقدة أو التصحيحية هي العمل الأساسي الذي قام به البريطاني دي. ك. فيلدهاوس الذي لا تزال كتاباته تؤثر على أجيال من الباحثين منذ ظهور كتابه "الامبراطوريات الاستعمارية: دراسة مقارنة من القرن الثامن عشر" في العام 1966[20].

أنتج فيلدهاوس كتابه في ذروة ظاهرة التخلص من الاستعمار (الذي يتحدث الكتاب عنه), , وقبيل إحدى أهم محطات الصراع العربي / الإسرائيلي، أي حرب الأيام الستة في حزيران-يونيو 1967، من اللافت للنظر أن عمل فيلدهاوس الشمولي والشامل لا يأتي على ذكر الصهيونية. باستثناء إشارة عابرة إلى إعلان بلفور، فاليهود والصهاينة غائبون تماماً عن عمله. ومع ذلك، يوفر فيلدهاوس الإطار المقارن الأساسي لبحوث المنهج التصحيحي والمقاربات النقدية. ويركز على مقاربة اقتصادية ومادية للاستعمار مستمدة من أعمال كل من هوبسون و لينين، على الرغم من أنه يصل إلى استنتاجات مختلفة كلياً عن كليهما [21]. لا تعلب الصهيونية أي دور في العالم الذي يصفه فيلدهاوس، حيث تؤسس الإمبراطوريات مستعمراتها وذلك في وصفه الشامل للتوسع الاستعماري الأوروبي. ومع ذلك, واستنادا على تحليل فيلدهاوس هذا بنى النقاد المعاصرين رؤيتهم عن الصهيونية باعتبارها-في زعمهم-شكل مشين و فظ من أشكال الاستعمار, ولكنهم- دون أن يدروا -يشوهون بهذا تعريفه لـ "مجتمع المستوطنين" عند تطبيقه على الحالة الصهيونية.

لماذا لم يطبق فيلدهاوس"مجتمع المستوطنين" أو الاستعمار على الاستيطان اليهودي؟ لم يكن اليهود ملائمين للنموذج الذي وضعه الهولنديين والبريطانيين والفرنسيين والإسبان والبرتغاليين والألمان والإيطاليين. كانت السنوات الأربعين الأولى من عمر الاستيطان اليهودي قد حدثت في ظل الإمبراطورية العثمانية ولم يكن, بالتالي, جزءً من عملية التوسع الإمبراطوري الساعية وراء الطاقة والأسواق. لم يكن الاستيطان اليهودي بسبب التصنيع والمصالح المالية. في الواقع، وكما لاحظ العديد من العلماء، كان هذا الاستيطان مشروعاً غير ربحي لدرجة اعتباره غير منطقي من الناحية الاقتصادية [22]. باختصار، و بسبب من أهداف إيديولوجية, ابتعد الباحثون التصحيحيون بأنفسهم عن سياق تحليل فيلدهاوس الذي تم تطويره بدقة لوصف تجربة تاريخية متميزة ومختلفة.

لم تنشئ الصهيونية مزارع أو وحدات كبيرة أخرى من الأنشطة الزراعية الرأسمالية. بل أنشؤوا, عوض عن ذلك, مزارع صغيرة أو مستعمرات جماعية متواضعة الحجم. تتناسب بصورة طبيعية مع التجمعات المتجانسة, خلافاً للمزارع الكبيرة التي تتطلب قوة كبيرة من العمالة المحلية. لم يكن لدى صغار ملاك الأراضي أو المجتمعات الجماعية حاجة كبيرة إلى الاستخدام الواسع النطاق للعمالة المحلية. من الناحية الإيديولوجية والعملية، عمل اليهود في الأرض بأنفسهم. ومن المفارقات أن الاعتماد على الذات هذا أصبح مصدر انتقاد ضد المؤسسة الصهيونية برمتها. يرى النقاد أن الفصل الاقتصادي والثقافي بين اليهود والعرب تفع على عاتق الإيديولوجية الصهيونية وحدها وتطبيقها العملي. ويعتبر الاتهام المعاصر لإسرائيل كدولة فصل عنصري كنتيجة طبيعية لهذه التهمة. والحقيقة هي أن المسلمين هم الذين فصلوا أنفسهم منذ قرون عن اليهود من خلال تعريفهم [لليهود] على أنهم "ذميين" أو أفراد مختلفون ولكن من الدرجة الثانية في المجتمع. كان الفصل بين اليهود والمسلمين هو القاعدة في أنحاء العالم العربي الإسلامي وفرضه الأتراك المسلمون وأسلافهم منذ ظهور الإسلام في القرن السابع. إن توقع حفنة من اليهود يعيشون في مستعمرات زراعية نائية تحت الحكم التركي أن يكونوا قادرين على قلب هذه الممارسات الراسخة والمقبولة بنموذج ممارسة تعبر عن مجتمع مدني متكامل ومتساو لم يتحقق بعد حتى في الولايات المتحدة، يتطلب إظهار خيال يحيط بالفانتازيا . ومع ذلك فقد أصبح هذا النموذج هو النموذج المؤثر لهذا الجيل. كان لسوء استخدام مفهوم فيلدهاوس لـ"مجتمع المستوطنين" أن يتم تشويهه بطريقة أخرى بارزة, فقد نظر فيلدهاوس إلى "مجتمعات المستوطنين" البريطانية على أنها "نسخ " مقصودة للمجتمع المحلي و "نسخ حقيقية من المجتمع الأوروبي"[23]. والأمر ذاته ينطبق على المستعمرات الفرنسية:" كانت المهمة الإمبريالية الفرنسية تكمن في تشكيل مستعمراتها في نسخ مطابقة لفرنسا من أجل دمجها في نهاية المطاف في المتروبول". وفي حالة الجزائر، حاول الفرنسيون حتى دمج المستعمرة في الوطن الأم[24]. من ناحية أخرى، كانت المستوطنات الصهيونية متميزة عن أوروبا ومختلفة عن المجتمع العربي في الوقت عينه. على الرغم من نقل التكنولوجيا الأوروبية والأمريكية والأفكار السياسية والجوانب الأخرى للثقافة الحديثة إلى فلسطين، إلا أن المجتمع الصهيوني أعيد صياغته في قالب فريد مكرس بوعي لإنشاء "اليهودي الجديد". كان هذا، كما رأينا، في جوهر فكرة "إعادة البناء".

في نهاية المطاف، يخدم وصف الصهاينة كمستعمرين لاعتبارهم محتلين لأرض لا ينتمون إليها بحكم تعريفهم. وبالتالي تصبح فلسطين موطناً لشعب واحد فقط من السكان الأصليين وليس لشعبين. وفي ما يجب أن يعد شذوذاً شديداً في التاريخ الكولونيالي، تنظر هذه البحوث الجديدة إلى فلسطين باعتبارها محتلة من قوتين إمبرياليتين- البريطانية واليهودية. إن مثل هذا التوصيف للقوة اليهودية سوف يبدو كمزحة قاسية وثقيلة بالنسبة لتلك الجموع التي سعت بشدة لدخول فلسطين قبل الاستقلال.

يرفض التحليل ما بعد الكولونيالي أو يتجاهل المنظور الذي اشتغلت في إطاره الأجيال السابقة من الباحثين الإنسانيين وعلماء الاجتماع. خلال فترة ما قبل الدولة التي كانت فيها "القدرة الاستيعابية الاقتصادية" لفلسطين مسألة مركزية في أجندة الخطاب العام والعلمي، تم ضبط الاستيطان اليهودي داخلياً وطولياً، بما يتوافق مع التاريخ الطويل للبلاد و مساهمة اليهود فيه. وضمن هذا الخطاب, لم تكن عملية تحويل الصحراء إلى مزارع مزهرة خطأ, بل إنجازاً يستحق الإعجاب، بدلاً من ذلك، يوجد الآن استخدام في غير محله لإطار مقارن ينظر إلى الوجود اليهودي في أرض إسرائيل أفقياً أو حصرياً ضمن إطار حديث نسبياً , وليس من المستغرب هنا أن يدمج البعض رؤى دراسات ما بعد الكولونيالية بمجموعات مختلفة من لاهوت التحرير، وبحوث التصحيحيين، واللقى الآثارية -أو غيابها- ويعد عمل نادية أبو الحاج[25] حالة نموذجية عن هذا الدمج, حيث يبدأ عملها عن علم الآثار الصهيوني مع الأخذ بعين الاعتبار نموذج مجتمع المستوطنين كما يصفه شافير، ثم تنتقل إلى الاستنتاج الضمني الذي تحملته فلسطين الصهيونية

كمجتمع استيطاني تدخلي قام المهاجرون من خلاله بتصنيع وجود السكان الأصليين وتشويههم وتجاهلهم لتبرير مشروعهم الاستعماري.

أود أن أستنتج أنه من المفيد للعلماء الذين تصنف أعمالهم المبكرة الاستيطان الصهيوني كنموذج مجتمع مستوطنين فقط, غالباً ما يمضون في التساؤل عما إذا كان يجب على إسرائيل أن تستمر في الوجود كدولة يهودية, مثل هؤلاء الباحثين سوف يكون قصيتهم المركزية تتمثل في ما إذا كان من الممكن للدولة اليهودية أن تكون ديمقراطية أيضاً، وسوف يصلون بشكل موحد إلى نتيجة سلبية لأنه لا يمكن لأي مجتمع استيطاني, بحكم تعريفه, أن يكون مجتمعاً ديمقراطياً. باختصار، فإن الخطيئة الأصلية للاستعمار لها عواقب حتمية لا يمكن تطهيرها إلا بالإجراء الأكثر تطرفاً[26], هذه التهمة وتأييد الحلول الجذرية ليس لها حدود انضباطية. ومن غير المرجح أن تكون التحديات التي تواجه الحقوق القومية اليهودية والمطالبات الإقليمية مرحلة عابرة. لقد انتشرت مثل هذه التحديات في الدراسات العلمية والمقالات الصحفية التي تسعى إلى استبدال بحوث سابقة كانت لها أصول مختلفة وتوصلت إلى استنتاجات مخالفة.

موضوعنا هنا ليس لماذا حدث كل هذا, إن ما يبدو واضحًا لنا هو أن القرن العشرين شهد نقلة نوعية في البحوث الدراسية المعنية بفلسطين. وفي جميع النماذج المستخدمة لتفسير الصراع العربي / الإسرائيلي كان للدليل التاريخي- أو غيابه- بالغ الأهمية, وإذن, أيضاً, ، سيكون من الأهمية بمكان النظر إلى اختيار أي مجتمع في العالمين القديم والحديث يمكن مقارنة فلسطين وإسرائيل به. المخاطر التي ينطوي عليها هذا الاختيار كبيرة وعميقة الإدراك, ومن المرجح أن التمييز والفصل بين التجاذبات المتضاربة للتواريخ الحقيقية والمتخيلة وحتى المفترضة، سوف يستمر في تحدي و إثارة الوسط الأكاديمي والجمهور عامة وكذلك المشارك / المراقب ❑❑

.....

ملاحظات:

العنوان الأصلي: De-Judaizing the Homeland: Academic Politics in Rewriting the History of Palestine
المؤلف: Selwyn Ilan Troen
الناشر: Israel Affairs, Vol.13, No.4, October 2007, pp.872- 884
المترجم"محمود الصباغ

الهوامش

1.Chaim Weizmann to Harry S. Truman, 12 December 1945, Weizmann Papers, Vol. 22, New Brunswick, NJ, 1979, p. 78

2. أصبحت فكرة "إعادة البناء" بمثابة مجاز مكرر وبارز أدى إلى قرار التقسيم وإنشاء دولة يهودية. النموذج المثالي على هذا الوضع يمكن العثور عليه في ملاحظات بن غوريون أمام لجنة الأمم المتحدة الخاصة المعنية بفلسطين في 4 تموز-يوليو 1947: " في الرباع و العشرين من تموز -يوليو 1925 ، تم تأكيد الانتداب على فلسطين من قبل مجلس عصبة الأمم . ويجسد الانتداب تصريح بلفور ويضيف أضاف تضخيمًا إسهاباً ذا مغزى. وبعد الاستشهاد بديباجة، نص تصريح بلفور أضاف "تم الاعتراف بالتالي بالصلة التاريخية للشعب اليهودي بفلسطين وبأسباب إعادة تأسيس [ليس تأسيس- التشديد من الأصل] موطنه القومي في ذلك البلد" Evidence of Mr. David Ben-Gurion before U.N.S.C.O.P., 4th July 1947 , Ben-Gurion Archives, Sede Boker.

3 يمكن العثور على مناقشات أوسع في الأدبيات البحثية المبكرة في عمل S. IlanTroen, Calculating the "Economic Absorptive Capacity" of Palestine A Study of the Political Uses of Scientific Research , Contemporary Jew ry, Vol. 10, No. 2 (1989) , pp. 19- 38.

4 مستمد مصطلح " المجتمعات المتخيلة" من بنديكت أندرسون Imagined Communities: Re flection s on the Origins and Spread of Nationalism, New York, 1991 , كما يمكن العثور على فهم المؤلف لأهمية هذا المصطلح بالنسبة للتجربة الصهيونية في S. Ilan Troen,Imagining Zion: Dream, s Designs, and Realities in a Century of Jewish Settlement, New Haven, CT, 2003, pp. 141-162.

5 يمكن العثور على الخلفية التاريخية لتغيير الأسماء إلى العبرية وكذلك نقد الممارسة في Meron Benvenisti, Sacred Landscape: The Buried History of the Holy Land Since 1948, Berkeley, CA, 2000 . تقدير أكثر إيجابية و معلومات إضافية أخرى يمكن العثور عليها في Emanouel Hareouveni, The Settlements of Israel and Their Archaeological Sites (Hebrew), Givatayim-Ramat Gan, 1979, and Ze ev Vilnay, The Settlements in Israel (Hebrew), Tel Aviv, 1951 .

6 Jeohoas h Hirshberg, Music in the Jewish Community of Palestine1880- 1948, Oxford, 1995, pp. 78- 109 and 147- 148.

7 See Tamar Kattie!, Talking Straight: Dugri Speech in Israeli Sabra Culture, New York, 1986 and Oz Almog, The Sabra: The Creation of the New Jew , Berkeley and Los Angeles, 2000.

8 S. llan Troen, The Construct ion of a Secular Jewish Identity: European and America Influences in Israeli Education , in Deborah Dash-Moore and S. Ilan Troen (eds.), Divergent Jewish Centers: Israel and America, New Haven, CT, 2001, pp. 27-52.

9 George Antonius, The Arab Awakening, London, 1938, especially the last portion, chapter 8, Iraq, Syria and Palestine After the War , pp. 350-412, and the Appendices, pp. 413- 460.

10 For a recent discussion of Toynbee s position on Zionism, see Hedva Ben-Israel, Debates with Toynbee : Herzog, Talmon, Friedman , Israel Studies, Vol. 11 , No. 1 (2006), pp. 79- 90, and Abba Eban, The Toynbee Heresy , Israel Studies, Vol. 11, No. 1 (2006), pp. 91-107.

11 Edward W. Said, Culture and Imperialism, New York, 1993. This trope was first espoused to enthusiastic acclaim in his Orientalism, New York, 1978, and is reiterated in his many writings.

12 Edward W. Said, Blaming the Victims: Spurious Scholarship and the Palestine Question, New York, 1988, p. 235.

13 Ivan Davisdon Kalmar and Derek J. Penslar (eds.), Orientalism and the Jews, Hanover, NH, 2005.

14 Naim Ateek, J,. justice and Only Justice: A Palestinian Theology of Liberation, Maryknoll, NY, 1989, pp. ?ff. لم يشطب نعيم عتيق اليهود من الماضي القديم فحسب و الاستغناء عن مزاعمهم في الحقبة المسيحية، بل هو يمحوهم من الكثير من فلسطين. انظر وصفه لمسقط رأسه بيسان[بيتشان] حيث يتجاهل الحضور اليهودي في تلك المدينة، و بدرجة أكثر دقة في المنطقة المجاورة. بالنسبة له فلسطين موطن و أرض يعيش فيها المسيحيون و المسلمون فقط

15الأعمال الرائدة لهذه المدرسة تتضمن Thomas L. Thompson, Early History of the Israelite People from the Written and Archaeological Sources, Leiden, 1992 and Philip Davies, In Search of Ancient Israel, Sheffield, 1992. . من أجل مراجعة مميزة لهذه المدرسة, أنظر:ي Marc Brettler, The Copenhagen School: The Historiographical Issues , Association for Jewish Studies Review, Vol. 27 (2003), pp. 1- 21.

16 Keith Whitlam, The Invention of Ancient Israel: The Silencing of Palestinian History, London, 1996, pp. 3-4, 225.

17 Available at http://www.alquds.edu/gen_info/index.php?page = jerusalem_history.

18 Sari Nusseibeh and Mark Heller, No Trumpets, No Drums: A Two -State Solution, New York ,1991. هذه النسخة المنشورة في وقت مبكر تنبئ بالجهد المعاصر المبذول لحشد التأييد لحل الدولتين . See Signing an End to the Conflict : A Statement of Principles, July 2002, available at http://www.mifkad.org.il/en/principles.asp.

19 Gershon Shafir, Land, Labor, and the Origins of the Israeli-Palestinian Conflict, 1914,Berkeley and Los Angeles, 1989 .188 2-

20 Dennis K. Fieldhouse, The Colonial Empires: A Comparative Survey from the Eighteenth Century, London, 1966.

21 J.A. Hobson, Imperialism: A Study, London, 1902, and V.I. Lenin, Imperialism, The Highest Stage of Capitalism: A Popular Outline, New York, trans. 1939. بخلاف لينين و هوبسباوم , لا يرى فيلدهاوس في التوسع الاستعماري الأوروبي باعتباره المرحلة الأخيرة من الثورة الرأسمالية. كما أنه لا يعتقد أن أوروبا أو الرأسمالية ستنهار بعد إلغاء الاستعمار.

22 See Baruch Kimmerling, Zionism and Territory: The Socio-Territorial Dimensions of Zionist Politic s, Berkeley and Los Angeles, 1983 Simon Schama, Two Rothschild s and the Land of Israel, New York, 1978 and Ran Aaronsohn, Settlement in Eretz Israel- A Colonialist Enterprise? "Critical" Scholarship and Historical Geography , Israel Studies, Vol. 1, No. 2 (1996), pp. 214- 229.

23. Fieldhouse, Colonial Empires, pp. 239, 250.

24. Fieldhouse, Colonial Empires, p. 318.

25. adia Abu El-Ha j, Facts on the Ground: Archaeological Practice and Territorial Self- Fashion in Israeli Society, Chicago, 2001.

26.مثل هذا " التبصر" يعلمنا بتطور مل باروخ كيميرلينغ و غيرشون شافير وأورن يفتاحيل، الذين انتقلوا جميعًا من دراسة نمط الاستيطان اليهودي إلى تقييم الطبيعة الديمقراطية لإسرائيل المعاصرة. الكل سيدعم استبدال دولة يهودية بـ "دولة لجميع مواطنيها". لا يحتكر علماء إسرائيل الناقدون استنتاجهم. إنها فكرة شائعة وردت عند ماكس رودنسون على الأقل , انظر: Max Rodinson, Israel: A Colonial -Settler State? New York, 1973, which originally appeared in French in 1967،

UNIVERSITY OF ALBERTA

حمار مثقف

توفيق الحاج
فلسطين

✠ يحكى ان جنكيز خان - ومن لا يعرف جنكيز خان لا يصلح حتى أن يكون حمارا وليفارقنا من الان..- كان متنكرا في زي عامة الناس عندما رأي رجلا يضرب حماره بقسوة في صعود .. فقال له :يا أخي حرام عليك .. اتق الله. في هذا الحمار. وإذا بالحمار يفلص أسنانه ويرد :وأنت مالك يا بارد ؟! ومن أنت لكي تتدخل فيما بيننا؟ ثم من أدراك بأني حمار ؟!

دهش الإمبراطور وقال :يا رب سلم هي الحمير بتتكلم ؟ وكمان ببلاغة الزمخشري..! فعاجله الحمار :لا تدهش ياهذا ، فأنا في الأصل كنت إنسانا مثقفا جدا أطمح ان أكون في يوم من الأيام كاتبا عظيما ثم وزيرا للثقافة أو حتى أمينا عاما لاتحاد الكتاب ! كنت وصوليا جدا إلى درجة أني قررت السير على أربع ليركبني كل من أقابل من الولاة والكبار الواصلين ذوي العز والجاه لأ صل بهم الى ما أتمناه وبمرور الايام وجدت نفسي على هذه الحال .. !

سأل جنكيز خان : وأذناك... ما الذي أطالهما هكذا دون لسانك ؟ فرد الحمار لأني كنت (مندوبا) لأسيادي أتسمع بهما وأتعسس أكثر مما أستعمل لساني!

نكتفي بهذا القدر من الرواية وقد وصلنا بسلامة الله الى الغاية ..شاكرا الكاتب الفلسطيني (زكريا تامر) وتاركا الاسقاطات للقراء ..كل كما يشاء !

وأقول محقا كم من الحمير القبرصية تتسكع في البلاد والبرية ولا زالت على صورة آدمية .. وطبعا كما خيمة عن خيمة تفرق..فان حمارا عن حمار أيضا يفرق..! فمنها من يفهم نفسه وما حوله.. يفضل الصمت والتواضع.. في الوقت بدل الضائع.. راضيا بقسمته. يستهين به الجاهلون عندما يرون مظهره وهات يانكت بايخة وهم يجهلون مخبره.. حمارلا يبخل بعلمه .. يجتهد ويكد ويتعب....حاملا هموم الدنيا على كتفيه ومن أرذل الناس يستغل و يركب..!

ومنها حمار مثلي ساخر... صريح وغير مريح ..لا يعجبه العجب ولا الغش في أدب..يرى الانسان موقف .. يمتص الخيانات ..ويتحمل الخوازيق من أجل وطن لا يفيق ! فقط يريد للدنيا في (زمن الشيطنة) أن تعود الى أيام الحارة والوفاء والذوق والقيم وهو يسمع للست (لسه فاكر..كان زمان) فينهق ما شاء من فرط الالم ! ومنها من يقدم نفسه مبدعا (ثلاثة في واحد) كاتبا ومحللا وشاعرا.. يكيل العلم بالمغرفة.. وتكتشف في ساعة الحقيقة انه بالكاد ربع مثقف.. ساقط إملاء .. وسارق إبداع ..ومدع للمعرفة ! ومنها من يبدو لك ناقدا مفوها بحرف ال دي أ وسياسيا (مفيش منه) في مؤتمر صحفي او ندوة أومحاضرة .. يجعجع وكأنه صوت العرب من القاهرة.. فتصدمك افكاره.. ويزعجك رفسه وغباره.. وعندما تسأله.. تكتشف انه لا يحمل الدكتوراه بل تحمله! ومنها من يظهر لك منفوخا على شكل بالون العيد.. يلبس بذلة وربطة عنق ويتعطر ويدخن ويشيش وقد حفظ النص ونسخ ويقول فاتحا صدره وهو يعلم من نفخ :يا أرض اهتدي ..ماعليكي قدي! وما أن تراه حتى تحسبه بيت ملم ..تطنب عليه وعندما تسمع الوكسة وترى أثره.. تهمس : ياااللفضيحة وانت تلملم بعره ..!

و في الختام ..نصل وإياكم بعد هذه السياحة والصحبة في عالم المثقفين والنخبة الى المثل القائل "الحمار حمار ..ولو صار ع البلد مختار.." وديتك يا بهيم.. رطل شعير وكيس برسيم .. وحاااا جي..!✠✠

أنفه الكبير الذي تدحرج على الأرضية الخشبية

أماني فؤاد
مصر

✠ عَلقتْ صورة كبيرة له في غرفتها ذات الحوائط الشفافة، يغمرها الفرح عندما تنظر إلى ملامحه الجذابة التي تأسر عينيها، في مساحة اللوحة تلك تفوح رائحة أزهار شجيرات البرتقال نفسها التي زرعتها بحديقتها، في مساحة النبض يجلس على مقعد وثير واضعا قدما فوق الأخرى، من قلب الصورة تتجه عيناه صوب معنى كأنه يراه لكنه لا يقبض عليه. أرضية اللوحة الخشبية فارغة إلا من سجادة إيرانية بمنمنمات شيرازية، تتذكرها الآن فقط، هي ذات القطعة الحريرية التي قال أنه سيهديها إليها في إحدى اللقاءات القادمة.

ذات صباح عندما فتحت عينيها على اللوحة فوجئت بأصبعين من أصابعه فوق السجادة أسفل قدميه، هلعت، نفذت بيديها مباشرة داخل اللوحة وأعادتهما لكلتا يديه وألصقتهما بجسده جيدا.

بعد عدة أيام وجدت خمسة أصابع وإحدى شفتيه على الأرضية، أحضرت مادة لاصقة قوية وأعادت أعضاءه إلى أماكنها بعد أن تأكدت من أن خاتمها الذي أهدته إياه بمكانه، ثم بدأ القلق يساورها.

بعد مرور عدة أشهر وجدت أنفه الكبير يتدحرج على الأرضية بعيدا عن سجادة اللوحة، نظرت إليه طويلا غير مصدقه، لماذا تتهاوى أعضاؤه يوما بعد آخر على هذا النحو، لقد تفننت وهي تضع خطوط تلك اللوحة طيلة سنوات، اختارته على عينيها كما يقولون، لظلال صورته كانت تقص الحكايات ومع ضوئها مرقت للسماوات، يد الله لمست قلبها حين كانت تختار ألوانها. توسلت لكل قوى العالم ألا تتساقط أجزاء لوحتها.

لمحته في إحدى الليالي الباردة يضحك ساخرا واصفا إياها بالجنون، كانت تُركّب أصماغا قوية خوفا من أن تتهالك أعضاؤه الأخرى، لم يكن يقصد جنون الشغف أو العشق بل نعتها بالمرض النفسي. نظرت إليه مليا ثم أعادت إحدى عينيه إلى تجويفها في طرف رأسه الشمال بعد أن قلبتها بيديها وبحثت عن بريقها الحاني فلم تجده، خرجت في الهواء لتلتقط أنفاسها بعيدا عن ادعاءاته التي تتكرر بلا منطق سوى أنه يريد أن يمضي فإذا بأشجار البرتقال وقد اجتثت من أرض الحديقة، هرولت سريعا عائدة إلى اللوحة فإذا بزهرات شُجيراتها مرمية فوق ذراعيه اللذين وقعا على الأرضية مع إحدى قدميه، جميعهم فوق السجادة الحريرية التي لم يهدها إياها، يتناثرون فوق الأرض الخشبية المترامية التي امتدت حتى وصلت من اللوحة لأطرافها ✠✠

دروس من حراك الريف

❑ ويستمر نضال اهلنا في الريف المغربي الشامخ من اجل الكرامة والعيش الكريم وتستمر معه الدروس المستوحاة والمستفادة من وحي نضال ديموقراطي سلمي مشهود، اول دروس الحراك الريفي المغربي هو ازدياد منسوب الوعي الجماهيري لدى المواطنات والمواطنين الريافة والمغاربة عموما بضرورة التوزيع العادل للثروات والاستفادة المتساوية من خيرات الوطن، الوعي النضالي يتجذر ويخترق كل طبقات وفئات المجتمع بدون وسائط المؤسسات التقليدية المنوط لها تعبئة وتاطير الجماهير، حراك الريف اظهر لنا تأثيرا مضطردا ومتسعا لوسائط التواصل الاجتماعي ولنتائج الثورة الاعلامية والالكترونية التي باتت تصنع عقول شباب اليوم بدون منازع وتوطن المعلومات تباعا في افئدة وعقول الناس بدون تنميق ولا تزوير ولا ترويض، لم تعد القنوات الاعلامية والسياسية الرسمية قادرة على قولبة (بجميع معانيها) الوعي التاريخي للمواطن المغربي المقهور والمظلوم، فنسب مشاهدة قنواتنا الاعلامية اليوم الممولة من اموال دافعي الضرائب متدنية ومنحطة، انه زمن سطوة الاعلام البديل والكلمة الحرة التلقائية، من دروس النضال الريفي دور المراة في النضال والتعبئة والصمود، المراة المغربية تسطر تاريخا جديدا من المشاركة الجماهيرية الحقيقية، مشاهد التواجد المكثف للنساء المغربيات في الحراك الجماهيري الحالي مؤشر على تغيرات سوسيولوجية وثقافية مهمة يعيشها المجتمع المغربي، وخصوصا درس تحرر المراة من وظائفها التقليدية الرجعية والمحافظة، الى ادوار القيادة النضالية الواعية.

غياب الاحزاب السياسية والوفاة الاكلينيكية للحكومة في التعاطي مع حراك الريف ومطالبه يعطينا درسا جديدا من عدم ثقة المغاربة بحكومتهم وبسياسييهم، فلا يستطيع رئيس الحكومة الحالي ووزرائه حتى اطلالة بسيطة لتوضيح رؤاهم وتفعيل مهامهم الدستورية التي ادوا القسم عليها ويستفيدون من الاجور السمان بسببها، حتى افتقد اغلب المغاربة مرحلة رئيس الحكومة السابق عبد الإله بنكيران بتصريحاته وقفشاته وعفويته مقابل رئيس حكومة اصم ابكم، يوزع الضحكات هنا وهناك مع صعوبة التمييز بين الضحكة الحقيقية والمصطنعة لديه، الدرس المهم الذي استفدناه من هذا الحراك ان الحكومة وجدت لا لتحكم ولا لتسهل امور الناس وتلبي مطالبهم ولا لتنفيذ برنامج حكومي الفنا ان يكون حبرا على ورق بل وجدت فقط وفقط من اجل ان يقال ان لنا في المغرب حكومة كباقي دول العالم أي حكومة تاتيث المشهد السياسي لا اقل ولا اكثر.

انغير بوبكر
المغرب

والحكم والتدبير لامور البلاد والعباد موجود في مناطق اخرى ولدى جهات اخرى معلومة وعميقة. الدرس الاخر المؤسف في الحراك الريفي هو انهيار وظيفة المثقف والمفكر وغيابه التام عن المشهد الثقافي والسياسي المغربي، فلم نسمع لموقف المثقفين والمفكرين من الحراك باستثناء قلة قليلة (عصيد الدغرني) من اصحاب الضمائر الحية، خفت صوت العلم والثقافة والفكر وفسح المجال امام المتملقين والمتطفلين واشباه الاكاديميين الذين اهانوا البحث العلمي والاكاديمي باهذاب الخنوع والتخوين واشاعة الاكاذيب مساهمة منهم في واد الحراك الجماهيري وتشويهه، والادهى ان هؤلاء "الاكاديميين" لا يستطيعون حتى تعبئة 50 شخص حولهم في أي قضية كانت، فما بالكم بتأطير الالاف من الناس واقناعهم.

الدرس الاخر الذي استنتجته بمتابعتي المتواضعة للاحداث هو وجود نخبة اعلامية مغربية متنورة داخل المغرب وخارجه وعبر اطلالتها الاعلامية في القنوات الدولية، استطاعت نقل الحراك الجماهيري بامانة ومسؤولية ووطنية عالية للمغاربة وللعالم، هاجسها مصلحة البلد وصورته واستقراره وتلمس من تحليلها الصدق وحب الوطن وهذا هو الاساس، فالاوطان والحكام بحاجة لمن يقول لهم الحق ويدافع عنه، لا من ينشر تخاريف الفتنة واذكاء روح الصدام وتشويه صور المتظاهرين وسمعتهم وتبييض سوءات الحكام واخطائهم..

الدرس الاخير الذي اود مشاطرته معكم ويبدو لي انه اهم درس من هذا الحراك الجماهيري التاريخي، وهو ان الاحتجاجات في المغرب اليوم اصبح لها بعد اقتصادي واجتماعي وهوياتي وهذا جديد في المغرب والدليل ان احتجاجات المغرب التاريخية في يونيو 81 ويناير 84 ... كانت احتجاجات وانتفاضات سياسية واقتصادية مؤطرة من الاقائيم التقليدية للتاطير أي النقابات والاحزاب المعارضة العلنية منها والسرية ولكن بدون اعلام محددة، لكن الاعلام الامازيغية واعلام جمهورية الريف المرفوعة توحي بان استحضار الذاكرة الجماعية ومزج التاريخ بالتدين الشعبي ميزتان تميزان حراك الريف، لذلك حاولت السلطة ضرب وحدة الدين والتاريخ بالريف باستغلال المساجد لتسفيه مناضلي الحراك ودفع الناس للابتعاد عنهم عبر استحضار المفاهيم القدرية والجبرية وطاعة اولياء الامور والايمان بها في تبرير غياب التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتمهيد الاعتقالات.

هذه بعض الدروس المستفادة من وحي الريف بدون ان ننسى بان نقول بان الوعي السياسي الجماهيري المتنام بالمغرب شمالا وجنوبا يقابله تعامل سلطوي امني متكلس لم يعد يقنع احدا وعقليات بائدة تعتقد ان اعتقال المناضلين وترهيبهم سيطفئ شرارة الاحساس بالظلم والغبن والتعبير عن طموحات الجيل الجديد في مغرب الكرامة والعدالة الاجتماعية والعيش الرغيد. متى سيخرج المغرب من زقاق التاريخ بلغة سعد الدين ابراهيم؟ ❑❑

الهدف المعلن والهدف غير المعلن

خالد العاني
العراق

❑ في الكثير من المعارك تعمد الدول الى التحشيد على جبهة معينة امام الجانب الاخر للعدو محاولة بذلك سحب معظم قدرات تلك الدولة نحو هذه الجبهة والايحاء لتلك الدولة ان الهجوم سيحصل في هذه الجبهة في الوقت نفسه تعد الدولة المقتدرة العدة لشن هجوم على جبهة اخرى غير منظورة وتحيط عملها بسرية او على الاقل لا يجلب الشك ان المعركة الرئيسية ستكون خارج جبهة التحشيد الاساسية وبذلك تستطيع اختراق جبهة العدو من جانب اخر وتحقيق الهدف المرسوم بنجاح ,,, التحشيدات في الخليج العربي وبكثافة يتهيأ للمرء ان المعركة مع ايران ستبدأ هناك وطبعا هذا غير مستبعد اذا ما وقع خطأ من الجانب الايراني مثل غلق مضيق هرمز امام الملاحة الدولية مما يعطي فرصة لأمريكا للقيام بعمل عسكري كبير ضد ايران وعندها تصطف جميع الدول ذات المصلحة مع امريكيا كون المضيق ممر مائي دولي للدول المصدرة والمستوردة ويضر في مصالح تلك الدول التي لها علاقات اقتصادية وتجارية مع دول المنطقة وبهذا تشل القدرات العسكرية الايرانية من خلال حرب واسعة او محدودة وان حاول الايرانيون ايذاء الامريكان في جانب من قدراتهم العسكرية مثل ضرب حاملة طائرات او السفن والبوارج فسيكون المدفن لجميع القطع البحرية الايرانية وان تعرضت القوات الامريكية لضرر يثلم سمعة امريكيا وقدرتها فسوف تلجأ الى اسلحة فتاكة تنهي الحكم الحالي في ايران بشكل قاطع وتنصب حكومة قرقوزية مثل ما حصل في العراق عام 2003 ,, ربما من يقول ان ايران ليس العراق هذا صحيح ولكن امريكيا ليس امريكيا عام 2003 ثم ان النظام الايراني مكروه من معظم شعوب المنطقة بسبب مشروعه التوسعي بما يسمى تصدير الثورة الاسلامية.

جميع التحاليل والتعليقات والاخبار تشير ان المواجهة ان حصلت بين امريكا وايران ستكون اساسا في الخليج وهنا نتسائل هل من السذاجة ان العقل العسكري الامريكي بهذه السذاجة ويدع الفصائل التابعة لآيران تنهش به من كل جانب ؟؟؟ طبعا ومن المؤكد هم يحسبون لكل صغيرة وكبيرة حسابها ,,,, ان امريكيا تعلم علم اليقين ان العراق رئة ايران التي يتنفس بها كما لا يخفى فجميع الموالين لآيران يعلنون بمناسبة وغير مناسبة انهم سيقاتلون الى جانب ايران اذا ما تعرضت الى عمل عسكري من امريكا بل ذهب البعض منهم بكل قباحة انه سيحارب ضد العراق اذا اقتضت مصلحة ايران بل ويرتضي ان يدمر العراق وطننا وشعبا من اجل ديمومة حكم الملالي.

انا في تقديري المتواضع ان امريكيا عازمة على استأصال من اتت بهم بعد غزو العراق وانقلبوا عليها ويسعون حتى على تخريب علاقتها بالعراق وينصبون الموالين لآيران في ادارة شؤون الدولة وضد مصلحة العراق وامريكيا ,, وعودا على بدأ فأن الهدف الاول هو اسقاط السلطة القائمة بالعراق وكشف ملفات الفساد ومحاكمة الذين تسلطوا على رقاب العراقيين وكشف جرائمهم لكسب ود ورضا الشعب العراقي كما سيلقى ترحيبا من دول الجوار وجميع دول العالم التي تطمح للاستفادة في الاستثمار في العراق والمتوقف منذ مجيء هؤلاء وتسلمهم زمام الامور وتخوف الدول من ارسال شركاتها ومواطنيها بسبب الفساد المالي والاداري واستهتار الميليشات التابعة للنظام الايراني والتي قضت على كل مجالات التنمية في الزراعة والصناعة والسياحة والاستثمار في الثروة المعدنية من اجل عيون ايران.

ان قطع الرئة التي تتنفس بها ايران والازمة الخانقة التي تلتف حول رقبة حكومة تهران سيعجل في سقوط النظام الايراني بعد انتهاء سلطة الموالين لآيران ودون الحاجة الى عمل عسكري غير محسوب النتائج.

تموز على الابواب وان غدا لناظره قريب ❑❑

الإرهاب والاستبعاد الثقافي وصور المقدس

❑ إنّ نظرة (هيغل) عن الشرق هي نفسها النظرة الى الاسلام وباعتبار الاسلام هو الامتداد التاريخي والطبيعي للشرق، لذلك فأن (الروح المطلقة) لديه والتي تعد الفكرة المركزية في فلسفته، قامت بمراحل تطورها التاريخي ابتداءً من العالم الشرقي، والعالمين الاغريقي والروماني وصولاً الى العالم الجرماني، والذي تطورت فيه الى درجة النضوج الانساني المتكامل وفي هذا المسار التطوري للروح المطلقة، أخرج (هيغل) الاسلام من دائرة التطور والانسانية التي تقوم على الجانب العقلي في نظامه الفلسفي، وهذا يأتي من أنّ الاسلام ونظامه العقدي والروحي استبعد الاهتمام بالعالم الانساني، وهذا هو السبب الذي جعل المزاج الاسلامي يتأرجح مثل بندول بين الحماسة المتطرفة واليأس المطلق، من حد اقصى الى أخر، وبسبب من هذه الحدود القصوى انطوت الحضارة الاسلامية على نوع من التدمير الذاتي، والوقوف على حافة الخروج من التاريخ لا شيء لدى الاسلام يقدمه الأن سوى التطرف، والاستماع الجنسي، والطغيان، وهذه المرتكزات الثلاثة هي ما تكررت عند أغلب المفكرين ورجال الدين الغربيين وخصوصاً قضية الاستمتاع الجنسي والشهوانية المرافقة للمسلمين ورسوله محمد(ص)، حسب وجهة النظر الغربية، وطغيان الدولة و توسعها على حساب الامم الاخرى بالتطرف والارهاب وقوة السيف، وكأن الاسلام امة متوحشة يصورها الفكر الغربي ويسوقها على مدار الاجيال الى العالم اجمع، ويركز (هيغل) في رؤيته الفلسفية على إنّ الشرقيين ومن ضمنهم المسلمين ذات النزعة الشهوانية هم ليسوا أحراراً، أي أنهم لم يعرفوا الحرية بكافة أشكالها، فأنهم لم يكونوا احراراً، و كل ما عرفوه هو ان شخصاً معيناً هو حرٌ، ولكن على هذا الاعتبار نفسه، فأن حرية ذلك الشخص الواحد لم تكن سوى نزوة شخصية و شراسه، وانفعال متهور وحشي، أو ترويضي واعتدال للرغبات، لا يكون هو ذاته سوى عرض من أعراض الطبيعة، أي مجرد نزوة كالنزوة السابقة، ومن ثم هذا الشخص الواحد ليس الا طاغية، لا انساناً حراً، ولم يظهر الوعي بالحرية، وهذه التصورات هي مطابقة في الرؤية للإسلام ولرسوله (ص) هذه الأمة التي لا يعتبرها امة حرة، بل هم عبيد يوجههم شخصية واحدة لديها نزوات شخصية وشراسة، وهي ما تنطبق على تصوراتهم الفكرية في الغرب عن الرسول محمد (ص)،علماً إنّ (هيغل) جعل الاسلام هو الامتداد التاريخي والطبيعي للعالم الشرقي.

وفي انتقالة اخرى الى مفكر أخر وهو المؤرخ والفيلسوف الفرنسي (أرنست رينان 1823-1892)، وكانت محاولاته في وصف الاسلام ورسوله، وكذلك عمل على ارجاع التفوق الى العالم الغربي من خلال الصراع الحضاري بين الشعوب السامية التي يرجع لها الاسلام والشعوب والآرية التي يرجع لها بعض الاقوام الاوربية المتفوقة عرقيا، ورأى (رينان) في المحاضرة، التي القاها عن (الاسلام والعلم)، التي يستمد فيها أفكاره من (فولتير)، إذ يقول: أنّ العقل الشرقي غير قادر على التفكير المنطقي والفلسفة، وكان ذلك سبباً في الوقوف من دون تطور العلم والمعرفة في العالم الاسلامي. كان العلم القليل والفلسفة اللذان جاء بهما المسلمون نتاجاً لثورة على الاسلام، والذي هو - على وفق رأي (ارنست رينان) - دين بعيد عن التفكير والابداع التي أصبح من سمات الأمم المتقدمة، لكن الإسلام أسهم في جعل الشعوب التي دخلت تحت رايته من العيش في التخلف و انحدار نحو الهاوية، والجهل والابتعاد عن المعرفة و التقدم، والإسلام على وفق تعاليم الرسول (ص) لا يتناسب مع المعرفة والعلم والتطور، بل هو دين استند الى تعاليم دينية ابعدته كل البعد عن حقيقة التقدم ، لهذا السبب يرى (رينان) أنّ المسلمين هم أول ضحايا الاسلام، تحرير المسلم من دينه هي افضل خدمة يمكن للمرء أنّ يقدمها له، وهذه الخدمة هي إبعاد المسلمين عن حضارتهم وديانتهم وانتمائهم لنبيهم.

وهنا نسأل (أرنست رينان) هل هذه الاطروحة التي تقول بها معتمدة على دراسة الاسلام بشكل صحيح ،ومن داخل المنظومة الاسلامية نفسها ؟، اي هل اطلع (رينان) على (القران الكريم) ودرسه بشكل علمي سليم، دون أنّ يعتمد على اراء الاخرين فيه؟ و هل درس حياة الرسول الكريم (ص) من نفس مصادر المسلمين انفسهم؟ أم تأثير بأقوال الآخرين، كما هو تأثيره برأي (فولتير)، أو غيره من المنظومة المعرفية الغربية التي وضعته بالضد من الإسلام ورسوله الكريم (ص)؟، هذه التساؤلات وغيرها عادة ما تكون بعيدة عن المفكرين الغربيين، فهم فقط يدرسون الإسلام وحياة الرسول من خارج الاسلام متأثرين بآراء بعيدة عن الاسلام نفسه، لذلك كانت نظرة (ارنست رينان) عن الرسول محمد (ص) تناقض الحقيقة وبعيدة عن صفات الرسول (ص)، اذ يرى (رينان) في الرسول محمد (ص) تناقض الحقيقة و بعيدة عن صفات الرسول محمد(ص)، اذ يرى (رينان) في الرسول وحسب رأي نسبه الى المسلمين بأنهم اعترفوا أنّ الرسول في مناسبات عدة كان اكثر استجابة لرغباته منه الى واجبه، رينان الذي نظر الى القران الكريم كثورة ادبية بقدر ما هو ثورة دينية، خلص الى أنّ الحركة الاسلامية حصلت دون إيمان ديني، وأنّ النبي لم يقنع سوى أناس قليلين في الجزيرة العربية، يقول رينان (ايضا): كل أنسان يتمتع بالحد الأدنى من الاطلاع على شؤون العصر يرى بوضوح الدونية الحالية للبلدان الاسلامية والانحطاط الذي يميز الدول التي يحكمها الاسلام والبؤس الفكري للأعراق التي لا تقتبس ثقافتها و تعليمها الا من هذه الديانة.

إنّ آراء (رينان) تكشف عن عدد من النقاط التي يراها في الاسلام و رسوله الكريم (ص) وهي كالاتي :-

اولاً- إنّ الاسلام هو دين يبعد العقل ويعتمد فقط على الطقس الديني، وهذا ما يجعل الشعوب التي تعيش تحت سلطته هي شعوب متخلفة بعيدة عن التطور والعلم والمعرفة.

ثانياً- إنّ هذه الديانة تأتي على وفق ترتيب (رينان) المؤدلج في المراتب الدونية وهي منحطة وتعيش في بؤس فكري، مما انعكس ذلك على الأعراق التي عاشت في ظلها، فهذه الأعراق هي الصورة الطبيعية للدين الاسلامي وافكار الرسول (ص)، و خير دليل يراه (رينان) البلدان الاسلامية و ثقافتها المستمدة من هذه الديانة.

محمد الساعدي

العراق

ثالثاً- إنّ هذه الافكار والثقافة الاسلامية التي أوجدها الرسول (ص) ،يراها (رينان) ما هي الا إستجابة لرغبات الرسول (ص) فقط وليست مستمدة من رسالة سماوية، وهذا ما ينقله (رينان) عن المسلمين و رأيهم برسوله وكما يزعم، وفي هذه الصورة تَجني كبير،

كون (رينان) نفسه قد تأثر بآراء غربية صورت الرسول (ص) في صورة مشوه قائمة على الرؤية من خارج الاسلام، أي نظرة غربية بعيدة عن الموضوعية في هذا المجال.

و ننتقل الى الكاتبين (واشنطن ايرفينج 1783- 1859) و (مارتن توين 1835-1910)، فالكاتب الأول نشر كتاب بعنوان (محمد وخلفائه) (Mohamet and his Successors)، اراد فيه أنّ يقدم صورة عن انظمة الحكم في الاسلام والتي تتميز بحكم الرجل الواحد المتسلط (الاوتوقراطي)، وتشكيل سلطة دينية (تيوقراطية) بعيدة عن الديمقراطية، وحسب المفهوم الغربي، وهذه الطريقة في الحكم صنعت شعوب بعيدة عن الحرية، وهذا السياق من الحكم يبقى في نفس التصورات السابقة، بأنه حكم الرجل الواحد الذي يسير هم بحسب اهوائه، وهذه الشعوب تبقى تعيش في فترة العبيد الذين لا يستطيعون تغيير، أي شيء في حياتهم.

أما الكاتب الثاني (مارتن توين)، ففي كتابه عن الشرق الذي يحمل عنوان (السذج خارج الوطن) قدم فيه نقد للمسلمين على أنهم شعوب همجية قذرة وجاهلة ومتخلفة، يؤمنون بالخرافات التي اتتهم من طبيعة حياتهم وطريقة حكمهم وطريقة دينهم، ففي زياراته الى فلسطين يصفهم بأنهم يعيشون في مستنقع قذر لا يعباؤن بالجهل ولا الوحشية، أما في زيارته لمصر رأي بأنهم لا يستحقون التقدير.

إنّ كتاب (السذج خارج الوطن) مليء بصور ذهنية لكاتبة عن شرق اوسط مسكون بالقراصنة والانبياء والمعوزين على محمل الجد، وبالتالي فأن عدم التفريق بين هؤلاء وأوصافهم ،وأوصاف الشعوب في الشرق الاوسط، يجعل من (توين) يعيش في صورة تحمل النمطية ذاتها عن هذه المنطقة، كون دينهم لم يرتقي بهم الى مستوى الحياة، وكل هذه الاوصاف المنحازة في ذهنية (توين) يتحملها الاسلام و نبيه الذي لم يرتقي بهم الى مستوى الشعوب والامم الاخرى كالشعوب التي تعيش تحت سلطة المسيحية في الغرب.

وكان لرجال دين أمريكيين مواقف من الرسول محمد(ص) والإسلام، هي مبنية على تصورات سابقة لمفكرين وكتّاب ووعاظ غيرهم، لكن هذه التصريحات للأمريكيين المعاصرين كان لها الدور في رسم و تأكيد العداء ضد الاسلام ورسوله الكريم في الولايات المتحدة الامريكية، وهذه الاوصاف تتناغم مع السياسات الحالية في وصف العرب والمسلمين بأنهم أرهابيين، وهم شعوب بعيدة عن الحياة والتحضر، واذا استعرضنا بعض أقوال هؤلاء الكتّاب الذين يمثلون الشريحة الدينية في أمريكا الذين يعدون العالم الاسلامي تهديداً و يدعون الى عدم احترام مقدساته وهذا يجعل الكراهية تزداد للمسلمين في أمريكا ،ويجعل المسلمين يزدادون كرهاً ايضاً لأمريكا، ومن هذه الاقوال، يقول (بات روبرتسون): لقد كان (أودلف هتلر) إنساناً سيئاً لكن ما يفعله المسلمون باليهود هو اسوأ مما فعله (هتلر)، وعندما يشير (الاب جيري فالويل) في كلامه عن النبي محمد (ص) أنه (ارهابي)، و ندما يقول (جيمي سواغارت) في صلاته (ليبارك الله اولئك الذين يباركون اسرائيل ويحفظونها ويلعن اولئك الذين يلعنونها). وعندما يقول الاب (فرانكلين غراهام) عن الاسلام أنه (دين شرير) كما يقول أن المسيحية والاسلام (يختلفان عن بعضهما اختلاف النور والظلام).

وهذه الاقوال الأربعة هي خطاب مكرر يرجع الى ازمان سابقة، وهذا الخطاب الذي أنتجه هؤلاء الكتاب دون أنّ يقع تحت مبدا المسائلة والاساءة للأخرين، كما هي الطريقة التي يحارب بها كل شخص يتناول اليهودية بالأقوال، أو الافعال، وهذه الاساءات للإسلام ورسوله الكريم (ص) لم تواجه من قبل الساسة في الغرب لأنها حسب زعمهم تقع تحت بند حرية التعبير في العالم الغربي.

ونستنتج من هذه الاقوال الاربعة ما يأتي :-

اولاً- إنّ تهمة الإرهاب التي اصبحت في الوقت الحاضر الصيغة المهمة لاتهام الاخر ، هي صفة من صفات الرسول (ص) حسب راي (جيري فالويل) الذي - على وفق قوله هذا فأنه - يجيز الاساءة للرسول (ص) واتهام دين الاسلام بأنه دين إرهابي أوجد الارهاب بصيغته الحالية في العالم.

ثانياً- إنّ الاسلام هو الاسوأ في الوقت الحاضر، اسوأ حتى من (هتلر) و ما فعله في اوربا وهذا يعطي الحق للدعوة في الصلاة (جيمي سواغارت) ضد الاسلام لأنهم يلعنون اليهود، وبالتالي فأن الاسلام دين شر.

ثالثاً- الإسلام دين الشر والظلام يختلف عن الديانات الاخرى (اليهودية والمسيحية) كاختلاف النور والظلام، والخير والشر، والمسامحة والارهاب، وهذه الثنائيات هي ليست جديدة بل هي تقسيمات قديمة ترجع الى الحروب الصليبية و ما قبلها من ثنائيات كانت تستخدم للتفريق بين الاسلام و الغرب ❑❑

كَانَ مَاءً .. كُنْتُ مِلْحًا

ميراي يونس
لبنان

❑ لِأَنَّكَ النَّبْعُ،
لِأَنَّنِي الْجَدْوَلُ،
تَسعَنِي.
فِيكَ أَغْرَق.

لِأَنَّ أَبِي عَلَّمَنِي تَرَاتِيلَ الرِّيحِ،
تَرَانِيمَ الْمَطَرِ، صَلَوَاتِ الْحُقُولِ،
وَمَا زَالَتْ أُمِّي تَتْلُو عَلَيَّ
حَكَايَا الْقَمْحِ وَالطَّحِينِ وَالرَّغِيفِ،
أَظُنُّنِي سَأَبْقَى السُّنْبُلَة.

تَسَلَّلَتْ بَيْنَ الْغُيُومِ،
تَرَجَّلَتْ عَنْ صَهْوَةِ السَّمَاءِ،
أَقْبَلَتْ نَحْوِي، عَانَقَتْنِي بِلُطْفٍ...
لَمْ تُحْرِقْنِي الشَّمْسُ.
وَشَمَتْنِي بِذَهَبِهَا.

وَحِيدًا تَنَقَّلَ قَلْبِي وَسْطَ الْغَابَةِ.
لَمْ يَهَبِ الْجَوَارِحَ.
لَمْ يَكُنْ وَحِيدًا تَمَامًا.
أَنْتِ وَالصَّمْتُ وَالْحُلُمُ تَسْكُنُونَهُ.
أَنْتُمُ الْأَمَان ❑❑

أزمة المثقف العربي كاتب هذه السطور نموذجا

محمد المحسن
تونس

❑ سجال تسفيهي وجدل عقيم تذكيه أزمة المثقف العربي: من المؤسف حقا أن يقبل المثقفون العرب بتوزع ولاءاتهم لتغذي خلافات الأنظمة والحكام في وطنهم، وهم كتلة الوعي الفاعل في الأمة،وأحد أهم مصادر قوتها وتأثيرها وتدبيرها إذا ما جمعوا على وحدة الموقف ووحدة الهدف والرؤية، إلا أنهم ابتعدوا عن هذا وانبهروا بالعقل الغربي ومنجزاته ،محتقرين العقل العربي ومنجزاته، فزادوا من اتساع الشرخ الثقافي الذي يعيشه الإنسان العربي بدرجات لا تتفاوت كثيرا من جماعة عربية إلى جماعة عربية أخرى، وبدلا من منطقة وسط يأخذ فيها المثقف العربي ما يتناسب مع ثقافته العربية، وتراثه المجيد ،نجد الغالبية تعيش الثنائية بكل تناقضاتها وفصامها .ما أدى إلى أزمة يعيشها المثقف العربي العلماني، والنهضوي ،والسلفي والإسلامي على حد سواء.

وهنا أشير إلى أن أزمة الثقافة والمثقفين العرب هي اليوم أخطر من أي وقت مضى، ذلك أنها بدأت تهدد وجودهم وكيانهم، فالخطاب التسفيهي والجدل العقيم هو الذي يحكم فكرهم وحوارهم، كما أن مصطلحات التكفير والتخوين والتأثيم هي سيدة خطاباتهم والأسئلة التي تنبت على حواشي الواقع .

فهل سيبقى المفكرون العرب على ماهم عليه أم تراهم سيحققون مناخا ثقافيا وفكريا يحقق سموهم وارتقائهم الحضاري،وينتزعهم من الواقع المزري الذي وضعوا أنفسهم فيه، وهل باستطاعة المثقفين العرب أن يخلقوا دورا ورؤية في عالم كل مافيه متغير وسيبقى متغيرا؟ أمل كبير يبنيه الشارع العربي على مثقفيه ولكن هل سيكون المثقفون العرب أهلا للمسؤوليات الملقاة على عاتقهم وأهلا لما يعلقه الشعب عليهم من آمال؟

إن ثقافة "كن بين يدي شيخك كالميت بيد مُكَفنه"،هي نفسها ثقافة "نفذ ثم ناقش" ثقافة خضوع وعبودية واستعباد بمسميات مختلفة، ثقافة واحدة تلغي الحرية ولا تحترم العقل بل وتلغي وجودهما، وهي قيد للعقل وخصي للإبداع، هي ثقافة صناعة العبيد، والعبد ألة إنتاج، وليس عقلاً مبتكراً أو مبدع، هي ثقافة تستهلك الحضارة ولا تنتجها، تقود المنتسبين لها للخروج من الحضارة بل ومن الوجود ذاته.

أزمة الثقافة العربية بكل مكوناتها هي أنها تستخدم نفس أدوات التراث المعرفية التي أنتجت ذات التراث المعيق والمغلوط أياً كان مسماه، فقهي قومي يساري ليبرالي، وهي هنا تُعيد إنتاج نفسها بصور مختلفة وتسميات جديدة، معتقدة أنها أحدثت تجديداً وتغييراً ثقافياً بينما هي لا تزال أسيرة ذات التراث.

وللخروج من هذه الإشكالية (الأزمة) على العقل العربي أن يعيد قراءة تراثه الفقهي والحزبي، بمعارف عصره وأدواتها المعرفية وإشكالياته المعاصرة، ليصيغ ثقافة جديدة تُعيد صياغة العقل العربي بمُكون معرفي جديد يجعل للعقل والحرية حيّز وتأثير، هنا فقط يستطيع العقل العربي الخروج من أسر التراث لينتج ثقافة عصره وحضارته.

إغتراب المثقف

التجارب التاريخية في وطننا العربي تشير الى مرض الاغتراب والتهميش والاقصاء الذي عانى ومازال يعاني منه المثقف العربي عبر الاجيال والعصور، ففقدان الحرية والديمقراطية وانتهاك حقوق الانسان كلها عوامل ادت الى اغتراب المثقف العربي وتهميشه، سواء داخل وطنه (كاتب هذه السطور واحد ممن نالت منهم الغربة والإغتراب داخل وطنهم ومدينتهم أيضا سيما بعد أن أشاحت السلط الجهوية بتطاوين بوجهها عنه وتركته في-عين العاصفة-مرض عضال ينخره..

إبن يافع رحل إلى الماوراء حيث نهر الأبدية ودموع بني البشر أجمعين،إبن آخر قضى ثلاث عجاف خلف القضبان.. زوجة ملتاعة تشكو تكترات عصبية حادة..عجزه عن إصدار كتاب يضاف إلى بقية كتبه في شكل مقاربات نقدية..إلخ) ولا مغيث حيث اصبح من الغرباء فيه لا يتعرف عليه ولا يتفاعل معه كما ينبغي لانه اذا فعل ذلك مصيره يكون مجهولاً، او اننا نجده يلجأ الى الهجرة طلبا للحرية ولمتنفس يجد فيه مجالاً للتفكير والابداع، لكن تبقى الغربة والعيش خارج المحيط الطبيعي للمثقف بمثابة الموت البطيء. والمثقف مهما كانت الصعاب والمشاق والمشاكل والعراقيل يبقى دائما مسئولا ازاء مجتمعه لتحقيق الأهداف النبيلة التي يناضل من أجلها،وهي العدالة والمساواة والحرية والقيم الانسانية النبيلة ومن اهمها توفير الظروف المناسبة للفكر والابداع.

اشكال آخر مهم جدا ضمن سياق ظاهرة اغتراب المثقف يتمثل في الرقابة الذاتية وممارسة الانسلاخ الارادي والمباشر من المجتمع والعيش في ضفافه وقشوره، وهذا موت بطيء أخر يعاني منه المثقف العربي وهو نوع من الانتحار،حيث لا يستطيع المثقف ان يجرؤ على التعبير عما بداخله ولا يستطيع ان يضع افكاره في خدمة المجتمع وفي خدمة المهمشين والمحرومين.فالاشكال هنا يتمثل في التقرب من السلطة وهذا يعني بعبارة اخرى الانسلاخ عن الجماهير، او التقرب من الواقع ومن الجماهير وهذا يعني غضب السلطة على المثقف واسكاته او تهميشه بطرق مختلفة(حالة كاتب هذه السطور)، البعض منها معلن والبعض الاخر سري وضمني.وفي كل هذا نجد ان المجتمع في نهاية المطاف هو الخاسر الكبير لأن المجتمع الذي لا يملك نخبة من المثقفين العضويين-مع الإعتذار لغرامشي- ونخبة من المفكرين تنظر وتنتقد وتقف عند سلبياته وهمومه ومشاكله وتناقضاته وافرازاته المختلفة، لا يستطيع ان يكون مجتمعاً يتوفر على شروط النجاح والابداع والتحاور والنقاش البناء والجاد بين مختلف الفعاليات والشرائح الاجتماعية. وآليات الاتصال داخل المجتمع مهمة جدا،فكلما كانت مرنة وسلسة ويسيرة كلما نجم عنها التفاهم والوئام والوصول الى الافكار النيرة.لكن كلما تعقدت آليات الاتصال والتواصل في المجتمع وكلما اصبحت عسيرة ومفتعلة ومتملقة ومنافقة كلما زادت مشاكل المجتمع وتفاقمت،وكلما زاد سوء الفهم وانعدم التفاهم والحوار واحترام الآخر.

هذا ما يقودنا للكلام عن الثقافة التي افرزتها القوى المختلفة في المجتمع،فهذه الثقافة هي بكل وضوح ثقافة التبرير والتملق والتخدير والتزييف،وكأن الهدف في نهاية المطاف هو تجهيل الرأي العام وتخديره بدلا من توعيته والرقي به الى مستوى الفعل والمشاركة في صناعة القرار وفي تحديد مصيره ومكانته بين الشعوب والأمم. والأسئلة التي تنبت على حواشي الواقع:
ما هو دور المثقف في المجتمع؟ وما هي علاقته بالسلطة؟ اسئلة تفرض نفسها في وطننا العربي وخاصة في الازمات المتعاقبة والعويصة التي تعيشها الأمة العربية من المحيط الى الخليج.

في البداية نتساءل عن مكانة المثقف في المجتمع وعن وضعيته وعن الدور الموكل اليه. ولماذا نتكلم دائما في وطننا العربي عن ازمة المثقف؟ لماذا مثلا لا نتكلم عن المثقف العضوي في المجتمع(مع الإعتذار ثانية لغرامشي)،المثقف الحقيقي الذي ينتقد ويقف عند هموم وشجون المجتمع،المثقف الذي يعمل على تغيير الواقع وليس تكريسه، المثقف الذي يساهم في صناعة الفكر والرأي العام،المثقف الذي يحضر مجتمعه شعبا وقيادة لمواكبة التطور الانساني والحضاري والتفاعل الايجابي مع ما يحدث في العالم؟!

في البداية يجب الاشارة الى ضرورة النظر الى المثقف كجزء فرعي من نظام كلي وهو المجتمع،ونتساءل هنا هل المثقف ينتج المجتمع أم انه جزء من المجتمع؟ فالمثقف عادة ما يكون مرتبطة بواقعه وبمجتمعه يتفاعل معه،يؤثر ويتأثر به.لكن الاشكالية التي تطرح هنا تتمثل في ماهية وطبيعة العلاقات التي يقيمها المثقف مع الجهات المختلفة الفاعلة في المجتمع.وهنا نقف عند علاقة المثقف بالسلطة،هل هي علاقة تملق وذوبان في هذه السلطة ام انها علاقة احترام متبادل وبذلك امكانية التأثير وابداء الرأي والاختلاف وصولا الى علاقة التضاد؟! ما هي إذا علاقة المثقف العربي ببيئته؟ اي علاقة المثقف بالسلطة وعلاقة المثقف بالجمهور وعلاقة المثقف بالقضايا اليومية للمجتمع وعلاقة المثقف بالقضايا الطارئة.ففيما يتعلق بعلاقة المثقف بالسلطة بقيت الأمور على حالها رغم المطالبة بتجسير الفجوة الموجودة بينهم،والمحاولات القليلة التي سجلت كانت مع الأسف الشديد من قبل المثقفين ازاء السلطة ومن جهة واحدة الأمر الذي يدعي الى التشاؤم والتحسر على واقع سلبي للغاية في عصر العولمة والثورة المعلوماتية.

على سبيل الخاتمة

إن المثقف-التونسي-يعيش اليوم،ونحن على أبواب نهاية العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، أزمة خانقة تحول دون قدرته على تحمل مسؤولياته حيال تنوير السياسي والحكام بصفة عامة بآراء وأفكار وتصورات من شأنها أن تزرع الأمل والثقة والاطمئنان في نفسية التونسي التي لم تعد تحتمل الاستمرار في الصبر والصمت والرضى بما قسمه لها السياسي الحاكم الفاسد وسياساته العرجاء التي أهلكت الضرع والنسل وحركت المياه الراكدة ..

إنه لا مناص للمثقف من الاضطلاع بدوره المنوط به المعروف والمحدد في تنوير الرأي العام وتقريبه من عمق قضاياه المصيرية على كل المستويات،ومواجهة الحاكم بأسئلة محرجة ومستفزة تدفعه دفعا إلى إعادة النظر العاقل والمتعقل والديمقراطي في أولويات الشعب المغربي من سكن وخبز وكرامة وحرية وصحة وتعليم وأمن وسلام،وهي أولويات المثقف وحده من يكرس لدى السياسي الحاكم والسياسي المدبر الإيمان القوي بجدوى الاهتمام بها وبما يفرزه هذا الاهتمام الجاد والدائم من سلم اجتماعي من شأنه أن يسهم بسلاسة في تنمية مستدامة للمجتمع التونسي.

إننا بتنا نتعايش على مضض مع خرجات مثقف الأزمة،خرجات تزيده هو بعدا عن دوره الحقيقي في المجتمع،وتزيد الأزمة استفحالا إلى درجة لم نعد معها نميز بين مثقف أزمة ومثقف يعيش أزمة...وذلك لما في الوضع الأول من خنوع وتكسب ومداهنة ومهادنة مذلة،وما في الوضع الثاني من تراجع وتقهقر في وتيرة أداء مثقف اليوم ❑❑

وقع الاغتراب على الإبداع

د. نجاة تميم
العراق

❑ الغربة بمعناها المتداول هو الانتقال اختياريا، من بلدك ومسقط رأسك للعيش في بلد آخر، للعمل أو الدراسة أو ما شابه ذلك، أو قسريا كاقتلاعك من جذورك، نفيا أو تهجيرا اضطراريا. وفي الحالتين، يغمرك إحساس بالاغتراب عن هذا الوسط الجديد. لكن يمكنك أن تعاني من هذا الإحساس ببلدك وبين أهلك وخلانك.

فحالة الاغتراب، هاته، التي يمر بها الانسان، بحسب د. ملحم بركات في كتابه الموسوم "الاغتراب في الثقافة العربية"، تتصل بمشكلات التفكك الاجتماعي والثقافي والسياسي. فعندما يكون المرء عاجزا، ويعي عجزه في علاقاته مع المجتمع ومؤسساته، تكون ثلاث خيارات أمامه؛ إما الانسحاب أو الرضوخ أو التمرد أي أن يثور على وضعه الاجتماعي والثقافي والسياسي.

لقد استخدم مفهوم "الاغتراب" في الفلسفة والدين وعلم الاجتماع والطب النفسي والأدب والاقتصاد والقانون. وتعددت دلالاته بحسب كتاب كثر؛ مرورا بروسو وهيغل ووصولا إلى علماء الاقتصاد والاجتماع؛ (كارل ماركس) و(إميل دوركايم) وو (ماكس فيبر) و (كارل مانهايم) وغيرهم.

أما هيغل، فيعتبر حالة الاغتراب مرحلة ضرورية وعابرة ووسيلة لخروج الفكر من ذاته ولبلورة محتواه، ويجعل المرء نفسه غريبة عنه و يقوم بإنشاء عالما موضوعيا لا يتعرف فيه على نفسه، لكن هذا الضياع هو اغناء في نفس الوقت، فلولا هذا الاغتراب لما تمكن الفكر من معرفة إمكانياته الحقيقية و لما حقق تلك الإمكانيات.

وباختصار يقول سارتر أن الانسان يصبح غريبا عن ذاته بفعل الصورة التي يعكسها الآخر عنه والتي لا تكون مطابقة مع صورة ذاته التي يحملها، ويضيف أن الاغتراب عن الذات يتضمن وعيا مؤلما بغياب الذاتية الحقة للفرد.

هذا، عن الجزء الأول من عنوان الندوة فسننتقل الآن إلى الجزء الذي يخص موضوعنا الأساسي: الابداع.

إن الروائية سلوى جراح تقدم لنا سيرة ذاتية، تحت عنوان "لملمة أوراق تبعثرت"، ومن خلالها، سنكتشف معا، خبايا هذا الاغتراب؛ وهي التي تنتمي "إلى عيلة لا تُزوج بناتها للأغراب". ص 10

وبالمناسبة، فالسيرة الذاتية هي جنس من أجناس الأدب: ظهرت في بداية القرن التاسع عشر في بريطانيا. وعادة تكتب السيرة الذاتية بعد أن يتجاوز الكاتب عمرا معينا لكي يتسنى له أن يقدم حصيلة تجاربه الحياتية التي ساهمت في تكوينه.

لكن هناك حالات خاصة؛ فالكاتب الإنجليزي جورج مور والفرنسي ميشيل ليغيس كتبا سيرتيهما الذاتية الموسومتين بالتتالي " اعترافات شاب" (1888) و"عمر إنسان" (1939)، وعمرهما لا يتجاوز الستة والثلاثين ربيعا. وفي عالمنا العربي المعاصر، اشتهر الكاتب والروائي المغربي محمد شكري بثلاثية سيرته الذاتية الموسومة؛ "الخبز الحافي" 1982، "زمن الأخطاء" 1992، و"الشطار" 2000. مع العلم أنه كتب الجزء الأول منها وهو في الثلاثين من عمره.

وبحسب فليب لوجون، السيرة الذاتية عبارة عن حكي استيعادي نثري يقوم به شخص عن وجوده الذاتي وذلك عندما يركز على حياته الفردية وبالأخص على تاريخ شخصيته. وقد وضع فليب لوجون ميثاقا سير ذاتيا لجنس السيرة الذاتية والذي ينص على أن يصنف الكاتب مؤلفه، على غلاف الكتاب كأول عتبة أو على أول صفحاته. أما الشرط الثاني وهو أن السارد والشخصية يحملان اسم الكاتب نفسه والشرط الثالث والأخير ينص على أن يكون هناك توافق بين هوية الكاتب والسارد، وتوافق بين هوية السارد والشخصية، بالإضافة إلى الصدق والمصداقية التي يجب أن تسودا هذا النص السير ذاتي.

إذا تمعنا في كتاب سلوى جراح، فإننا نجده مصنف كسيرة ذاتية وأن الكاتبة تتحدث بالضمير المتكلم "أنا" وأن هناك توافق بين هوية الكاتبة والسارد وكذلك بين السارد والشخصية. كما أنها تتعهد أمام قرائها أنها ستحاول "أن أقول ما عندي بقدر ما أستطيع من صدق وأمانة". ص (8) وعليه فإن كتابها سيرة ذاتية بامتياز؛ تتوفر فيها شروط الميثاق الأتوبيوغرافي الذي وضعه الكاتب الفرنسي لوجون.

تتكون هذه السيرة الذاتية من اثنتي عشر فصلا دون عدّ المقدمة التي تشرح فيها الكاتبة سبب مشروعها السير ذاتي وتلخصه في دفاعها عن نفسها؛ لكي تبرأ نفسها أمام قرائها وتنفي الطابع السير ذاتي في باقي روايتها. بدأت مشوارها السير ذاتي من ولادتها بفلسطين عام 1946 وانتقال والدها بعد ذلك، الذي كان آنذاك يعمل مهندسا في شركة نفط العراق، إلى البصرة في العراق في نهاية عام خمسين من القرن الماضي.

وقد كان أول اتصال لها بالعالم الخارجي بمدرسة الفاو الابتدائية النموذجية التي نصحت مديرتها الوالد "ذا النون" جراح بأن يسجل ابنته سلوى في مدرسة أخرى لأنها لا تشبه أطفال الصرائف. بالإضافة إلى الارباك الذي أصاب الطالبات وبائعة اللبلبي والذي حصل بسبب القطعة النقدية التي أرادت سلوى شراء اللبلبي بها. يبدو أن هذه القطعة النقدية، التي أخذتها من علبة أبيها الزجاجية دون علمه، كانت مبلغا ضخما من المال.

وبعد تجربة الفاو، أرسلت إلى مدرسة الشويفات الدولية في بيروت، لتحظى بتعليم يساعد على تطوير شخصيتها. قضت بضعة أشهر فيها، ثم عادت سلوى إلى مدرسة الراهبات، بالبصرة. وهناك أحست، في هذه السن المبكرة، بالانتماء إلى مكان وناس وتاريخ وجغرافية. واكتسب هذا الانتماء للمكان والناس أبعادا، وتسترسل : "لوّنتني وشكلت رؤيتي ومشاعري على مدى سني العمر". ص 67

ففي عام 1956، خلال إقامة العائلة بمدينة كركوك، التحقت سلوى، لفترة، بالمدرسة الأمريكية بيروت لدراسة اللغة الإنجليزية. فهذه المدرسة الأمريكية، تستقطب الطالبات من دول متعددة، يتكلمن فيما بينهن لغات بلدانهن. لم ترق لها الحياة بالمدرسة الداخلية التي عانت فيها من

حرمان الحرية الشخصية والحياة الاسرية. أحست سلوى لأول مرة بالوحدة والاغتراب. ولم تجد من يتحدث معها؛ لأن الطالبات العراقيات كن يعتبرنها الفلسطينية " المعرّقة".

ومن بيروت عادت إلى كركوك، التي قضت بها سنين أطول، بمدرسة مار يوسف للراهبات الكلدان بين 1955 و1962. وهناك "عادت لعراقيتها التي تراكمت مع السنين وصار البعد عن العراق يقلقها". ص. 78

مع نهاية صيف 1958، انتقلت العائلة للسكن في بيت بناه الوالد "ذا النون" في مزرعة، في منطقة خالية، خارج كركوك. عرفت هذه الحقبة التاريخية أحداثا كثيرة. لكن ما أثر بها هو ما قاله لها والدها أثناء اعتقاله واتهامه بالتخاطب مع الشواف الذي قاد التمرد ضد الثورة الفتية عام 1959: "لا تبكي أبوك وطني يحب بلده ولم يفعل ما يسيئ له". ص94 وفعلا أطلق سراحه في اليوم التالي. وخلال تلك الحقبة التاريخية، حدثت سلسلة من الانقلابات والنكبات والانتكاسات الدامية في العراق وفلسطين. ذاقت سلوى مرارتها ولها أيضا موقفا صريحا منها.

مرحلة جديدة تبدأ بترقية الوالد وانتقال العائلة إلى بغداد. لكن ما لم يخطر على بال سلوى أنها، الآن، تعتبر طالبة قادمة من مدينة صغيرة "كركوك" ولا ترقى، حسب زميلاتها، إلى مستوى العاصمة بغداد. فبالرغم من اعجابها الشديد بمدينة بغداد، "فهي ليس الفلاح القادم من القرية إلى المدينة لأول مرة". ص. 109 وهنا تتغير نظرة الآخر لها. ولم تذكر أنها كوّنت صداقات بهذه المدرسة. مما جعلها تتقوقع على نفسها وتقول: "وصار الطعام المتنفس الوحيد وتراكمت سمنتي". ص 110

كانت تشعر بالضياع وهذا أثّر على معدلاتها بامتحانات البكالوريا، وبذلك لم تستطيع تحقيق حلم أبيها بأن تصبح طبيبة. ولإرضاء والدها، قدمت أوراقها لعدة جامعات مصرية، لكن بدون جدوى وعادت إلى بغداد لتسجل بجامعة الحكمة للآباء اليسوعيين، وذلك لدراسة اللغة الانجليزية والفلسفة وأساليب التعليم وتتخرج منها عام 1969. فخلال دراستها، كانت تعمل مساءا مترجمة بتلفزيون بغداد وعينت بعد التخرج مترجمة، في القسم التجاري، في شركة نفط العراق.

لكن الإحساس بالاغتراب، عاد ليسيطر عليها، من جديد، بعد تأميم شركة نفط العراق، عام 1972. فنُقلت مع مجموعة من عمال النظافة والفراشين إلى مبنى أمانة العاصمة في مدينة بغداد. وتَعترف أن الكتابة عن هذه المرحلة من حياتها شلّت تفكيرها، وكانت مرحلة معقدة عاشت خلالها ضياعا وصل في لحظات إلى حالة من الهلع والخوف. تعقدت الأمور بحيث صعُب عليها تحمل مسؤولية طفلها الصغير وغياب الزوج لفترة تدريبية في الخارج، وعمل لا يروق لها، ولا يرق لما درسته في جامعة الحكمة. فهذا الضياع والإحساس بالاغتراب الاجتماعي والسياسي يولد شعورا بعدم التفاعل بين الذات وذوات الآخرين، وهو احساس بالعجز وعدم القدرة على التأثير وعلى تغيير الوضع الاجتماعي، بحيث يخلق شعورا بالتهميش وبقمع الآخر له، وسيطرته عليه وعلى مستقبله.

نصل والكاتبة سلوى جراح إلى محطة مهمة، بالنسبة لها: لندن. هذه الفترة، لم تخلو، هي الأخرى، من اغتراب مضاعف ومتعدد الأوجه إذا صح التعبير؛ الانتقال للعيش في مجتمع غربي؛ تستغرب الكاتبة لعدم تمكنها من تكوين صداقات مع أسر انجليزية ولا تعرف السبب الحقيقي لذلك، واحساس باغتراب آخر داخل الخلطات العربية اللندنية، حسب قولها، خلال اثنين وعشرين سنة من عملها بالقسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية بي بي سي.

لكن بالرغم من ذلك كله، وبالعزم والإصرار وتعزيز الثقة بالنفس في وسط غربي، يُأمن بتمكين المرأة ويؤمّن لها حريتها، حققت سلوى جراح نجاحا في إعداد وتقديم برامج متعددة ومهمة. وبعد اعتزالها العمل بهيئة الإذاعة البريطانية وهي ما زالت بكامل طاقاتها، استغلت وقتها وصقلت مواهبَها المتعددة وانطلقت من نجاح إلى نجاح.

ونخلص أن تجربة الاغتراب، ليست سلبية، لأننا نساهم في صنعها بأنفسنا، فهي تجعل نظرتنا للأمور ثاقبة أكثر وتمكننا من التأني خلال سيرورة نظرتنا للآخر ولأنفسنا.

وأخيرا، عندما تسامت الكاتبة وتجاوزت المثل الشعبي" همّ نزل وهم يدبّج"، نجحت في التراضي مع نفسها، واثبات ذلك في تأليف روايتين رائعتين، عن العراق، الموسومتين بالتتالي "صورة في ماء ساكن" (2014) و"أبواب ضيقة" (2016)، بعدما أرضت جدتها ووالديها وأهلها بالكتابة، عن فلسطين، في الرواية الموسومة "صخور الشاطئ"، ولها أيضا روايات أخرى "الفصل الخامس" و"أرق على أرق" و"بلا شطآن" وكان آخر كتبها سيرة ذاتية تحت عنوان "الملة أوراق تبعثرت" قالت فيها كل ما عندها وأبقت لنفسها بعض الأوراق ربما تطلعنا على فحواها في عمل جديد ❑❑

يا أمي

آل يسار الطائي
العراق

✠ دعيني ارتحل..يا امي
اقيم تحت ظلال النخيل
يا أُمي..
لست كالفتية
طلاب العشقِ
تعربد فيهم شمس الاصيل
لست مثلهم يا امي
فانا اطوف حول الموت
ابحث عن الحياة
و ارى الارواح
تلوح لي بالمناديل
ادرس لغات الفن
والعدمية والصيرورة
من جياع الدروب
و القفز فوق السواقيل
مخبول يا امي ربما!!
او تريني على بطرٍ ربما !!
و انتِ تنظرين ،
لاصابعي الصغيرة
و هي تضيء كالقناديل
لازال يا امي ..
ختم سجن بغداد
على ساعدي
و ابي في ركن الزنزانة
يفكر كيف سيكون الرحيل
رائحة السجن العفنة
تروي لغة الموت المجاني
و ثمة من يدندن،،
(مع الريل وحمد)
(و المكير)
اطوارا و مواويل..
دعيني ارحل..يا امي
فأنا اجد نفسي
مع هوجاء (المخابيل) ✠✠

شوقي الماجري يخترق حاجز الصوت بدقيقة صمت

صباح كنجي
العراق

❑ مسلسل (دقيقة صمت) للمخرج المبدع (شوقي الماجري).. الذي قدم في شهر أيار 2019 مع مسلسلات رمضان .. اقترب كثيراً من محنتنا جميعاً.. و جعلنا نكتشف ما يدور من حولنا من الغاز ومصاعب وعجائب.. سببت لنا الدوار والكثير من المعاناة و الآلام .. عبر (30) حلقة تواصلت.. لتمنحنا الكثير من القوة والثقة بأننا قادرون على تجاوز ما يعترضنا من صعوبات ومعضلات تواجهنا بسبب تحكم مافيات تمكنت من ازاحة الدولة ومؤسساتها الهزيلة المدنية والعسكرية - الأمنية.. لصالح سلطة مافيات.. تنشأ من رحم متعفن عشش فيه الفساد.. لتمارس غيها وعبثها.. من خلال لعبة الحياة والموت.. في مكان وزمان غير محدد.. لا يتجاوز الـ 11 يوماً ليس بالضرورة ان تكون سوريا مسرحاً للحدث..

لانه لم يحدد مدينة او رقعة توشي بجغرافية محددة ومعلومة .. لكنها يمكن ان تكون سوريا.. مصر .. العراق.. اليمن .. ليبيا .. السعودية .. او حتى أي بلد شرق - اوسطي.. كما هو الحال مع رواية شرق المتوسط ثانية.. للكاتب عبدالرحمن منيف.. التي كان الشخصية المحورية في بنيتها المعتقل العراقي رحيم الشيخ .. النصير حيدر.. الذي اعتقل في ايران مع المجموعة القيادية لحزب توده.. بعد سقوط الشاه وعذب بشكل وحشي .. واصبحت قصته ثيمة الرواية بعد ان جعل من سجستان - البلدة .. ساحة ومكاناً لعذاب يتداخل بالموت.. ينهش في كل لحظة شيئاً من روح حيدر.. في ذلك المكان القاصي والمغلق.. المشبع بالقهر والموت..

لا تتعدى مساحة صرخاته ونداءاته الانسانية مساحة زنزانة انفرادية تكور فيها .. يتحكم بها السجان المستبد.. الذي بيده خيوط اللعبة و مفتاح الباب الموصد الوحيد .. هو مفتاح سحري تنشأ منه معجزات تبدل النهايات المستحيلة.. وتجعلها بدايات ممكنة واقعية رغم غرابتها..

لأننا في عصر الغرائب .. غرائب التحولات السريعة المتداخلة.. التي تستهدف الانسان المنسي .. يذكرنا به عامل الميكانيك.. الذي ادى دوره بنجاح كبير الممثل السوري فادي صبيح .. ونجح من خلاله بتذكيرنا بأننا بشر .. انسان .. يا انسان.. وهو يرددها عبر حلقات المسلسل.. في اصعب الاوضاع التي واجهته في محنته.. وهو يواجه صديقه الذي انقذه من الموت قبل فترة .. امير ناصر الذي ادى دوره الممثل السوري عابد فهد.. المحكوم بالإعدام بسبب جريمة قتل نشأت من قسوة رجل السلطة المتهور مدير الناحية.. الذي اهان ضحيته واعتقل امه.. ادت الى مقتل ولدي المدير المستبد انتقاماً في لحظات لا تخلو من الانفعال المغلف بهدوء منضبط.. لا يتعدى حدود الحالة والدوافع التي تجعل من الانسان قاتلاً ومعتقلا ينتظر القصاص ..

لكنها .. يا للمفارقة.. كأننا في العراق .. في السبعينات من ذلك الزمن الهمجي.. الذي كان فيها رمز الفساد حينها .. خيرالله طلفاح.. خال الطاغية صدام حسين.. ووالد وزير الدفاع لاحقاً عدنان خيرالله.. يتحكم بخيوط الاحداث ويتمادى في سرقاته ونهبه للأراضي والبيوت والمزارع.. وأخذ يتدخل في شؤون الدولة والمجتمع .. الى حد بات فيه يتقاضى اجوراً من اهالي المعتقلين المحكومين بالإعدام

وصلت الى الـ 50 الف دينار.. كانت تعادل 160 ألف دولار وقتها.. عن كل حالة محكوم بالإعدام يجري تهريبه بعد استبداله بضحية ومخل عقلياً يجلب من الشماعية - كما يسميها السوريون بـ العصفورية.. حيث كان يستبدل نزلاء منها بالمحكومين من الاعدام.. يجري تهريبهم بعد تدخل طلفاح وحده ..الذي لا يمكن رفض له طلب في ذلك العهد.. الذي ذكرنا به الكاتب (سامر رضوان) في نصه الذي تحول من خلال المخرج المبدع شوقي الماجري.. الى 30 حلقة من مسلسل حمل عنوان (دقيقة صمت)..

قدم من خلال مجموعة ممثلين اشتركوا بالعمل.. استكمل بالتصوير والصور والصوت والموسيقى التي وضعها رعد خلف .. اعتقد هو رعد حميد البصري .. ومن خلال مشاركة كافة الممثلين والفنيين ليصبح عملا متكاملا .. نقلنا عبر تواصل مشاهده من حلقة لأخرى.. بسلسلة مفاجآت في كل حلقة.. لترسم معالم الاختلاط بين الواقع والخيال.. وتدمج بين الموت والحياة.. ونحن نخطو خطوة بعد خطوة نحو المجهول..

الذي احيط بالممثل عابد فهد وهو يؤدي شخصية امير ناصر.. الذي تحول الى لعبة بيد عصابات تتحكم بالدولة وتتصارع فيما بينها .. عصابات حولت حياته من الحلقة الاولى الى مجرد قصاصات ورق وصور تتساقط من حوله كالمطر وهو يخطو ليلتقط منها صورة امه .. فيلدا سمور.. التي اصبحت ضحية من ضحايا مدير الناحية.. وجعلت من ابنها الشاب.. منتقماً وقاتلا ومحكوماً بالإعدام ينتظر الموت ..

لكنه يصبح لعبة مع زميل له .. هو المواطن اللبناني ادهم منصور.. وهنا تبدأ محاور الحدث لتنسج لنا صورة للحياة والموت.. يتحكم بها رجل من عصابة تدير البلد.. هو العميد عصام.. الذي تحول الى غول واكتشف سر الحياة والموت المافوي.. ووضع لنفسه قانونا وخططاً تمكنه من التحكم بالرؤوس الكبيرة.. بعد أن قرر ادخالهم في مخطط يتمسك بخيوطه وحده..

وتتداخل الاحداث.. لنشهد عودة الميت المحكوم بالإعدام.. وتحوله الى ولي ومبروك.. يتنازع حوله الناس.. بين مصدق ومكذب.. لكنه يبدأ بالظهور كحقيقة.. وفقاً لمخطط مدعوم من العميد عصام الذي اخذ يتعامل مع الحياة.. ككذبة كبيرة.. ولعبة اكبر تستحق اللهو والعبث والسخرية..

تستقطب الكثيرين للمشاركة فيها بمن فيهم رجل الدين.. الذي يسعى للثبات على موقفه من الأحدث ولا يغير من موقفه.. ويشك بالذي يحدث حوله.. لكنه مرغم على التعامل مع الحقائق.. التي تواجهه فالميت المعدوم أمير ناصر.. الذي جرى دفنه ورفض اداء الصلاة عليه حينها.. حي امامه يدعوه للحضور ومباركة زواجه.. المعلن والمحمي.. بمشاركة الكثيرين من ابناء بلدته الصغيرة ..

هذا الواقع بخيوطه وملابساته و غرائبه التي جسدها المسلسل .. اقترب من الحالة التي يعيشها الناس في اكثر من بلد.. من عقود.. من جراء الفساد ومظاهر الانحلال والتعفن في مؤسسات الدولة والمجتمعات التي تتحكم بها عصابات بدلا من الحكومات.. مسلسل قال الكثير من خلال دقيقة صمت اخترقت حاجز الصوت.. لينبهنا الى: لعبة خطيرة يتداخل فيها الموت والحياة .. وعبث .. هو عبث.. بمقدراتنا ومستقبلنا.. ينبغي ان لا نكون بلا موقف من تداعياته.. وهو يحاصرنا من كل الجهات.. وهو فساد .. فساد كبير ابتلع الدولة ومؤسساتها العسكرية والأمنية.. لا يجوز التغافل عنها والتعويل عيها بعد ان اصبحنا ..

وحدنا نواجه خطر الموت والفناء و الرحيل ..

وعلينا ان نعي ابعاد اللعبة والخروج من نفق الحيرة والاوهام .. هي اوهام كبيرة.. لأننا ما زلنا في دوامة كذبة كبيرة .. من جراء فقدان الحرية.. وعدم المقدرة على التعبير والنطق وكشف اسرار الأحداث المحيطة بنا.. كما عاشها أمير ناصر - عابد فهد ومن معه في المسلسل.. وأصبحت حياتهم رهينة بهذا السر القاتل .. سر العصابة التي تسعى للتحكم بنا وبالكون كله.. لتعيد خلقنا وفق مشيئتها كعبيد واسرى لمخططاتها اليوم بعد ان اصبحنا جميعا نعيش الحالة التي مر بها امير ناصر وبقية ابطال المسلسل ❑❑

يوميات من حصار صيف عام 1982 بيروت صغيرة بحجم راحة اليد!

أمجد ناصر
الأردن

❑ وقع هذا الحدث الهائل، المنسيّ اليوم، قبل ثلاثين عاماً. فعلى نحو كاسح، سريع، وضارٍ وبكميات نار غير مسبوقة بدأ الاجتياح الاسرائيلي الثاني للبنان في صيف 1982. امتدَّ مسرح رقصة الدم والنار من 'رأس الناقورة' في الجنوب إلى 'المدينة الرياضية' في بيروت الغربية.

ضربات اسرائيلية عنيفة ومتواصلة تتجاوز الانتقام.
ضراوة وكثافة نيران ترميان إلى الإفناء أو التركيع أكثر من أيّ شيء آخر.
هستيريا من الانفجارات.
عنفٌ ملحميٌّ في قلب مناطق مأهولة بالسكان.

لن يعرف أحدٌ كيف تضيق الأرض وتتحول السماء إلى صفيحٍ ملتهبٍ يلامسُ الرؤوس، ولن يدرك معنى أن تصبح الحياة مجرد مصادفةٍ سعيدةٍ إلاّ الذين كانوا هناك: في بيروتَ صغيرةٍ بحجم راحة اليد.

في منتصف شهر حزيران (يونيو) عام 1982 كنا قد تجرَّعنا هول الصدمة الأولى لزحف آرييل شارون الذي أحكم الطوق على بيروت من كل جانب، وجعلنا سياج النار نصدّق ما كان يتعالى على التصديق حتى ذلك الوقت: الحصار الاسرائيلي لعاصمة عربية!

كثيرون لم يصدقوا، في خضّم الاندفاعة الأولى للاجتياح، أن قوات 'يوشع بن نون' الجديد ستحكم الحصار على 'أريحا الجديدة' وستعصف بها من كلّ صوبٍ أمام ذهول العالم وصمت الأقربين والأبعدين. لقد نُسِيَت 'خطّة الأكورديون'، التي تحدَّث عنها 'أبو عمار' في مطلع ذلك العام، ولن يتم تذكّرها إلا بعد الوصول الفنتازي لشارون إلى مكتب الرئيس اللبناني الياس سركيس! كان هذا هو العنوان الرهيب لذلك الصباح الحزيراني. عنوان بالصورة الفاضحة والمعاني الذليلة: اريل شارون في 'قصر بعبدا'!

هنا طائفة من اليوميات التي كتبتها أثناء الحصار، صدرت، للتو، في كتاب بالعنوان نفسه عن الدار الأهلية في عمان.

5 تموز

منذ الساعة الثالثة من صباح البارحة والقصف العنيف متبادل. القصف اشتدَّ ظهر اليوم بشكل مكثَّف. سمعنا عن ابادة سرية مشاة اسرائيلية وتدمير عدد من الآليات، كما تم' صدَّ محاولات تقدّم على محور المطار، واسقطت طائرة استكشاف فوق 'المدينة الرياضية'.

المعنويات بيننا عالية. المقاتلون يفضلون أن يبدأوا بشنّ هجمات على القوات الاسرائيلية بدل رخاوة الوضع في ظل وقف اطلاق النار. توقف إطلاق النار في الساعة الرابعة.

بوابات العبور مغلقة تماماً أمام المواد التموينية، الكهرباء والمياه مقطوعتان عنا. لم يطرأ جديد على الوضع السياسي، أما المقترحات الفلسطينية لحل وضع بيروت فلم تلق استجابة من فيليب حبيب والاسرائيليين على ما يبدو.

عرفنا ذلك من 'أبو عمار' الذي زارنا (في الاذاعة الفلسطينية) فجأة. سألناه عما يجري في جبهة المفاوضات فأخبرنا أنَّ المقترحات المقدمة الى 'فيليب حبيب' للحل السلمي تمثّل الحدّ الأقصى لما يمكن قبوله ولكن المهم هو الصمود. بالصمود والمقاومة تتغير المعادلة، كما تحدَّث، من دون أن يدخل في تفاصيل ما يجري على خط التفاوض، عن دور الإذاعة في المعركة وقال بإنها من الأسلحة الثقيلة، وإن دور الكلمة لا يقلُّ أهمية عن دور البندقية. ثم أرسل 'أبو عمار'، الذي بدا عليه بعض الانزعاج، أحد مرافقيه لاحضار 'العقيد أبو موسى'، أحد القادة العسكريين الفتحاويين، وفعلاً وصل 'أبو موسى'. وهذه أول مرة أرى فيها هذا القائد العسكري الفلسطيني، الضابط السابق في الجيش الأردني، لكن اسمه معروف وذائع الصيت بيننا. فقد تصدى مع مقاتليه للجيش السوري الذي اقتحم 'صيدا' في عام 1976 وتمكَّن، بوصفه أحد أبرز القادة العسكريين لـ 'فتح' في الجنوب، من الحاق هزيمة منكرة بمقدمة الجيش السوري الداخل الى صيدا. وقد رأيت بأمِّ عيني الدبابات السورية المعطوبة بالقرب من 'ساحة النجمة'.

لم يجلس 'أبو موسى' بجانب 'أبو عمار' بل اختار الجلوس على أحد كراسي طاولة الطعام الموجودة في الصالون. سأله 'أبو عمار' عن وضع 'القوات المشتركة' في المناطق التي يحاول الاسرائيليون التقدم نحوها أو قضمها، فقال 'أبو موسى' إنهم ينفذون خطة الدفاع عن تلك المناطق وإن 'غرفة العمليات المركزية' تتابع الوضع عن كثب، ولا شيء يدعو إلى القلق على هذا الصعيد.

كان 'أبو موسى' الذي يرتدي زيّاً عسكرياً زيتونياً يتحدث إلى 'الختيار' ولكنه ينقِّل نظره إلى الموجودين كأنه غير واثق من أن هذا المكان مناسب لمناقشة خطط.

بين حين وآخر تسري شائعات عن وصول باخرات سوفياتية إلى بيروت لكسر الحصار. شائعات يائسة يبدّدها عدم تحرك جسم من أيّ نوع في بحرٍ مسيَّج بالبوارج، بحرٍ أصبح مخيفاً، يصعب التحديق إليه. أكثر الساخرين من هذه الشائعات 'ميشيل' (النمري) الذي يرى أنَّ السوفيات تحركهم المصالح لا المبادىء. موقفه من موسكو يشبه موقف الحزب الشيوعي الايطالي الذي حذف ديكتاتورية البروليتاريا من برنامجه. أحياناً أشعر أنَّ 'ميشيل' يحبُّ أن يتخذ مواقف مغايرة للخط العام من أجل المناكفة أو المخالفة، مثل موقفه المناهض لدخول القوات السوفياتية الى أفغانستان الذي يسميه غزواً، وكان بذلك يختلف عن موقفنا في اليسار الفلسطيني.

'قمرٌ بفضَّة كابيةٍ يوشي سماء بيروت.
لكن لا عشاق على الكورنيش.
حراس المدينة يترصَّدون الذئاب على الخطوط الأمامية.
كلُّ الأفكار الكبيرة توضع على المحك.
والقلوب والإرادات أيضاً.

6 تموز

أصرَّ 'غالب' (هلسا) على أن يلبي عزيمة على 'الملوخية' في منطقة محاذية لـ 'برج البراجنة'. هناك موقع عسكري متقدِّم لـ 'الجبهة الديموقراطية' تتواجد فيه 'أمل' صاحبة المطعم الذي نتردّد إليه في 'الفاكهاني' وهي عضوة في 'الجبهة الديموقراطية'. ذهبنا 'غسان' (زقطان) و'ميشيل' (النمري) و'غالب' وأنا في سيارة 'ميشيل' ومررنا بمواقع عديدة للمقاتلين الذين يتحصَّنون وراء سواتر رملية.

كان الوضع هادئاً نسبياً بعد وقف اطلاق النار. ولكنها نصف ساعة فقط أمضيناها مع المقاتلين الذين يتواجدون وراء 'دشمة' ويصوبون رشاشاتهم في اتجاه القوات الاسرائيلية على الجانب الآخر، ثم فجأة راح القصف المدفعي يتوالى خارقاً وقف اطلاق النار، فتفرقنا. تلطينا في جانب بناية مجاورة للموقع العسكري.

لكنَّ القذائف التي تحاول، كما فهمنا، تغطية محاولة قضم اسرائيلية جديدة على الأرض، لم تتوقف وصارت تتطاير حولنا، فطُلب إلينا أن نلوذ بالبناية. قال 'ميشيل' إن علينا المغادرة ما إن يهدأ الوضع وإلى الجحيم بـ 'الملوخية' فأيدناه 'غسان' وأنا بشدَّة، لكنَّ 'غالب' أصرَّ على البقاء. بعد نحو ساعة تراجع القصف فغادرنا تاركين 'غالب' مع المقاتلين، وما إن وصلنا الى 'حي أبو سهل' حتى صرنا نضحك بشكل هستيري. لقد كادت 'ملوخيته' الموعودة أن تقتلنا. عندما التقيت 'غالب' مساء في الإذاعة أخبرني أننا تعجّلنا في الرحيل لأن القصف توقف بعد مغادرتنا وأن 'الملوخية' أُعدَّت فعلاً وكانت لذيذة!

هناك كلام عن ارسال اسطول أمريكي لنقل المقاتلين الى الخارج، ولكن مثل كلّ الكلام الذي يروج في أوقات وقف اطلاق النار، والبلبلة السياسية التي تسود اثره، لا يمكن الوثوق به. إنَّه نوع من الحرب النفسية التي لا تقل خطورة على معنوياتنا من المواجهات المباشرة مع جيش الغزاة. غادرت الإذاعة ليلاً مع 'غالب' إلى بيته القريب وكانت معنا 'سلوى'. أعدَّ 'غالب' الشاي وقال إن لديه بعض الخبز والجبنة إن أردت الأكل فشكرته. لم أكن جائعاً.

'غالب' ليس يائساً من تحرك الجماهير العربية. قال إن ما يجري في بيروت سيمتدُّ الى العواصم العربية وإن المعركة، بعيداً عن تكتيكات القيادة اليمينية، هي نموذج للحرب الشعبية المسلحة التي تقاتل فيها الجماهير دفاعاً عن مصالحها في مواجهة الحلف الصهيوني الامبريالي الرجعي العربي، لكن لم نر، 'سلوى' وأنا، ردود فعل كبيرة في البلاد العربية على ما يجري في بيروت كي تبشر بثورة تخوض غمارها الجماهير الشعبية لأن الأنظمة العربية تكبّل الناس بالأمن وتجعلهم يلهثون وراء الرغيف المر. ليت لي تفاؤل 'غالب' الثوري.

رجعت قبل منتصف الليل إلى شقة 'غسان' في 'الحمرا سنتر'. أخبرته أن 'غالب' لم يخرج خالي الوفاض من الخطوط الأمامية فقد حصل فعلاً على 'الملوخية' التي قال إنها راحت علينا! ضحكنا. قال 'غسان' إن 'غالب' شخص عجيب. سألني عن حقيقة ما يروج حول الاسطول الأمريكي والرحيل فقلت له نقلاً عن 'نبيل' (عمرو) إنَّها شائعات وحرب نفسية لا أساس لها من الصحة.

7 تموز

الهدوء يخيّم على بيروت الغربية بعد قصف مدفعي وصاروخي متبادل استمر متقطّعاً حتى التاسعة والنصف من هذا الليل. اليوم بفضل تدخّل 'المستر ريغان' و'الملك فهد' و'فيليب حبيب' وسائر الفعاليات الوطنية والاسلامية اللبنانية عادت الكهرباء والمياه التي تتحكم فيهما اسرائيل بعد الظهر.

ابتهج المواطنون بذلك. نحن ابتهجنا أيضاً. لقد مرَّت علينا أيام طويلة بلا ماء أو كهرباء. فقدنا عادات كثيرة منها الاستحمام والغسيل وسقي النباتات والوضوء لمن يصلّون، لكنَّ الامدادات الغذائية لا تزال منقطعة. فالاسرائيليون لم يسمحوا بدخولها. قرارهم واضح: تجويع وتعطيش المدينة حتى ترفع الأعلام البيضاء. ولكن لا أحد رفع علماً أبيض، بل قلة هم الذين غادروا بيوتهم في اتجاه 'الشرقية'، وكانوا يعودون إليها بين وقت وآخر. عندما أفقت صباحاً لم أجد قطرة ماء واحدة كي أغسل وجهي وأنظف أسناني.. حتى عبوات مياه 'صحة' التي نحصل عليها بصعوبة من بعض المحال كانت فارغة. وجدت بقايا مياه في بعض العبوات البلاستيكية، جمعتها وشربت. ندمت على أني لم انتهز فرصة وجود المياه لاستحم. لا أعرف متى ستعود ثانية.

هناك حكايات وقصص عن الحصول على الماء. مَنْ تمكَّن من الحصول على كرتونة مياه 'صحة'، مَنْ استعار تنكة ماء من بيت صديق أو جار، مَنْ ذهب الى فندق في 'الحمرا' كي يستحم.. بل هناك من فكَّر بجنون أن يستحم في البحر المسيَّج بالبوارج.

كم يبدو هذا السائل الذي لا نفكر فيه كثيراً في الأحوال العادية ثميناً جداً وعزيزاً هذه الأيام. أكثر المحظوظين، على هذا الصعيد، هم الصحافيون الأجانب الذين يتخذون من فندق 'الكومودور' مقراً لهم. لا يزال ممكناً هناك الاستحمام والغسيل وحلق الذقن باستخدام مياه الحنفية وليس من عبوّات مياه 'صحة'، كما أن الأكل وفير. يبدو أن هناك تحييداً لهذا الفندق، لا بدَّ أن هناك اتفاقاً مع الدول الأوروبية وأمريكا على عدم قصفه من قبل اسرائيل، لذلك يلجأ إليه بعض المسؤولين الفلسطينيين أيضاً، خصوصاً أولئك الذين يمتهنون التصريحات. رأيت هناك 'بسام أبو شريف' يدلي بأحاديث للصحافة العالمية عن مجريات أحداث تبلغه بالشائعة أو يقرأها في الصحف على الأغلب.

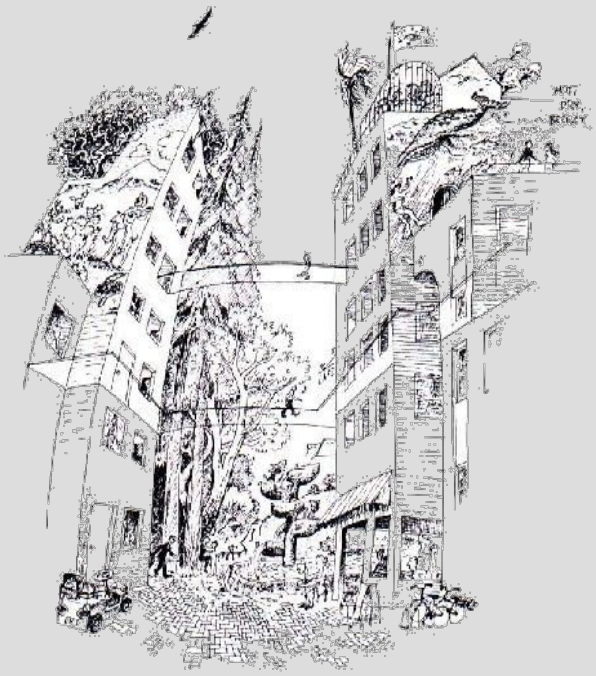

لم أذهب إلى بيتي منذ عشرة أيام، فمقر غرفة التحرير التابعة للإذاعة في 'ساقية الجنزير'، وأنا أنام مرة عند 'طاهر' (العدوان) ومرة عند 'غسان' وأخرى عند 'ميشيل'.. باختصار متنقل. لا مكان ثابتاً لي.

سهرت اليوم مع 'ميشيل' و'طاهر' في بيت الأول. 'ميشيل' استفاض بالحديث عن مجريات الأمور في اليومين الأخيرين والاحتمالات المطروحة على المقاومة، و'طاهر' مقتضب في الكلام. كلامه من نوع ما قلَّ ودلَّ. يدير العمل في الإذاعة بصمت وصلابة. لم أكن أعرفه من قبل ولكن عملي في الإذاعة والحصار قرباني منه كثيراً. قال 'طاهر' إن الوضع السياسي يزداد بلبلة مع اعلان أمريكا أنها على استعداد لارسال قوات 'المارينز' الى لبنان لفضّ الاشتباك بين المقاومة والجيش الاسرائيلي وحماية عملية اجلاء المقاتلين.. لكن الاقتراح رفضته القيادة الفلسطينية. 'ميشيل' يرى أن استخدام المفاوضات كورقة ضغط على اسرائيل من جهة ولتمرير الوقت حتى تظهر معطيات جديدة من جهة أخرى مفيد ولكن الصمود هو الذي سيغير المعادلة لصالحنا، وليست المفاوضات، فقلت له إنَّ هذا ما قاله لنا 'أبو عمار' قبل يومين، ويبدو أنه الخطة المعتمدة: صلابة في الموقف ومرونة في التكتيك.

8 تموز

اليوم الذكرى السنوية الرابعة لزواجي. إنه يوم استشهاد غسان كنفاني، حتى لو نسيت فإن اقتران زواجي بيوم استشهاد 'غسان' كفيل بتذكيري. هناك تقليد سنوي لزيارة قبر 'غسان' في مقبرة الشهداء يقوم بها أعضاء في 'المكتب السياسي' للجبهة الشعبية. لا أدري إن كانت تمَّت الزيارة في ظل هذا الوضع. فالمقبرة تكاد أن تكون على الخط الأمامي. بالصدفة عرفنا، 'هند' وأنا، أننا نعقد قراننا في بعلبك في يوم استشهاد غسان.

كان ذلك التوقيت غريباً، خصوصاً وأنا أعمل في 'الهدف'، مجلة غسان كنفاني الذي لم أره إلا في صوره المعلقة على جدران مجلة 'الهدف' ولكني أشعر بوجوده يتخلل الهواء. أشعر أنه يقف خلفي وأنا أكتب على مكتبي بجسده النحيل وسيجارته التي لا تنطفىء. هذا الرجل المصاب بالسكري، كان شعلة من الابداع والحركة. يكبرني الآن باثني عشر عاماً عندما استشهد. كيف استطاع أن يكتب قصصاً وروايات ودراسات ويرسم ويصمّم ويصدر صحفاً ومجلات ويناضل ويحبُّ في ثمان وثلاثين سنة؟ الصدفة جعلت يوم زواجي يقترن بذكرى استشهاده.

أربع سنين مرَّت على زواجي. حدث ذلك بسرعة. تزوجنا بسرعة وأصدرت ديواني الأول بسرعة، وأنجبنا 'يارا' بسرعة، وصدر ديواني الثاني بسرعة، وجاء الحصار بسرعة. لكنَّ الحصار نفسه لا يتعجَّل الذهاب. الألم لا يمضي سريعاً، الفرحة هي التي لا نكاد أن نتبيَّن أثرها. لم أكن أعرف عندما كنت في عمان أن شيئاً من هذا سيحصل لي. كنت أعرف أن بيروت مكان خطر. أعرف أن فيها حرباً ولكنها لم تكن هذه الحرب ولا على هذه الشاكلة، فمن كان يتصور أن عاصمة عربية ستتعرض للحصار الاسرائيلي طيلة شهر كامل، وتنصبُّ عليها أطنان من البارود والنار والحديد؟ قبل أربع سنين في مثل هذا اليوم تزوجت في بعلبك عند القاضي الرفاعي، القاضي السنيَ !، أنا الذي لم يعرف شيئاً عن هذه الأمور إلا في لبنان.. يا الله كم يبدو ذلك اليوم بعيداً؟!

9 تموز

عشر ساعات بلا توقف من القصف الهستيريّ. كأنَّ من يفعل ذلك يعاني غلاً شخصياً علينا فرداً فرداً، كأنه بلطجي معتدٌّ بزعرنته وعضلاته المفتولة يقول لمن هم أصغر منه: سأكسر رؤوسكم! سوف أمسحكم عن وجه الأرض! وإلا كيف يمكن تفسير هذا 'الافراط' في القوة. في الضرب على الأطراف والرأس والبطن. الضرب خارج كل القواعد المتعارف عليها. لكن مع اسرائيل ليست هناك قواعد. ليست هناك خطوط حمر. أخبرنا 'نبيل' أن 'شارون' يعاني من عقدة شخصية مع العرب، الفلسطينيين تحديداً. فقد اغتصبه راع فلسطيني عندما كان مراهقاً. كان، حسب تعبير 'نبيل' الساخر، ولداً أبيض، ممتلىء الجسم، رآه ذلك الراعي الفلسطيني خارجاً من المستوطنة فاستدرجه واغتصبه! سألنا 'نبيل' إن كانت هذه حكاية حقيقية أم من اختراعه. ضحك وقال إنه سمعها فعلاً ولا يستبعد أن يكون ما يفعله الآن بنا منطلقاً من تلك العقدة!

هرعت بعد اشتداد القصف الى الطابق السفلي حيث وجدت عائلات بأكملها تتواجد هناك. أناس يتكوّمون في مساحة ضيقة. رجال ونساء وأطفال وروائح خوف. لم أستطع البقاء. عدت وصعدت الى الطابق الرابع عشر من البناية . من هناك رأيت جحيماً من القذائف الفسفورية. حفلة جنون كاملة. لهب وأضواء يطفوان على وجه بيروت. يمتدان في كل اتجاه.

من المستحيل القيام بأعمال الانقاذ في ظل تواصل أنفاس التنين. لم نعرف حتى الآن حجم الخسائر البشرية ولكنه، على الأغلب، كبير. كأنَّ ذلك لا يكفي. هناك الشائعات التي تسري عن اتفاقات ونفي لهذه الاتفاقات. الاذاعات الأجنبية تسهب في الحديث عن موقف ليّن لقيادة المقاومة في موضوع الخروج. 'نبيل' يقول إن قيادة المقاومة تماطل لكسب الوقت ولكسر حدة الهجوم الاسرائيلي وابطال مفعوله على الأرض. سورية أعلنت اليوم أنها لن تستطيع استقبال قيادة المقاومة. هناك من يقول إن الموقف السوري هذا هدفه دفع الامريكيين للتفاوض مع دمشق في هذا الخصوص.. نشعر بحقد كبير على النظام السوري وفي حال الخروج من بيروت هناك من يفضّل الذهاب الى مصر 'كامب ديفيد' بدلاً من سورية! لا نعرف ماذا نكتب في مثل هذا الوضع. فنحن نكتب للإذاعة عن الصمود والتصدي ودحر الاحتلال وفكّ الحصار. نكتب عن كيف تتحول الأرض جحيماً تحت أقدام المحتلين، نستعين بالتراث والحداثة، نستعيد 'أبو ذر' و'علي بن أبي طالب'، ونتكلم عن حصار 'طروادة' و'لينينغراد'. هناك من يكتب عن 'بيروتغراد'. ولكن الحقيقة إننا مللنا من كتابة وجدانيات الصمود. البطولة. لا شيء أدعى إلى الضجر من أن تتكرر الكلمات نفسها والتعابير ذاتها. ولكن ما يغزي أن هناك خسائر فعلية تكبدها الجيش

الاسرائيلي. هناك أخبار عن حركة احتجاج واسعة داخل اسرائيل نفسها على هذه الحرب.

11 تموز

الجحيم انفتح على مصراعيه اليوم. قصف مجنون وعشوائي طال كل أنحاء المدينة. الدمار في كل مكان. لا حركة في الشوارع إلا لبعض المقاتلين. الدويّ لا يتوقف. خرج الناس الى الشوارع ليلاً من بين غبار القذائف والردم. بيروت تبدو ماضية في تحديها لهذا القدر المرير. هذه المدينة لن تستسلم كما يُدبَّر لها. أيُّ أناس هؤلاء الذين يطلقون النكات بعد لحظة من توقف القصف؟ عدت مساء من العمل برفقة 'طاهر' الى شقته في 'الحمراء سنتر'. انتهزت فرصة عودة المياه فغسلت ثيابي التي اتسخت وتراكمت في الأسابيع الماضية وأخذت حماماً بدا لي ترفاً لا يمكن الحفاظ عليه بسهولة. آخر مرة ذهبت فيها الى بيتنا كانت منذ عشرة أيام. 'الطريق الجديدة' صارت في الخطوط الأولى..

هجرها معظم سكانها.. كان البيت، المواجه تماماً للمنطقة الشرقية، في حالة مزرية. الزجاج مهشَّم، الغبار في كل مكان. ألقيت نظرة على النباتات والأزهار التي كانت خضراء وريانة قبل الحصار. إنها الآن ميتة تماماً. من يرى البيت سيظن أن عاصفة هوجاء ضربته فقلبت أحواله رأساً على عقب.

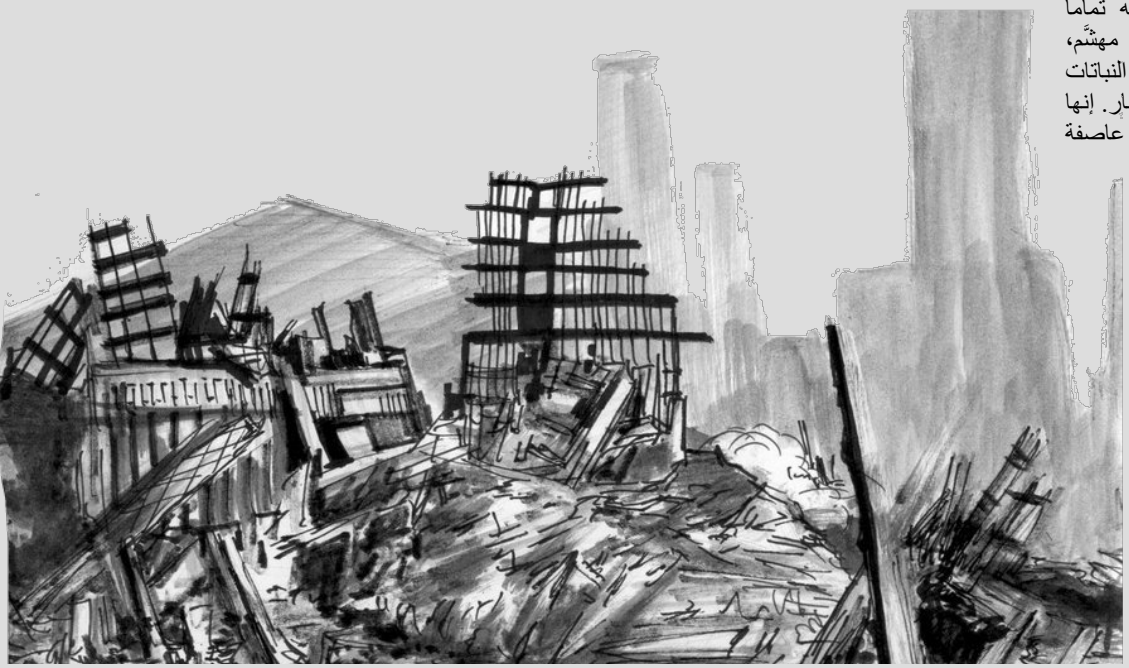

اليوم نشرت 'المعركة' قصيدتي 'جزائري من القلعة'. إنها عن مقاتل جزائري كان من بين آخر المنسحبين من المعركة الضارية التي جرت بين قوات المقاومة والجيش الاسرائيلي في قلعة 'أرنون' في الجنوب اللبناني. المقاتل يدعى 'عبد القادر' حضرت له قبل أيام، بالمصادفة، مؤتمراً صحافياً مصغراً عُقد في صحيفة 'العودة' التي يصدرها إعلام 'الجبهة الديموقراطية'.

كنت في زيارة لـ 'غسان' عندما انعقد المؤتمر الصحافي الذي تحدث فيه المقاتل عن معركة 'أرنون' التي نجا منها قلة من المقاتلين كما قال، ولكن التي تكبّدت فيها اسرائيل خسائر في أفضل وحداتها العسكرية. شدتني حركة يديه وهو يشرح.

الساعة الآن الحادية عشرة والنصف تقريباً. 'طاهر' يغطُّ في النوم، أحسده على ذلك، بينما أكتب هذه السطور. سأنام بعد قليل. من يدري ماذا سيحصل؟

12 تموز

لحسن حظي أني لا أتعرَّق كثيراً، بل تقريباً لا أتعرَّق. قد يكون ذلك بسبب نحولي وجلدي البدويّ الجاف. الماء والكهرباء لعبة حقيرة تديرها اسرائيل من 'المنطقة الشرقية'، عقاب في أبسط احتياجات الانسان. بيروت الغربية ليست مقاتلين فقط يمكن أن يُفهم هذا الإجراء العقابيّ ضدهم بل معظم سكانها مدنيون. عادت المياه مرة أخرى. أخذت حماماً سريعاً. أعددت شاياً لي ولـ 'طاهر'. إنَّه يتابع ما يُبثُّ في الإذاعة حتى وهو في البيت. تركته يستمع للراديو وذهبت إلى الغرفة التي أنام فيها عنده. أخرجت البومات الصور ورحت أقلّب أيام حياتي السابقة. بدت الصور الجامدة كشريط حيّ متحرك. مشاعر قويّة انتابتني وأنا أرى صور 'يارا' الأولى التي التقط بعضها 'باولا' وبعضها 'أحمد' شقيق 'هند'. تذكرت صرختها في مستشفى 'الترك' حيث ولدت وكان معي 'عماد' (الرحايمة) و'مريم' ينتظران مثلي بترقّب خلف باب غرفة الولادة. سمعت صوت الحياة القادم من وراء بابٍ موصدٍ أقف خلفه في قلق. خرجت الممرضة من غرفة الولادة ولم ترد أن تخبرني عن جنس المولود، فقد ظنت أني لن أكون سعيداً لو أخبرتني أن 'هند' وضعت بنتاً. لا 'حلوان' لمن يزفُّ هكذا خبر!

كانت 'هند' قد أحسّت بقرب الولادة عصر ذلك اليوم بعدما أعدّت لنا 'التبولة' وكنت أشوي لحماً في شرفة البيت الصغيرة لضيفيَّ 'حيدر' (حيدر) و'سعدي' (يوسف). قالت لنا إنها ستنزل الى الدكانة المجاورة وتعود. هبطت أدراج طوابق البناية كلها، فالمصعد كان معطلاً، وعادت حاملة معها أغراضاً للولادة. ثم قالت لي إنها تشعر بقرب الولادة. تركت 'حيدر' و'سعدي' في البيت واستقللنا سيارة الى مستشفى 'الترك' حيث كانت تتردَّد أثناء الحمل.

ولدت 'يارا' في ليل العشرين من 'نيسان'. في ليلٍ ربيعيّ بديع انضمَّ إلى العالم كائن صغير، جميل، وكان اسمها حاضراً قبل ولادتها، فقد اخترنا بضعة أسماء مواليد للذكور والإناث. كان اسم 'يارا' على رأس اللائحة. اخترناه من قصيدة لـ 'سعيد عقل' غنَّتها 'فيروز'. لكنَّ 'يارا' لم تكن شقراء الشعر كما تقول الأغنية بل ذات شعر أسود كثيف. لا صور لي من أيام الأردن. كلُّ الصور في بيروت وبعد زواجي. ولا صورة واحدة لي قبل الزواج. غريب. كأنَّ الصور شأن عائلي. فمن يلتقط صورة لنفسه؟ كما أني لم أكن أهتم بهذا الأمر. مع مجيء 'يارا' أخذت الصور تتكاثر وتملأ عدداً من الألبومات الصينية التي أحضرتها معي من عدن عندما كنت طالباً في 'معهد الاشتراكية العلمية'.

أرى صور الماضي ولا أعرف ماذا سيحصل اليوم أو غداً ناهيك عن المستقبل، فهذه أول مرة أواجه فيها مسألة المصير، الحياة والموت.

أنا عموماً نحيل، لكني الآن أنحل مما أبدو في صور الأشهر الماضية، أو العام الماضي. ربما لا يتجاوز وزني الآن خمسة وخمسين كيلوغراماً. لاحظت أني صرت أشدّ حزام البنطلون أكثر على وسطي كي لا يسحل. القصف والحصار وعدم الرغبة في الأكل والحرارة والتدخين الشديد عوامل لعبت دورها.

20 تموز

وقف إطلاق النار لا يعني الهدوء أو التقاط أنفاس قبل أن يعود القتال من جديد، فقد تحلُّ محل القصف غارات وهمية للطيران الاسرائيلي. أحياناً، تكون الغارات الوهمية أسوأ من الغارات الحقيقية لأننا لا نعرف أولاً إن كانت الطائرات سترمي حمولتها أم لا، وثانياً لأنها تمارس ضغطاً نفسياً شديداً علينا وتذكرنا أنَّ السماء يمكن أن تمطر حمماً في أيّ لحظة. أكره الطائرات. لا شيء أكرهه الآن أكثر من هذا الهدير الذي ينفذ الى الأعماق. إنها غطرسة حقيرةٌ معتدَّة بقوتها التي لا رادع لها. تنشط المضادات الأرضية. توجّه سبطاناتها الملتهبة الى تلك القلاع الطائرة، تُطلق صواريخ 'سام' التي تحمل على

الكتف ولكنَّ طائرات شارون تضللها بالبالونات الحرارية التي تتطاير من مؤخراتها. ورغم أن طائرة اسرائيلية واحدة لم تُسقط، حتى الآن، في سماء بيروت إلا ان المضادات الأرضية لا تكفُّ عن مراودة معجزةٍ كهذه. هذه هي البطولة. بطولة الضعيف في مواجهة القوي الذي يعرف أنه، بلا أدنى شك، قويٌّ وقابض على السماء.. ولكن بالحديد المصفَّح والنار.

عشرات الغارات الوهمية نفذها الطيران الاسرائيلي اليوم، ربما مئات. سماء بيروت محتلة بالطائرات التي تروح وتجيء وتنقضُّ في هيئة الرماية ثم ترتفع. هناك معلومات عن احتمال قيام اسرائيل بعمليات نوعية داخل بيروت. ارسال قوات كوماندوز مثلاً إلى مواقع مختارة في مناطقنا. اصطياد قيادات. علمت هذا بعدما طلب 'غسان' مني أن أحضر معه اجتماعاً مسائياً لصحيفة 'العودة' في 'بربور'. لم يتم الاجتماع بسبب عدم التحاق هيئة التحرير، وبدلاً من ذلك قال 'جميل هلال' (مسؤول الاعلام في الجبهة الديمرقراطية) إنهم تلقوا معلومات عن محاولات تسلل اسرائيلية الى قلب بيروت. قام 'علي خلف' بتنظيم نوبات حراسة حول مقرّ 'العودة'. لم تكن معي بندقيتي فأعطاني الرفاق في 'الجبهة' واحدة وحرست لمدة ساعتين أمام البناية التي يقع فيها مقر الجريدة وكذلك 'غسان'، أما 'علي خلف' الذي وزَّع جدول الحراسة فذهب لينام. ضحكنا 'غسان' وأنا من حيلة 'علي' المكشوفة وتصدّره للقيادة فيما هو حريص على راحته.

أخبرني 'غسان'، ونحن نستعد للحراسة، حكاية طريفة عن غيظ رفيقنا 'علي' المكتوم منه ومن 'غالب'. فقد أخذهما 'غالب' الى منطقة 'الأوزاعي' لزيارة 'ماهر حمدي'، قائد إحدى كتائب 'الجبهة الديموقراطية' هناك. موقع 'ماهر' في بيت ذي حديقة فيها أحواض نعناع وقد أصرَّ 'غالب' على زيارته لشرب شاي حقيقي بالنعناع، وألحَّ على 'علي' للذهاب معهما. فهو لم يكن يرغب ولكنه خشي، حسب تقدير 'غسان'، أن يبدو خائفاً. أقلتهم سيارة عسكرية تابعة لـ 'الجبهة' الى الموقع المتقدّم لكن السائق تجاوز الموقع الذي لم يكن يعرف مكانه بالضبط، فرأوا مقاتلاً يركض على الرمل بموازاتهم ويشير بيديه. اعتقدوا أنه يحييهم، غير أن المقاتل واصل الركض والصراخ، وعندما توقف السائق بالقرب منه اكتشف أنهم دخلوا في حقل ألغام زرعته 'المقاومة' لمنع تقدّم الاسرائيليين، فترجلوا من السيارة وتمكنوا، بأعجوبة، من العودة إلى الوراء على أقدامهم، حسب ارشادات المقاتل، تاركين السيارة في حقل الالغام. المهم أنَّ 'غالب' لم يتبدل شيء في ملامحه، بل بدا، للحظة، سعيداً بما حدث ما أثار غيظي، يقول 'غسان'، وحنق 'علي' الذي راح يُهَمْهِم. عندما صاروا في مأمن قال 'غالب': أمال الشاي فين؟

27 تموز

يبدو أنَّ الاسرائيليين الذين تركت لهم الأجواء طليقة يخرّجون دورات طيران في سماء بيروت، ولكن ليس مجرد استعراض للطائرات وأنواعها فقط بل تقوم هذه الطائرات المتنمّرة برمي كل ما تحمله في جوفها على بيروت الغربية. الطائرات تذهب وتجيء وتقذف كل حمولتها. فمنذ ليل أمس والطائرات تغطي السماء والهدير لم ينقطع. لا تختفي الطائرات إلا كي تظهر ثانية. أي هوس بالطائرات هذا؟ الطائرات تقصف. البوارج تقصف. المدفعية تقصف. بأي لغة يمكن أن أصف ما يحصل؟ هل تكفي كلمة هدير أو قصف لوصف ارتجاج الأرض وتناثر شقف البنايات وتحطم الزجاج وانشلاع القلب والأحشاء وتفجّر الشرايين وصعود الأرواح؟ كيف يمكن للغة أن تكتب الموت لا كلمة الموت، أعني الموت نفسه، بل الرعب الذي يسبق الموت؟ لغتي قاصرة. لغتي كلمات. والكلمات ليست حياة وليست واقعاً وليست حقيقة.

في حدود الساعة الواحدة ظهراً غارت الطائرات على بناية في منطقة 'الروشة'. الصواريخ مرَّت فوق البناية التي يقع فيها مكتب تحرير الإذاعة. اهتزّت الجدران والشبابيك. لم نكن نعرف على أي بناية وقعت الغارة. خرجت بعدما غادرت الطائرات مع 'سلوى' وسائق 'صخر' (أبو نزار)، الذي كان يزور الإذاعة، الى مكان الغارة. كان بناية قريبة منا. المنظر لا يوصف. البناية التي لا أعرف عدد طوابقها منفرشة على الأرض. محطَّمة تماماً. هناك بناية مجاورة لها تحترق. الدخان والغبار يلفّان المنطقة. كانت عربات الاسعاف قد سبقتنا. هناك صحافيون ومصورون يحومون حول البناية المفروشة على الأرض. هناك جثث مطمورة تحت الردم الذي تصعب إزالته. هناك أشلاء. حديد واسمنت وأغراض عائلية ولحم بشري. حملت سيارات الاسعاف ما استطاعت أن تنقله من الجرحى الأحياء وهناك من قام بلملمة الأشلاء. البناية كبيرة. سألنا عن الخسائر البشرية فلم نعرف. لاحقاً عرفنا أن هناك نحو 84 قتيلاً و150 جريحاً. لماذا هذه البناية بالذات؟ قيل إن نائب أمين عام جبهة التحرير الفلسطينية 'أبو العباس' يقطن فيها. لكن 'أبو العباس' لم يكن موجوداً عندما وقعت الغارة. أنا لا أصدِّق ذلك. ربما كان هناك اجتماع للقيادة الفلسطينية سيعقد فيها وليس لأن 'أبو العباس' يسكن في البناية المنكوبة.

ذهبت لرؤية 'زكريا' (محمد) في بيت 'فيصل' الذي يقيم فيه مؤقتاً. كان القصف لا يزال مستمراً وقد اشتدَّ بعد الساعة الرابعة. جنَّ جنون الاسرائيليين في الساعة الخامسة. لا ندري ما الذي حدث. توقعت أن يكونوا قد اصيبوا اصابات مباشرة وهم يقومون بعملية انتقام واسعة. بعد قليل أفادت الأنباء عن مقتل رائدين اسرائيليين وبضعة جنود. هذا هو السبب إذن.

انضمَّ إلينا 'علي خلف' عند 'زكريا'. تحدثنا عما يجري عموماً وعن نوبة الجنون الاسرائيلية اليوم، غمز 'علي' من قناة المثقفين الذين فرّوا من بيروت، ولكنَّ ذلك لم يعجب 'زكريا' الذي قال إن علينا أن نكون أكثر تفهماً لقدرات البشر على تحمّل ما يجري. اتفقت مع ما قاله 'زكريا' وابتسمت في سريّ عندما تذكرت حادثة الشاي بالنعناع التي رواها لي 'غسان'. عدت ليلاً إلى الإذاعة تحت هدير القصف ووجدت معظم الزملاء هناك. كان 'رشاد' (أبو شاور) يروي لهم حكاية بطريقته المدهشة في الكلام لم أعرف عمَّ كانت ولكني سمعت ضحكاً عارماً كأنَّ شيئاً لم يكن يحدث في الخارج. هذا هو جو الإذاعة الرائع، وبطله المتوَّج، من دون شك، 'رشاد'.

30' تموز

تمَّ نسف الاتفاق اللبناني الفلسطيني الذي حصل في السعودية بكمية هائلة من غارات الطيران التي لم تستثن حياً في بيروت الغربية إلا ودكَّته دكّاً. واضح أن هذا هو الرد الاسرائيلي العملي على الاتفاق الذي يقضي بتنظيم الوجود الفلسطيني مع الدولة اللبنانية. إنهم لا يريدون أي شكل من الوجود الفلسطيني الفاعل في لبنان، ولم يأتوا بجيشهم من أجل اعادة صياغة 'اتفاق القاهرة'. إنهم يريدون مسح الوجود الفلسطيني. جعل الشعب الفلسطيني بلا شوكة ولا قوة ولا قيادة قادرة على النهوض بالبرنامج الوطني. أي تهجير المهجرين مرة أخرى وجعل الشتات هو المكان الطبيعي لهم. هل هذا في صلب العقلية الاسرائيلية التي قامت على اسطورة الشتات؟ هذه الكلمة التي احتكروها لهم وجعلوا منها أسطورة أقاموا وفقها كيانهم الاغتصابي على حساب شعب آخر. ما جرى بدءاً من بعد ظهر اليوم يرقى الى مستوى الإجرام التام والاستقواء بالحديد والنار اللذين يملكون منهما الكثير. كتبت اليوم مقالي للإذاعة عن هذا الموضوع. عن موضوع الشتات وكيف صار اسطورة لشعب قام على أساس الدين. ما دخل الدين بالقومية والعرق؟

فوجئت اليوم بمقال لمحمود درويش عن الشعر. الغريب أن هذا هو فهمي للشعر، بل هذا ما حصل معي حيث لا أستطيع الكتابة تحت الضغط ولا في صلب الحدث الجاري. أحتاج الى فسحة كي أكتب. إلى مسافة فاصلة. وجه الغرابة في الموضوع أن درويش شاعر مقاومة بل هو شاعر الثورة الفلسطينية وقد سجَّل في شعره مراحل من النضال الفلسطيني وتفاعل مع أحداثه الكبرى في استجابة سريعة، ولكنَّه غير قادر على كتابة الشعر في ظل الحصار. هذا ما يقوله بطريقة غير مباشرة وكأنَّه يردُّ على منتقديه حول غيابه عن الأحداث ويصف هؤلاء بأنهم 'قناصة'! أي يقتنصون غياب الشاعر عن مواكبة الحدث ويشهّرون به. هناك شيء من ذلك. كان هذا، أيضاً، رأي 'غسان' الذي قال إنَّ نبرة المقال غاضبة وتعكس ضيق 'درويش' بالذين يطالبونه بحضور أكبر على الصعيدين الشعري والإعلامي.

الناس المغمورون هم أبطال الحروب، وهذه الحرب يشارك فيها الجميع. من يقاتل، من يكتب، من يفتح فرناً، من يوزّع جريدة، من يبيع خضاراً، بل من بقي في بيته ولم يغادر. هذه الحرب التي لا توازن فيها فرضت علينا جميعاً ولن نفرَّ من المواجهة. إنها قضية كرامة وطنية وشخصية، ووقفة عزٍّ، على رأي انطوان سعادة، قبل أيّ شيء آخر.

'إن كان الموت دائماً
فهو يأتي ثانياً.
الحرّية، أبداً، هي الأولى' ❑❑

أورشليم منطلق رب الجنود الصهيوني للهيمنة على العالم

طلعت خيري
مصر

❑ قد يستغرب البعض هذه الكلمات وخاصة المسحورين بالنظام الديمقراطي الذي تدعي (إسرائيل) تمثيله في منطقتنا. لكن سرعان ما يزول هذا الاستغراب عندما نعلم أن من يطلق هذا الحكم هو كاتب يهودي النزعة والانتماء، اشتغل لفترة طويلة في الدراسات التحليلية لقصص وكتب وأدبيات الأطفال في (إسرائيل).

إذا كان هدف التربية كما حدده علماء التربية، هو تحقيق التوافق والانسجام بين الفرد وبيئته المادية والروحية والمحافظة على الخبرة الإنسانية وتحقيق المطالب التي يتوقف عليها استمرار حياة الفرد وأمنه النفسي (2)، فإن أسس التربية الصهيونية قد اعتمدت منذ البداية منهجاً متطرفاً يقوم على (التفريد والتمييز) ومن ثم فإن مرتكزاتها تقوم أساسا على فكرة (شعب الله المختار) وما يحيط بهذه المقولة من أوهام وتأويلات وطلاسم تحاول أن تؤسس على تعاليم التوراة بأسفاره المتعددة والمحرفة بأدلة قطعية تاريخية.

والفرد اليهودي، داخل فلسطين المحتلة وخارجها، هو الأداة الرئيسية التي ينفذ المشروع الصهيوني بواسطته أهدافه، ففي داخل فلسطين تعمل الحركة الصهيونية على تحويل اليهودي القادم إلى (إسرائيلي) جديد، وتعمق في نفسه شعور الانتماء إلى الكيان الصهيوني. ويتم ذلك بتضافر جهود مؤسسات تربوية عديدة تعمل لتحقيق هذا الغرض.

ويشعر الصهاينة أن مستقبل الكيان يتوقف على مدى نجاح هذه المؤسسات التربوية في تنشئته أجيال (إسرائيلية) مستعدة وقادرة على حمل الرسالة الصهيونية. ولا يقل ذلك أهمية في نظر القادة الصهاينة، عن توفر السلاح العسكري. حيث يقول جاكوب كلاتزمان: (تؤلف دبابات سنتوريون عاملاً من عوامل الأمن والسلامة على المدى القريب، ولكن المدرسة والجامعة هي العوامل الأكثر أهمية بالنسبة للمستقبل البعيد.. وإذا ما ابتلي المستوى الثقافي في إسرائيل بالركود والجمود، بينما يأخذ مستوى الأعداء بالصعود فإن أيام استقلال اسرائيل معدودة. إن التربية هي أيضاً من مستلزمات الدفاع الوطني.

أما خارج فلسطين، حيث تعتبر الحركة الصهيونية كل يهودي مواطناً اسرائيلياً محتملاً في المستقبل، فتعمل على إقناعه بالهجرة إلى فلسطين، أو بتقديم الدعم المادي والأدبي لـ(اسرائيل)، على الأقل. ويتطلب ذلك بذل جهود كبيرة بين اليهود خارج فلسطين، الذين يسمون (يهود الدياسبورا)، والتي تعني المنفى أو الشتات أو المهاجر. والمؤسسة التربوية هنا كذلك هي الأداة الأكثر أهمية لتحقيق هذا الهدف الصهيوني، وهو ربط اليهود بإسرائيل تمهيداً لهجرتهم إليها. لذلك أكد زعماء الصهيونية على التربية كسلاح رئيسي لعملهم بين يهود (الدياسبورا).

وفي هذا المجال يقول رئيس وزراء الكيان الأسبق (ليفي اشكول): (إننا لا نكافح في الوقت الحاضر من أجل حقوق يهودية ليهود المنفى، ولكن من أجل تأصيل اليهودية بينهم، أي تأكيد الشخصية اليهودية وقوة عبقريتها، إننا لا نسعى إلى إقامة مدارس لأطفال اليهود، وإنما لتربية يهودية).

لذلك اهتمت الحركة الصهيونية – منذ نشأتها – بالتربية، وما من مؤتمر عقدته تلك الحركة إلا وكانت التربية بنداً رئيسياً على جدول أعماله. ومنذ أواخر القرن التاسع عشر، أنشأت مجلساً للتعليم في فلسطين، كما أنشأت المدارس، وفي الثلاثينيات من القرن العشرين أنشئت الدائرة التربوية لهجرة الشباب اليهود، كجهاز من الأجهزة التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية.

مصادر التربية الصهيونية

يتفق الباحثون على أن كتب العقيدة اليهودية، وفي مقدمتها العهد القديم (التوراة، الأنبياء، والمكتوبات)، إضافة إلى كتب الشراح والمفسرين من الحاخامات كالتلمود والمدراش والهلاخا والهفرا، بما تتضمنه من أصول للمعتقد اليهودي، والأحكام والنصوص التاريخية والأخلاقية، وقوانين اليهود السياسية والمدنية والدينية، كلها تمثل المصدر الأول من مصادر التربية الصهيونية والمرتكز الأساسي للعملية التربوية، يضاف إلى ذلك قرارات زعماء اليهود في الثلاثة وعشرين مؤتمراً منذ 1897 وحتى 1951، وآخرها المؤتمر الذي انعقد في القدس لأول مرة سنة 1951، ليبحث في الظاهر مسألة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، بينما كان الهدف، وفي كل هذه المؤتمرات جميعاً، دراسة الخطط التي تؤدي إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية، والاستيلاء على العالم بشتى الوسائل، وهذه الكتب والمراجع والقرارات شكلت دائماً الإطار العام الثابت لليهودية كمعتقد.

وهناك باحثون آخرون يرون أن المصدر الثاني للتربية الصهيونية، من حيث الأهمية، هو مؤلفات مؤسسي الصهيونية الأوائل، ومن هذه المؤلفات على سبيل المثال: كتاب روما والقدس لموسى هس (1812-1875)، وكتاب التحرر الذاتي لبنسكر رئيس جمعية محبي صهيون (1821-1891)،وكتاب الدولة اليهودية لهرتزل (1860-1904)، يضاف إلى ذلك كتابات ثلاثة مفكرين آخرين كانوا علامات بارزة في التاريخ الصهيوني وهم آحاد هاعام (1856-1927) وهو صاحب فلسفة الصهيونية الثقافية، وآرون دافيد جوردون (1856-1922) وهو صاحب فلسفة دين العمل، وفلاديمير جابوتنسكي صاحب فلسفة القوة (1880-1940).

كان لابد للكتاب التعليمي أن يضع بين يدي الطالب اليهودي الحلول الشاملة للمسائل التي تطرحها أمامه الصهيونية، وفي مقدمتها الاحتلال والاستيطان والهجرة وترحيل (الجوييم) من الفلسطينيين، وإخوانهم من عرب الجوار، ممن تستطيع إسرائيل احتلال أراضيهم أو جزءاً منها، ضمن حملاتها العسكرية التوسعية التي تشنها عليهم بين حين

وآخر. ومن يطلع على نماذج الكتب المدرسية يستطيع أن يدرك هذا الاتجاه العدواني لدى الناشئة اليهود، فكل أرض تطؤها قدم الجندي اليهودي هي أرض يهودية، خيرات الأرض والعالم أجمع منحة لهم وحدهم من الرب، وكل ما في أيدي غيرهم من (الجوييم) أو الأمميين هو ملك لليهود، فما تحت أيديهم أي (الجوييم) مغتصب من اليهود وعليهم استرداده منهم بكل الوسائل، ولا حياة لشعوب الأرض بدون اليهود.

إن هذه التربية لا تقتصر على الطلبة في مراحل التعليم الثانوية والجامعية، ولكنها تبدأ في مرحلة الروضة عبر قصص الأطفال المطبوعة أو التي تحكى شفوياً في الكيبوتسات والمستوطنات، وفي القرى الزراعية والمدن التي يقيم فيها الأطفال.

ولو تساءلنا متى بدأت عملية تطوير هذه الاتجاهات التربوية الصهيونية، لوجدنا أنها بدأت مع الشروع بإنشاء المستعمرات والمستوطنات اليهودية على أرض فلسطين عام 1870م، إلى جانب المشاريع الاستيطانية العديدة مثل برنامج العودة إلى صهيون، ومحبة صهيون، ومع بدء إقامة الأحياء اليهودية على أرض القدس في النصف الأول من القرن التاسع عشر، بمبادرة (موسى مونتفيوري) الضابط في الجيش البريطاني الذي كان مقرباً من الملكة فكتوريا، وقد تزامن ذلك مع بدء ظهور الكتابات الصهيونية المؤسسة لكل من موشيه هس (روما والقدس) وليوبنسكر (التحرر الذاتي) ومؤلفات اليعازر بن يهودا في إحياء اللغة العبرية وبعثها، وتنظيرات زعيم الصهيونية ومؤسسها هرتزل، ودعوات غوردون لاحتلال العمل العربي على أرض فلسطين، وإحلال العمل العبري بدلاً منه.

من هذا الكم الهائل والمتراكم من المفاهيم والمخططات الصهيونية بنى الكيان الصهيوني سياسته التربوية، وكان للانتداب البريطاني دور بارز في ذلك، منذ اللحظة التي تدخلت فيها بريطانيا بشكل مباشر في فلسطين إثر صدور وعد بلفور عام 1917، واعلان الانتداب عام 1921.

في عام 1953 قام الكيان الصهيوني بسن قانون التعليم للدولة حيث تنص المادة الثانية منه على (أن التعليم في دولة إسرائيل يجب أن يرتكز على قيم الثقافة اليهودية والولاء لدولة إسرائيل والشعب اليهودي وتحقيق مبادئ الريادة في العمل الطلائعي الصهيوني).

يقول (آحاد هاعام) وهو أول من دعا إلى إنشاء جامعة عبرية في فلسطين (من الضروري تجديد العمل العبري لتقوية الانتماء لهذه الأمة)، ثم يوضح الأسلوب التربوي المدروس سيكولوجياً واجتماعياً القادر على احتواء السلبيات التي قد تبرز أثناء التطبيق العملي، بصهر اليهود في بوتقة المسيرة التوراتية الواضحة الهدف والأسلوب، فبادئ ذي بدء (تقام حركة يناط بها إنشاء المستوطنات بناء على خطة ثابتة، ثم تبنى مدارس صهيونية وأماكن علمية لتربية جيل يهودي سليم، فيتخرج الشباب وقد تربوا على حياة جديدة تمكنهم من دخول المعارك ضد العدمية وغير اليهود).

من الواضح أن الهدف الصهيوني في بوتقة الصهر هو مزج الجاليات ومن ثم خلق إطار واحد متكافئ وموحد لجميع أبناء (إسرائيل) مصمماً لبناء مجتمع موحد في الدولة الناشئة، وفي النتيجة، فإن مصطلح (صهر) كان يعني أن على غالبية الأولاد في شبكة التعليم، ممن وصلوا حديثاً إلى الكيان الصهيوني، أن تتخلى عن تراثها الثقافي، العائلي، والطائفي، الذي تربت عليه عائلاتها، وأن تندمج في واقع سياسي واجتماعي من طبيعة غربية.

إذا كانت (التوراة) هي المصدر الأساسي للتربية الصهيونية فإلى أي قيم توجه هذه الأسفار المزعومة الاطفال والناشئة من اليهود؟

(حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك، فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويُستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأياً من هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما) .

لقد كان هذا القانون سياسة عامة ونهجاً لا يمكـن التهـــاون في تطبيقـه، وكـأن هؤلاء التوراتيين يقرأون النصوص حرفياً ويحفظونها عن ظهر قلب ويطبقونها بحرفيتها ويتباهون إذا ما زادوا عليها.

يقول الدكتور إبراهيم أبو جابر رئيس مركز الدراسات المعاصرة في مدينة أم الفحم في فلسطين المحتلة عام 1948 إن الديانة اليهودية تعتبر مصدراً مهماً من مصادر الفلسفة التربوية عند اليهود. إذ اعتمدت التربية اعتماداً كبيراً على الدين في سبيل تشكيل أجيال متشبعة بتعاليم التوراة والتلمود، ومن أجل ترسيخ مفاهيم معينة في نفوس الناشئة اليهود، ويضيف: تهدف التربية الدينية إلى تربية الطفل جسدياً واجتماعياً وانفعالياً وعقلياً عن طريق قصص التوراة وأسفارها. وفي هذا يقول أول رئيس لدولة (إسرائيل): (عندما بلغت مالاغنى عنه لأي طفل يهودي، وخلال السنوات التي قضيتها في مدارس الدين تلك، كان علي أن أدرس أشياء من أصول الديانة اليهودية، والذي فرض علي هو سفر الأنبياء).

وما يمكن ملاحظته وفقاً لأبي جابر هو الاهتمام الكبير بتدريس المواد الدينية في جميع مراحل التعليم لأبناء اليهود أينما وجدوا، حيث تأتي مادتا التوراة والتلمود في مقدمة الدراسات، وتعتبر المادتان أساساً وإطاراً للغايات التربوية، حيث يقول (مائير بارايلان) أحد مفكري التربية اليهودية: (إن روح التلمود ومعرفة عامة شرائعه وآدابه يجب أن تكون جزءاً من دراسة كل يهودي متعلم، حتى وإن لم يكن سيجعل من حقل الدراسة هذا مجالاً للعمل، والأمر شبيه بتعليم الفيزياء والرياضيات فمع أنه ليس كل تلميذ يتخصص فيهما، ولا يستخدم جميع ما يتعلمه فيهما في حياته العملية، إلا أنهما ضروريتان له، كذلك بالنسبة للتلمود، يجب أن يحفظ كل تلميذ مقاطع معينة منه وأن يتشرب روحها).

العنصرية في المناهج التربوية

تنبع النوازع العنصرية الصهيونية الحالية من مجموعة من المكونات النفسية والدينية والمادية التي توارثها الفكر الصهيوني على امتداد عصوره لتكون ما يعرف بمفهوم الصراع مع الأغيار، وهو ما تحول داخل وجدان كل (إسرائيلي) إلى ما يشبه العقيدة المتوارثة لفكرة الصراع والعنف من خلال مشاعر التعالي والسمو على الآخرين، مع تغليف كل ذلك بنزعة عنصرية ترى أن (بني إسرائيل) ليسوا مثل غيرهم من البشر لاختيارهم دون غيرهم من الشعوب ليكونوا شعب الله لرب إسرائيل الخاص بهم وحدهم.

وقد لازمت هذه الفكرة العنصرية، الجماعات العبرانية ثم الإسرائيلية منذ وطأت أرض فلسطين التاريخية أقدام الفلول الاولى من اليهود، ومنذ ذلك التاريخ لازمت فكرة الصراع والعنف والتعالي على الآخرين الفكر الإسرائيلي وتقمصت أشكالاً وصوراً مختلفة تتراوح ما بين الحوار بأشكاله المختلفة ومروراً بأنواع المساومات المشفوعة بالغش والخداع وانتهاء بالدخول في معارك مريرة وشرسة مع كل طرف يرفض الإذعان لإرادة الإسرائيليين.

ويزخر التاريخ الإسرائيلي، وعلى النحو المدون في العهد القديم بالكثير من الإشارات إلى أشكال هذا الصراع وأعمال العنف مع الآخرين، بل إن العهد القديم يطبع العقيدة الصهيونية برباط وثيق بين (حرب إسرائيل ورب إسرائيل) حيث أن هذا الرب هو (رب الجنود) الذي يمهد لبني إسرائيل السبيل لتحقيق مآربهم في الغزو والاحتمال وطرد الشعوب من أراضيها.

وبمرور الوقت تحول هذا الصراع المقرون بنظرة عنصرية استعلائية نحو الآخرين إلى منهاج عمل يسعى لتحقيق أهداف الإسرائيليين في فلسطين انطلاقاً من الاعتقاد بأنه بدون هذا الصراع لن يتسنى الاستقرار فيها وزراعة كرومها كما قال دكتور أفراهام فرسمان في دراسة له عن جذور الصراع في المنطقة. وكذلك كما صيغت قوانين الحرب في أسفار العهد القديم وكذلك أساليب الاستيلاء على المدن وصور التعامل مع أهل البلاد الأصليين لتصبح دستوراً ومصدر وحي وشريعة مقدسة لاستئناف ما يسمى بالبعث الإسرائيلي في فلسطين، وذلك على أساس أن كل جريمة تصبح شرعية وقانونية طالما تسعى لتحقيق ما سمى بوعد الرب.

بهذه الصورة تحول التاريخ في الفكر اليهودي إلى صنم يتوجب عبادته وتقديم القرابين على أعتابه من أجل تنفيذ الوصايا والعهود الواردة فيه.

تشويه المسلمين في المناهج التربوية الصهيونية

ان من بين الأسس التي تعتمدها الصهيونية في تربية الأطفال والناشئة اليهود، تشويه صورة العرب والمسلمين والإساءة إليهم في الكتب المقررة التي يصدرها مركز المناهج التعليمية في وزارة المعارف الإسرائيلية، ومن بين أشكال التشويه التي نذكرها على سبيل المثال لا الحصر الأمثلة الآتية:

- ورد في كتاب (تاريخ إسرائيل في العصور الحديثة) تأليف: (د. شمشون كيرشنفويم) في طبعاته القديمة والحديثة منذ 1972-1984 في الصفحات (91-94) في تبرير الاستيطان أن العرب بدأوا سلسلة هجماتهم العدوانية على الاستيطان اليهودي، ثم تحولت هذه الهجمات إلى اعتداءات دموية واسعة ومنظمة، ففي شهر آذار عام 1970 شن أهل الخالصة (سميت فيما بعد كريات شمونة) هجوماً على مستوطنة (تل حي) فقتلوا (يوسف ترومبلدور) وعدد من رفاقه بعد أن دافعوا عن هذا الموقع دفاع المستميت، فقدموا أنفسهم قرباناً لحريتهم، وبعد شهر من هذا التاريخ قام العرب بأعمال شغب ضد اليهود في البلدة القديمة من القدس، فذبحوا وجرحوا الكثيرين وسلبوا الممتلكات اليهودية.

- وفي الصفحتين (161-162) من نفس الكتاب، وفي عملية تشويه لصور الحكام العرب والمسلمين ورد هذا النص: (الحكام العرب قتلة وهم المسؤولون عن سوء أحوال اليهود في الأقطار العربية والإسلامية معاً، ففي عامي 1868 و 1906 مات الكثير من اليهود المغاربة في (غيتو ملاله)، ناهيك عن الهجمات المتكررة وأعمال القتل والنهب والإرهاب التي مورست ضدهم من قبل المسلمين في مراكش، وفي عام 899م مات في مراكش وحدها (2500) يهودي بسبب الجدري، لأن اليهود كان يحظر عليهم السكن والعيش خارج (ملاله) وكانوا يجبرون على ارتداء الملابس السوداء والسير حفاة خافضي الرؤوس ويمنعون من اللقاء بالمسلمين).

- وجاء في ص (162): (كان المسلمون يرغمون اليهود على تزويج بناتهم وهن في سن الثامنة والتاسعة وتزويج أبنائهم في سن الثالثة عشرة، كما تعرف اليهود إلى المصير نفسه في سوريا والعراق، ورد في ص278، 279 إن هجرة اليهود من العراق تمت نتيجة التنكيل بهم أثناء ثورة رشيد علي الكيلاني عام 1941، وبسبب العلاقة التي كانت تربط العراق بالنازية (!!!) وتشجيع الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين للهجمات العدائية التي كانت تشن ضد اليهود في العراق، إضافة إلى أعمال النهب والسلب ضد الممتلكات اليهودية، وإخلاء بيوتهم من أصحابها لإسكان اللاجئين العرب الفلسطينين محلهم بعد خروجهم من أرض إسرائيل بمحض إرادتهم).

- ومن كتاب سلسلة كتب (تاريخ شعب إسرائيل) تأليف (ب.إحيا) و (م. هرباز) الذي يدرس لطلبة الصف الثامن، عرض على الصفحة (109) مفاهيم واتجاهات مفكر صهيوني هو (مناحيم أوشيسكن) مؤسس الصندوق القومي اليهودي، وأحد زعماء الحركة الصهيونية والاستيطان اليهودي في فلسطين، مخاطباً أوروبا بأسرها والعالم الغربي قائلاً (لقد سلبت أرض إسرائيل بالقوة من الأمة الإسرائيلية، بواسطة مطرقة العالم إبان العهد الروماني، فأجليت الأمة الإسرائيلية وتفرقت تحت كل كوكب، والآن أنا ابن أحد هؤلاء المشردين، جئت باسم الأمة المضطهدة لأمثل أمامكم أنتم ورثة الرومان سياسياً وحضارياً، كي أطلب إليكم إعادة المسروقات التاريخية إلى أصحابها). وفي نفس الكتاب السابق في ص (50) يعرض المؤلفان صورة للمسجد وللجيش الإسلامي، وفي أسفل الصورة شعار الحرب لدى المسلمين وهو عبارة عن: سيفين يقع في وسطهما من الأعلى هلال، ويعلق المؤلفان على ذلك.. (الإسلام دين المحاربين) وفي ص (17) يقول المؤلفان: (لأجل ذلك قرر (محمد) الهجوم على قوافل التجار التي اعتادت أن تسلك طريق مكة، بغية سلبها وسرقتها، فتكللت العملية بالنجاح، وأدى الأمر إلى حصول (محمد) على الأسلاب الكثيرة ونال احترام وتأييد عدد كبير من العرب له، وهكذا انضم الكثيرون تحت لوائه واتخذوا لهم الإسلام ديناً). وفي ص (18) يقول: في حرب (محمد) مع يهود المدينة بدأ يستخدم المكائد والمؤامرات، وفي الوقت الذي شرع فيه اتفاقية الصلح مع بعض القبائل، كان يتفرغ لمحاربة القبائل الواحدة تلو الأخرى، وبذلك نجح في السيطرة على اليهود الذين تصدوا له.

وحول علاقة الإسلام باليهودية في الجزيرة العربية، جاء في ص (20): بعد نجاح (محمد) تعرض اليهود من بني قريظة إلى الفناء، حيث حوصروا في إحدى المناطق المعزولة طيلة (25) يوماً من قبل جماعة (محمد) إلى أن اضطروا للاستسلام، فكان مصيرهم، أسوأ من مصير أخوانهم من بني قينقاع وبني النضير، فأسر جميع الرجال الذين بلغ عددهم (600) وذبحوا بطريقة مفزعة جداً، واستمرت عملية القتل طوال تلك الليلة حتى الفجر، فألقيت جثث القتلى إلى داخل الآبار التي حفرت خصيصاً لهذا الغرض، والمصير نفسه تعرض له الأطفال والنساء اليهود حيث بيعوا كالعبيد والإماء.

- أما كتاب (دروس في التاريخ) اليهودية بين المسيحية والإسلام /صادر عن مركز المناهج التعليمية- القدس- 1973م وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية. فإنه نموذج أخر لتشويه الدعوة الإسلامية، حيث وصف الفتوح بأنها حرب إبادة وفناء، حيث ورد في الصفحة (29): التعاليم التي انطلقت من شبه الجزيرة العربية قد أيقظت قلقاً عميقاً في القلوب، لقد قاد (محمد) حرب إبادة لجميع الشعوب والقبائل التي لم تتقبل تعاليمه، فأباد قسماً كبيراً من اليهود في الجزيرة العربية. وفي ص (44): يقول الكتاب: (إن الخليفة العباسي (المأمون) ساعد في تفسخ اليهود وظهور الطوائف اليهودية المتناحرة). وفي ص (66): (إن البرابرة ممثلي إحدى التيارات الإسلامية الحاقدة جعلوا يهود قرطبة أمام خيار صعب، إما الطرد أو الإبادة).

- وورد في كتاب (هذا موطني) للصف الخامس الابتدائي- تأليف ش. شكير/ طبقاً لمنهاج وزارة المعارف والثقافة، في ص (97): أن المسلمين في الخليل، منعوا في التاريخ المعاصر، كل من هو غير مسلم من الدخول إلى مغارة (المكفيلا)- الحرم الإبراهيمي الشريف- فكان يعيش في الخليل طائفة يهودية صغيرة من دارسي التوراة لكن أحداث عام 1929م أدت إلى قتل عشرات اليهود بشكل إجرامي، من بينهم النساء والأطفال، وبعد هذه المجازر الدموية ترك اليهود الخليل ولم يعودوا إليها إلا بعد حرب الأيام الستة.

- وجاء في كتاب الجغرافيا (أرض إسرائيل الطبيعية والاقتصادية) / للمدارس الثانوية ومعاهد المعلمين تأليف د. (منسيه هرئيل)، د. (دوفانير)، في ص (253): منذ الاحتلال الإسلامي خربت مدن النقب العظيمة، واضمحلت الزراعة وهدمت الطرق التجارية. كما ورد في ص (298) عن مدينة يافا: (إنه بعد الاحتلال الإسلامي للبلاد، تردت مكانة يافا، ثم تلاه ترد آخر في العهد العثماني الذي تلا العهد المملوكي، فتلك ظاهرة أصابت موانئ شرق البحر المتوسط كافة إثر تحول التجارة بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح).

- وورد في كتاب الجغرافيا للصف الخامس/ تأليف (د. اكيطوف) و (د. آرني) في ص (102): وبقوة السيف أجبر العرب الشعوب المغلوبة على القبول بدين (محمد) فلم يكونوا ليعرفوا الشفقة في الحرب، فقد فنيت قبائل كثيرة، ورفضت أن تقبل الدين الإسلامي.

- وفي كتاب (دولة إسرائيل وانتشارها في عصرنا) فصول تعليمية لتلاميذ المدارس الثانوية/ تأليف ميخائيل زيف/ (مكانة المرأة في الإسلام) ورد في ص (120) ص (121): (إن المرأة المسلمة متدنية فهي لا تنعم بأي نسمة من نسائم الحرية، منذ ولادتها ولا تفرح بها العائلة، حقوقها مهضومة، وتتزوج وهي صغيرة رغم إرادتها، وترتبط بعد زواجها بأسرتها لتكون وصية عليها، وغالباً ما تحرم من الميراث من أبيها، والمرأة تعمل في البيت رغماً عنها من الصباح إلى المساء، ويتزوج المسلم (4) نساء بالإضافة إلى الجواري، وهذا شائع في الطبقات الغنية ويقل عند الفقيرة).

- كتاب (الأقليات في إسرائيل) المسلمون والمسيحيون والبهائيون والدروز/ تأليف: زئيف فلتائي ، في هذا الكتاب ثمة إنكار للحضارة والوجود العربي والإسلامي، فقد ورد في ص (29): (أن العرب بدأوا بالاقتراب من حدود إسرائيل التي كانت تحت حكم البيزنطيين المسيحيين حتى عام (638) /15هـ، أي أنهم لم يستوطنوا هذه البلاد إلا بعد الاحتلال الإسلامي لها).

- كذلك فإن الكتب المدرسية تكرس نظرة مغايرة للواقع تجاه العرب والمسلمين ومثال ذلك بعض ما جاء في كتبهم المقررة:

في كتاب روما في عظمتها وسقوطها/ العرب والإسلام تأليف شعبة المناهج التعليمية التابعة لوزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية، بإشراف البروفيسور (غلومر)، والبروفيسور (حوالتسيروس يافه) ورد ما يلي: في ص (71): (أن علاقة النبي (محمد) بزوجته خديجة بدأت عن طريق عقد اتفاقية قران بين الاثنين، وزواجه من خديجة هو

الذي جعل منه رجلاً ذو شأن وجاه). في ص (72): (أن (محمداً) زار سوريا وإسرائيل وتأثر كثيراً بالنظام السياسي المتطور لهذه الدول إلى جانب تأثره بالديانات الموحدة وخاصة اليهودية). في ص (74): (أن (محمداً) كان يأمل أن ينضم إليه اليهود (يهود المدينة) حيث لم يلاحظ أي تناقض بين أقواله وبين معتقدات اليهود. في ص (78): أن (محمداً) أمر المسلمين بالتوجه في صلاتهم نحو الكعبة بدل القدس بعكس ما كان الحال في بداية الدعوة، أي حين كانت علاقته جيدة باليهود، وورد كذلك أن الأحاديث التي نقلها إلى المؤمنين برسالته كتبت ووضعت في كتاب دعي فيما بعد بالقرآن).

في ص (91): ورد (أن السبب في بناء المسجد الأقصى وقبة الصخرة يعود إلى اعتماد المسلمين على المعتقدات اليهودية، التي تقدس جبل الهيكل (هيكل سليمان)).

وحول التوجه التربوي في تبريره الاستيطان والأمن الصهيوني لليهود صورت كتبهم الدراسية اغتصاب الأرض العربية على أنه تحرير، وأن ما تم من أعمال وقتل وإبادة من قبل إسرائيل لم يكن إلا حفاظاً على الأمن الإسرائيلي.

وفي كتاب (دولة إسرائيل وانتشارها في عصرنا) فصول تعليمية لتلاميذ المدارس الثانوية/من تأليف ميخائيل زئيف. ورد في عدد من صفحاته ما يلي: (إن الفارق الأساسي في الحالة الأمنية بين دول العالم، ودولة إسرائيل، أن دولة إسرائيل تقع في قلب الوطن العربي الذي تصرح دولة علانية عن نيتها محو إسرائيل عن وجه الخريطة، وأنهم يعدون قواتهم لهذا الغرض ضمن حرب إبادة عندما يأتي يوم الانتقام، وأن الحكام العرب يعملون على أن لا تخبو نار العداوة في صدور شعوبهم، ولا يريدون إيجاد حل لمسألة اللاجئين، ومن خلال الكتب المدرسية والمناهج التعليمية يرضع العرب أولادهم حليب الكراهية والحقد، من خلال الإذاعات والصحف والأناشيد انتظاراً ليوم تسترجح فيه بلادهم بقوة السلاح).

وأخيراً نقول: إنه من نافل القول أن المناهج التربوية في مجملها ترتبط بالسياسة القائمة وإن لكل منهاج فلسفة تستند إليها، إلا أن المنهج التربوي الإسرائيلي يعتبر من أكثر المناهج المرتبطة بالإيديولوجية الصهيونية وخطة الدولة العبرية، بل إن هذا المنهج هو صانع الإطار الفكري العام للجيل بعد ما يتم عزله عن أهله ويتفرغ لعملية الإعداد التربوية والتعليمية.

من كل ما تقدم يتبين لنا أن العملية التربوية في الكيان الصهيوني تقوم على الكفايات التالية: على الصعيد التعليمي فإن الخوف من الآخر وقتاله هو الحل الوحيد للعيش والاستمرار في الحياة، كذلك فإن تحديد العدو هو الهاجس الأساسي الذي يجب تعلم كل شيء من أجل إبادته. أما على الصعيد التربوي فيجب على اليهودي أن يكون شرساً في تعامله مع الآخرين وأن لا يلين لهم مهما كانت الظروف، وأن يكون سيداً من خلال قهر كل من حوله، وأن يكون بطلاً بطاشاً دون رأفة.

هذه الكفايات هي التي جعلت الجرائم الصهيونية تزداد يوماً بعد آخر، فمن الأعمال الإجرامية لعصابات الهاغاناه والأرغون والشتيرن التي تميزت بنوع من التنظيم الإجرامي إلى إرهاب الدولة المنظم الذي مارسته إسرائيل ولازالت ، لقد سلبت الحركة الصهيونية كل مكامن الخير من قلوب اليهود، ولم يبق سوى هذا الحقد الذي كرسته المناهج التربوية التوراتية التلمودية.

بعد كل ذلك هل يمكن لمجتمع نشأ على هذه العنصرية أن يكون مستعداً للسلام؟. ثم لماذا تطالب الدول العربية والإسلامية فقط بضرورة تغيير مناهجها التربوية ولا تطالب (إسرائيل) بذلك؟.

الإصحاح

-- فمن صهيون وأورشليم تخرج الشريعة -- فيقضي الرب بين الأمم وينصف شعوبا كثيرة فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل فلا ترفع امة على امة سيفا بعد-- يا بيت يعقوب هلم لنسلك في نور الرب (الدعوة العقائدية لأرض الميعاد) لقد رفضت شعبك بيت يعقوب لأنهم ملئوا المشرق وهم عائفون كالفلسطينيين ويصافحون اولاد الأجانب فامتلأت أرضهم فضة وذهبا فلا نهاية لكنوزهم وامتلأت أرضهم خيلا فلا نهاية لمركباتهم وامتلأت أرضهم أوثانا يسجدون لعمل أيديهم-

اشعياء -- الإصحاح رقم 2

الأمور التي راها اشعياء بن اموص من جهة يهوذا وأورشليم --في أخر الأيام -- جبل بيت الرب يكون ثابتا على رأس الجبال ويرتفع فوق التلال فتاتي إليه الأمم وشعوب كثيرة فيقولوا هلم نصعد الى جبل الرب الى بيت اله يعقوب لنتعلم طرقه ونسلك في سبله -- فمن صهيون وأورشليم تخرج الشريعة -- فيقضي الرب بين الأمم وينصف شعوبا كثيرة فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل فلا ترفع امة على امة سيفا بعد-- يا بيت يعقوب هلم لنسلك في نور الرب لقد رفضت شعبك بيت يعقوب لأنهم ملئوا المشرق وهم عائفون كالفلسطينيين ويصافحون اولاد الأجانب فامتلأت أرضهم فضة وذهبا فلا نهاية لكنوزهم وامتلأت أرضهم خيلا فلا نهاية لمركباتهم وامتلأت أرضهم أوثانا يسجدون لعمل أيديهم-- فينخفض الإنسان وينطح الرجل فلا تغفر لهم --ادخل الى الصخرة واختبئ في التراب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته -- توضع عينا تشامخ الإنسان وتخفض رفعة الناس فيسمو الرب وحده في ذلك اليوم -- لرب الجنود يوما عظيم وعال على كل مرتفع وعلى ارز لبنان وعلى بلوط باشان وعلى الجبال العالية وعلى التلال المرتفعة وعلى كل برج عال وعلى سور منيع وعلى سفن ترشيش وعلى الإعلام البهجة فيخفض تشامخ الإنسان وتوضع رفعة الناس فيسمو الرب وحده في ذلك اليوم --فتزول الأوثان كلها ويدخلون في مغاير الصخور وفي حفائر التراب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته ---عند قيامه ترتعب الأرض في ذلك اليوم يطرح الإنسان أوثانه الفضية والذهبية التي عملوها للسجود فتصبح للجرذان والخفافيش فيدخلوا في نقر الصخور وفي شقوق المعاقل من هيبة الرب ومن بهاء عظمته --عند قيامه ترتعب الأرض كفوا عن الإنسان الذي في انفه نسمة ❑❑

الضفة الغربية في مواجهة يهودا والسامرة

د. مصطفى اللداوي
فلسطين

لم يأتِ المستوطن الصهيوني والجندي الإسرائيلي والسفير الأمريكي المتطرف لدى الكيان الصهيوني ديفيد فريدمان بجديدٍ في تصريحاته الأخيرة حول الضفة الغربية، إذ شجع فيها الحكومة الإسرائيلية على ضم أجزاء منها، وسلخها عن المناطق الفلسطينية، وبسط السيادة الإسرائيلية عليها، والاعتراف بها جزءً من الكيان، لا تتخلى عنها ولا تفرط فيها في أي مفاوضاتٍ قادمةٍ، ولعل دعوته الوقحة هي أحد أهم بنود صفقة القرن الموهومة، حيث تشير أغلب التسريبات الأمريكية وغيرها إلى نية الحكومة الإسرائيلية التي تعذر تشكيلها، إلى عزم سلطات الاحتلال التدرج في ضم مناطق من الضفة الغربية إليها، على أن تبدأ بالمستوطنات الكبرى وما يتبعها من مواقع عسكريةٍ وطرقٍ التفافية، تمهيداً لإعلانها كلها جزءً من أرض "دولة إسرائيل".

هذه الأفكار الصهيونية ليست جديدةً على القادة السياسيين والعسكريين والكتاب والمفكرين وغيرهم في الكيان الصهيوني، إذ أنهم يكشفون من حينٍ لآخر عن نواياهم، ويسفرون عن رغبتهم في بسط كامل سيادتهم على الضفة الغربية، ودفع دول العالم إلى الاعتراف بها جزءً من كيانهم، فهذا حلمٌ قديمٌ يراودهم، وأملٌ يتجدد ويعيش معهم، وهي أفكارٌ قديمة ومخططاتٌ موجودة، تنسجم مع توراتهم وتتوافق مع تلمودهم، إذ أنهم يعتبرون أن الضفة الغربية التي يطلقون عليها اسم يهودا والسامرة، هي قلب كيانهم ونواة دولتهم، فهي قلب ممالكهم البائدة، وفيها كانت حواضرهم القديمة ومدائنهم الزائلة، وفيها عاش أنبياؤهم وحكم ملوكهم، وفيها دفنوا وبني على قبورهم مقاماتهم.

ولأن أحلام الإسرائيليين الحقيقية وأطماعهم القديمة والجديدة هي في الضفة الغربية، فإنهم يعلمون ليل نهار، في العلن والصمت والخفاء، بالقوة وبالحيلة، وبالمصادرة أو بالشراء، للاستيلاء على المزيد من أراضي الضفة الغربية، التي باتت تشكل فيها الكتل الاستيطانية وغيرها أكثر من 40٪، وهي نسبةٌ آخذةٌ في التوسع والازدياد على حساب الممتلكات الشخصية للمواطنين الفلسطينيين، وقد ساعدتهم في استقرار مشاريعهم ونجاح مخططاتهم اتفاقيةُ أوسلو للسلام، إذ في ظلها تضاعف الاستيطان أضعافاً كثيرة، وزادت نسبة الأراضي المصادرة بدرجةٍ عاليةٍ جداً، مرةً بحجة الاستيطان، وأخرى بسبب الجدار الأمني، وغيرها لحاجاتٍ عسكرية وضروراتٍ أمنية وتسهيلاتٍ معيشية.

ولأن الحكومة الاسرائيلية تعرف أن الضفة الغربية هي قلب مشروعها الاستيطاني، ومحط أطماع أجيالهم، فإن جيشها وأجهزتها الأمنية يعلمون بكل قوة، ويتحركون بأقصى سرعة للقضاء على كل بادرة مقاومة، وتفكيك كل خلية عسكرية، واعتقال كل مجموعة تنظيمية وإحباط مخططاتها، ومصادرة كل قطعة سلاحٍ أياً كانت نارية أو بيضاء، ذلك لأنها تعلم يقيناً أن النار إذا اشتعلت في الضفة الغربية وجبالها، فإنها ستحرقها وستأتي على كيانها، وستقوض أساس مشروعها، ولهذا فهي تتمسك بالتنسيق الأمني وتحرص عليه ولا تفرط فيه، ذلك أنه بالنسبة لها أنجع وسيلةٍ لضبط الضفة الغربية، ومنع نشوء مقاومة فيها، أو تشكيل خلايا ومجموعات عسكرية تهدد أمنهم، وإلا فإنهم سيجدون أنفسهم مضطرين لمساكنة الخوف، والعيش في ظل تهديد المقاومة.

أما كيف يمكننا مواجهة المخططات الإسرائيلية، والتصدي للمؤامرات الأمريكية المكشوفة والمفضوحة، والآخذة في التمادي والوقاحة، فليس إلا الوحدة الفلسطينية، والاتفاق على برنامجٍ وطني نضالي جامعٍ وموحد، يحفظ الأرض، ويحصن الحقوق، ويصر على عدم الاعتراف بالكيان الصهيوني، ويرفض التفاوض معه أو القبول به، ويستعيد الرهبة والاحترام إلى القضية الفلسطينية، التي كانت بثوابتها أقوى، وبتماسكها أصلب، حيث كانت موضع الإجماع في الأمة، ومحط التضحية والجود والعطاء بين أبنائها.

حينها ستكون الضفة الغربية وجبالها، ومدنها وبلداتها، وقراها ومخيماتها، أقوى سلاحاً في مواجهة خرافة يهودا والسامرة، وأكثر ثباتاً أمام رواياتهم الكاذبة وأساطيرهم الواهية، وأشد مقاومةً لمخططاتهم الخبيثة ومشاريعهم الاستيطانية الكثيرة، فالضفة الغربية قويةٌ برجالها، عظيمةٌ بأبنائها، زاخرةٌ بمقدراتها، عظيمةٌ بتضحياتها، معطاءةً بدمائها، فلن تسمح لصهيوني حاقدٍ بأن يمس كبريائها، أو يزور هويتها، أو يصادر تاريخها ويغير حقيقتها، فالضفة الغربية في القلب من فلسطيننا، وفي مقدمة ثوابتنا، وهي أساسٌ في ثورتنا، وعمادٌ أصيلٌ في نضالنا، تتصدى لهذا الدعي وتسكته، وتواجه غيره وتلجمه، وستفاجئ بمقاومتها العدو وتربكه، فتحيةً إلى رام الله وخليل الرحمن، وإلى مدن الشمال ومهد الثورة جنين، وإلى بيت لحم وجبل النار، ومنهم إلى فلسطين كلها، شمالها وجنوبها وغزة عزتها والقدس عاصمتها.

الخطوط الجوية العراقية
Iraqi airways

فيلسوف المعرة بين سجع الحمام وزئير الأسد

عبد الزاق دحنون
سورية

❑ أجمع المؤرخون الذين ترجموا حياة فيلسوف المعرة وعصره أن حادثة سياسية كانت بينه وبين صالح بن مرداس أمير بني كلاب, جرت وقائعها في معرة النعمان سنة ثماني عشرة وأربعمئة, ولم يفصّلوا الواقعة تفصيلاً تاماً, بل هم مختلفون في حقيقتها. وقد أشار فيلسوف المعرة إليها في أكثر من موضع في لزومياته. بعضهم يقول أن أهل معرة النعمان تمردوا على صالح, فحاصرهم, فلما ضيق عليهم شفعوا إليه فيلسوف المعرة فقبل شفاعته.

ولكن لم عصوه وتمردوا عليه؟ يقول ابن العديم في كتابه (الإنصاف والتحرّي في دفع الظلم والتجرّي عن أبي العلاء المعرّي) أن امرأة دخلت جامع المعرة صارخة تستعدي المصلين على صاحب الماخور الذي أراد اغتصابها. فنفر كل من في الجامع, وهدموا الماخور ونهبوا ما فيه. وكان صالح بن مرداس الكلابي في نواحي صيدا فأسرع إلى هناك, وعسكر بظاهر المعرة وشرع في قتالها ورميها بالمنجنيق, واعتقل من أعيانها سبعين رجلاً, اقامة لهيبة السلطان.

لما رأى أهل المعرة ألا قبل لهم بذلك, سعوا إلى فيلسوفهم يسألونه الخروج إلى صالح في معسكره بظاهر المعرة, والشفاعة لهم عنده. وما زالوا به حتى خرج متوكئاً على يد قائد له, وقيل لصالح أن باب البلدة قد فتح وخرج منها رجل يُقاد كأنه أعمى. فقال: هو أبو العلاء أوقفوا القتال. وأذن له وأكرمه وعرفه شوقه إلى لقائه, ثم سأله : ألك حاجة؟ فلما ذكر له أنه جاء شفيعاً لقومه, أجاب صالح : قد وهبتها لك يا أبا العلاء.

ونحن هنا نبحث مع عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين من خلال كتابه (تجديد ذكرى أبي العلاء) عن ترتيب زمني لما جرى علنا نصل إلى حقيقة هذه الواقعة الخطيرة.

حين أطل القرن الرابع من الهجرة على الناس دخلت سلطة الخليفة في بغداد طورها الأضعف عسكرياً و سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. ففوي بذلك الضعف أمر عرب البادية في الشام, وأصبحوا يتسامون إلى الملك. ومن هؤلاء صالح بن مرداس الكلابي أمير بني كلاب وزعيمهم, وقد دخل حلب سنة اثنين وأربعمئة في خمسمئة من فرسان قومه يريدون من حاكمها الصلات والجوائز, وقد طمعوا فيه, واستهانوا بسلطته, ولكن حاكم حلب أمر بغلق أبواب المدينة, وقتل من بني كلاب مئتين وأسر أكثر من مئة, وفيهم زعيمهم صالح بن مرداس حُبس في قلعة حلب. ثم يقول ابن الأثير في رواية الحادثة أن حاكم حلب عمد إلى أزلال صالح بأن أكره أهل أحدى زواجاته الجميلات ويقال لها جابرة على الزواج منه, فرضيت في سبيل اطلاق أهلها من الأسر.

احتال صالح بن مرداس للخلاص من سجنه وهرب إلى قومه, ثم عاد إلى محاصرة حلب في ألفي فارس من بني كلاب يضيقون الحصار على حاكمها حتى استسلم. وانصرف صالح وقد ظفر من الثأر والمال وإضعاف خصمه وإذلاله بما أراد. وبعد بضع سنين من تلك الحادثة تحالف صالح بن مرداس الكلابي وحسان بن مفرج الطائي وسنان بن عليان على أن يقتسموا البلاد, فيمتلك صالح حلب إلى عانة على الفرات, ويملك حسان الرملة الفلسطينية إلى مصر, وتكون دمشق الشام إلى سنان. وفي ذلك يقول فيلسوف المعرة:

أرى حلباً حازها صالح
وجال سنان على جلقا
وحسان في سلفي طيئ
يُصرّف من عزّه أبلقا

وبذلك ابتدأت الدولة المرداسية سنة أربع عشرة وأربعمئة. فما حكاية صالح مع أهل المعرة وحصارهم ورميهم بالمنجنيق؟ اختلف المؤرخون اختلافاً كثيراً في رواية الحادثة, ولكن فيلسوف المعرة ذكر سببها وبين نتيجتها وشفاعته فيها. فأما سبب الحادثة فهو أن امرأة لم يسمها أحد من المؤرخين ولكن فيلسوف المعرة سماها (جامع) أقبلت يوم الجمعة على الناس وهم في مسجدهم فشكت إليهم أن أصحاب خمارة بلدة معرة النعمان تعرضوا لها وأرادوها بمكروه, فغضب لها الناس, فدخلوا الخمارة, وحطموا دنان الخمر, ثم هدموا الخمارة على ما فيها. وقد رضي فيلسوف المعرة عن هذا كل الرضا, وحمده أحسن الحمد فقال:

أتت جامع يوم العَرُوبة جامعاً
تقص على الشهّاد بالمصر أمرَها
فلو لم يقوموا ناصرين لصوتها
لخِلتْ سماء الله تمطر جمرها
فهدّوا بناء كانت يأوي فِناءه
فواجر ألقت للفواحش خُمرَها
وزامرة ليست من الرُّبد خضبت
يديها ورجليها تنفق زمرها
ألفنا بلاد الشام إلف ولادة
نُلاقي بها سود الخطوب وحُمرها

وبلغ الخبر أحد كبار كتاب صالح, فقبض على سبعين من أفاضل أهل معرة النعمان, فقام الناس لنصرة هؤلاء, وثاروا على صالح بن مرداس وجنده. واشتد الأمر, وعظم الخطب, حتى دعا أهل البلدات المجاورة لمعرة النعمان في مساجدهم إلى نصرة أولئك الموقوفين في سجون صالح. فما كان من صالح إلا أن أمر بحصار أسوار معرة النعمان ومن ثم تأهب لاقتحامها. فهرع أهلها إلى فيلسوفهم, الذي سفه أخلاقهم وعاداتهم ومعتقداتهم وخرافاتهم, فتوسلوا به إلى صالح, فخرج إلى ظاهر البلدة. وقيل لصالح: إن باب المدينة قد فتح وخرج منه أعمى يتوكأ على قائد له, فقال صالح: هو أبو العلاء, فدعوا القتال للنظر ماذا يريد؟ ودخل فيلسوف المعرة على صالح فأكرمه وشفّعه, واستنشده, فارتجل أبياتاً جاءت في اللزوميات:

تغيبت في منزلي برهة
ستير العيوب فقيد الحسد
فلما مضى العمر إلا الأقل
وحُمَّ لروحي فراق الجسد
بعثت شفيعاً إلى صالح
وذلك من القوم رأي فسد
فيسمع مني سجع الحمام
واسمع منه زئير الأسد

ورد عليه القائد: بل نحن الذين تسمع منا سجع الحمام وأنت الذي نسمع منك زئير الأسد. ثم سأله عن حاجته فأخبره بها, فأصدر أمراً بالانسحاب، وترك معرة النعمان لأهلها. نعم تراجعت سلطة العسكر أمام سلطة مفكر حر، ألمَّ بفكر العرب وثقافتهم، واستمدَّ من تلك الثقافة رموزها الفلسفية، فأنضجها في أتون العقل، وصنع منها مشروعاً حضارياً عملاقاً نستطيع القول إنه ما زال حياً إلى يومنا هذا. وهي بهذا القيد حالة نادرة، أن يتراجع عسكري أمام فيلسوف ❑❑

عندما يضطر الفقير الى "لحس العتب"

تامر سمير سراج
مصر

❑ يعتبر خيرى شلبى احد اهم جيل الرواية العربية من الرواد والذى تتلمذ على كبار كتاب الرواية العرب ويتميز خيرى شلبى بدخوله الى الحارة المصرية لانه منهم ليحكى كل تفاصيلهم دون اى تزييف.

وخيرى شلبى لمن لا يعرفه هو كاتب روائى مصرى اشتهر بكتابة الملاحم الروائية وله فى المكتبة العربية الكثير منها ولصدق كتابته وتعبيرها الحقيقى على الواقع المصرى تم تحويل اعماله الى اعمال سنيمائية وتلفزيونية مثل مسلسل الوتد وافلام الاوباش والشطار وسارق الفرح وغيرها.

ورواية لحس العتب هى اقصر روايات خيرى شلبى فهى لم تصل الى الصفحة 70 وهذا يدل على أنها رواية مختزلة الى اقصى درجة ممكنة والكلمة فيها تعبر عن صفحات وقد صدرت الطبعة الاولى من الرواية فى عام 1991 ولكنها لم تلقى الصدى المراد الى ان اعادت نشرها مكتبة الاسرة فى اواخر عام 2005 والرواية هى احب واقرب روايات خيرى شلبى الى قلبه.

والمكان دائما الذى تدور فيه احداث روايات خيرى شلبى معروف دائما وهو المقابر نظراً لإرتباطه بيها فأصبحت هى مكانه الأثير روائيا وهى قائمة على طريقة الراوى الذى يحكى الاحداث الذى هو احد اشخاصها وابطالها.

والرواية تحكى على عائلة الزعالكة وهى عائلة كان لها شأن كبير فى الماضى ولكن سرعان ما انتهى هذا المجد وتبدأ الرواية بعبد الودود زعلوك وهو كبير الزعالكة وهو ازهرى سابق يعيش على ماضى اسرته ومجدها الفائت الذى لم يتبقى منه سوى تلك الترابيزة النحاسية الاثرية التى يجلس حلوها كل يوم مع اصدقائه للتسامر.

واصدقاء عبد الودود زعلوك هم عبد الفتاح الزيات و هو احد الفلاحين الذين ظهر عليهم الثراء فجأة بعد الحرب العالمية الثانية والعاشق للسياسة والتحدث فيها دونما ان يتعلم الكتابة او يقرأ جريدة ولكنه يعرف القراءة ومحمد مصباح وهو الثرى الذى يعمل على ادخار امواله فقط دون تشغيلها فى اى مشروع او دكان صغير و محمد جميل وهو النجار الذى اصبح احد كبار تجار الاخشاب فى المنطقة.

وتدور احاديثهم كل يوم حول السياسة معظم الوقت وفى احدى المرات بسبب حديث ساذج وسبب تافه يتضايق عبد الودود من الاصدقاء ويطردهم ويرفض استقبالهم مرة اخرى ويجلس وحيدا فى المنزل لينام بجوار الترابيزة النحاسية الاثرية.

ويمر الوقت وعبد الودود وحيدا حتى يمرض ولديه ومنهم الراوى ويرفض عبد الودود بيع الترابيزة النحاسية لعلاج اولاده وتدور زوجته بهم على المشايخ حتى يطلب منها احدهم ان يلحسوا عتب احد الاولياء الصالحين وتفعل هذا ويطلب منها الشيخ مرة اخرى ان يلحسوا العتب بما فيه من تراب وتفعل هذا ايضا حتى يموت احد الاولاد.

يحزن عبد الودود حتى يقع جدار المندرة ويضطر الى الموافقة على مساومة سيد البنا بأن يأخذ منه الترابيزة النحاسية مقابل بناء جدار المندرة ويأخذ سيد البنا الترابيزة ويجلس عبد الودود فى بكاء شديد هو وعائلته.

الرواية كما قلت مختزلة جدا لذلك حتما ستقرأها فى ساعة لكنك تحتاج الى ساعات كثيرة لتأملها لانها بحق متميزة للغاية وان كان يعيبها فقط محاولة خيرى شلبى اختزالها مما ادى الى فقدان جودة التفاصيل ورسمها فى بعض الاحيان حتى اصبحت غامضة بعض الشىء.

فى النهاية انت امام مخضرم يكتب فى احسن احواله عن المهمشين فى مصر والذى يأثر دائما الحديث عنهم كونه احدهم ❑❑

الهزيمة لا تعني الإستسلام

مريم نجمة
سورية

✠ أصلاً, الشعب كان مُغيباً عن الساحة بداية الثورة السورية, إما مُبعدون منفيون والباقي في الأقبية والسجون والإنفرادية ومعلقون على المشانق أو خُطفوا ليلة الحسم أو اغتيلوا علناً .

فالمدافعون الأحرار الحقيقيون عن الشعب والثورة والوطن والتغيير الأكثر من ضروري , لم يشتركوا بالمعركة الأرضية والمادية, إذاً, مَن انهزم ! ؟

إنهزم النظام الساقط على أيدي الثواروالمنتفضين السلميين العُزّل . انهزم (قادة) من كان يتاجر بالدين, والعقائد الظلامية الفاشية, والقضية العادلة التحررية .. ويمثل دور الأداة الرخيصة مأجوراً يحارب بأسلحة العدو الخُلبيّة الصدئة الصامتة التي لم تجرح عصفوراً ولم تقتل ذئباً أو وحشاً كاسراً حتى ولا فأراً أوأفعى ,, يا ليتها رمتْ حجرًا فقط .. على قِنّ الديوك القاقية النافشة ريشها عَظَمَة وغروراً على كرسيّ الدم, المحميّة بأساطيل أمريكا وطيران وقواعد روسيا وسيوف زعماء وآيات النفط العربي - الإيراني فأي انتصار يدّعون!؟؟

النظام هو الساقط هو الفاسد القاتل الذي أدخل واحتمى بأربع وخمس دول مع مافيات العالم الراسمالي الصهيوني !

الهولوكوست السوري "ليس انتصارًا بل كارثة مذبحة جريمة بشرية تاريخية دولية - أسدية ....

لن نسكت
لم نضعف
لم نركع أمام دولة شريعة الغاب

الشعب يريد الحرية والدولة العلمانية دولة القانون✠

أن تكون أبا ملتزما، بل ونموذجا لمعارفك، ولك القدرة على الإجابة عن الأسئلة الدينية العالقة بالأدهان المتوجسة من غضبة الخالق. فهذا يعني أنك ستعاني مما يتفوه به لسانك حتى لا تُوقع الآخرين في الزلل، وكذا ستحتاج الى احتياط كبير لعلك تحمي سمعتك، ولو كنت متفردا بذاتك لهان الأمر، ولكن أن تكون وصيا على أسرة فهذا يتطلب منك الكثير، خصوصا وأنت تعلم بأن المجتمع لن يرحمك إذا ما ارتكب أحد أبناءك هفوة.

ومن هنا بدأت الحكاية، وبدأت معها معاناتي بين رغبة ارضاء الأب الرجل البعيد عن المنال، القليل الكلام، والذي يتصف بهالة التقدير تجعلني أنظر اليه، أسمع منه، وأفعل ما يأمر. ولم أكن أتبرم، لا أحد يتبرم من قدوته. وعشرتي لأخواتي البنات اللواتي كانت تجمعني بهن علاقة مكشوفة، فيها العتاب، والضحك، والخصام، والكثير من التناغم. فماذا يفعل طفل ساذج إذا وضع بين كماشة الإخوة، وهالة الأب.. لو عاد بي الزمن ماذا كنت سأفعل حينها؟ بأي منطق الذكاء كنت سأخرج نفسي من قبضتهم؟ كان الأب عندما يرى منا ما لا يعجبه، فإنه يتحرك دون أي تبرير لسلوكه، أو توجيه التأنيب المباشر، وإذا تكرر الفعل تظهر سلطته الاخلاقية الفعلية في توجيه أفراد الاسرة. فقد يطفئ التلفاز على فلم به لقطة غير اخلاقية ونحن نشاهد، دون أن ننبس ببنت شفة. وقد يمزق مجلة موديلات نسائية لأخواتي إن ظفر بها دون أن تحتج إحداهن، وقد يخفي رواية "عبير" ولا مجال للبحث عنها. وهنا كسرت العرف، لم أكسره بالمعنى المباشر، ولكن بعد أن ألحت علي أختي، تلاعبت بعقلي الصغير، أفهمتني بأن ما سأفعله لا خطورة فيه، وأن الوالد لن ينتبه إن أخذت الرواية خفية منه. وتجرأت، دخلت الى مخدع والدي، فتشت عنها حتى وجدتها، وهرولت نحو أختي مبتهجا " لقد وجدتها، لقد وجدتها" غير أن أرخميدس قد وجد نظريته الفيزيائية، وأنا وجدت سوطا سينزل على جسدي الصغير. فطن الوالد للرواية المفقودة، عندما سألني، وككل ساذج أخبرته بأنني أخذتها الى أختي.

- لماذا سرقتها؟
- لم أسرقها، طلبت مني أختي الرواية واحضرتها لها.
- لماذا دخلت الغرفة دون ادني؟
- كان الباب مفتوحا.

كان يسألني ويداه تفتش عن شيء خلف كتبه، وكنت أجيب بتلقائية كأن الأمر عادي، فجأة أخرج خرطوم ماء قصير كان باللون الأخضر، أمسكني من دراعي، وبدأ ينهال على مؤخرتي وفخذيّ. كنت أصرخ بأعلى صوتي، وأنادي على أمي. وأمي كعادتها لا تتدخل في شؤون الوالد، أعرف أن صراخي يكزها في قلبها، وقلبها يتمزق من الداخل، لكن لا حول ولا قوة لها في هذا الشأن. فلماذا كنت أناديها إذن؟ لا أعرف، ربما هي المنقذ الوحيد من غضبة الوالد ومن كلماته المتكرر " باقي تعاود.. باقي تعاود" وعند نطقه تلك العبارة المشؤومة، ينزل الخرطوم على جسدي، وأنا بدوري كنت أجيبه شاهقا بالبكاء " عفاك ابا .. والله ما باقي نعاود". عندما انتهى مني، أمرني بإعادة الرواية اليه. وللمفارقة المحيرة، لم يكلم أختي بشأنها، مع أنها هي محفزتي لارتكاب الجريمة، وقد أخبرته بذلك.

عدت وطلبت منها الرواية، وأبت إعطاءها لي، أخبرتني بأنها قد أعادتها الى صاحبتها. وجفاني النوم تلك الليلة، كانت مشكلتي أكبر من سقوط حائط برلين، أعظم من مصيبة تورط رفاق اعبابو في الانقلاب على الحسن الثاني. عقلي يدور ويدور، يخمن في أمري وفي العقوبة التي تنتظرني إذا لم أحضر للوالد الرواية اللعينة. صبيحة الغد، والصدفة وجدتها بالقرب من وسادتها، ربما كانت تقرأها في الليل قبل نومها. أخدتها وهرولت نحو الوالد ومنحتها اياه، ثم تنفست الصعداء. وجاءت كارثة أخرى لتحط رحالها على رأسي، نادت على أختي "اجي نكوليك" اخذتني من يدي وطلعنا سطح المنزل ثم سألتني:
- أين الرواية ؟
- أخدتها لوالدي

سحبت من قدمها خفها البلاستيكي، واتمت ما بدأه الوالد. كانت بدورها تكرر عبارة " المسخوط هاديك راه ديال الناس ماشي ديالي". لكن هذه المرة تدخلت أمي، وأنقذتني من براثنها، مؤدبة اياها "وعلاش أنتِ تدخلي هذاك المسخ لدار". وكبرت وبقيت تلك الحادثة موشومة في الذاكرة، ما زلت أتخيلها بكل تفاصيلها. أشعر كأنني كنت بيدقا في حرب باردة بين معسكرين. أو كرة تتلاعب بها أقدام الفريقين "أب وأخت".

الساذج الصغير

هشام موكادور
المغرب

تغريدة

جبهة زرع الشعر لتحرير فلسطين

STATE OF PALESTINE
PRESIDENCY
PRESIDENCY BUREAU

دولـــة فلســـطين
الرئاســـة
ديـــوان الرئاســـة

الرقم ومقر/0541/03
التاريخ 2018/8/2

معالي السيد شكري بشارة ،،، حفظه الله
وزير المالية والتخطيط

تحية طيبه وبعد ،،،

يرجى تعليماتكم لجهات الاختصاص لصرف بدل عملية زراعة شعر للأخ الدكتور أحمد عساف وتغطية تذاكر السفر الى تركيا وعمل اللازم بالخصوص.

مع فائق شكرنا وتقديرنا

محمود عباس
رئيس دولة فلسطين
رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية

THE WRITER

The First Progressive Multi-Cultural Review in Diaspora
Academic – Political – Ideological and Cultural

Issue No. 27 :: July 2019 | Specialized in Written Creativity and Freedom of Thought | العدد رقم 27 :: تموز 2019

Happy Canada Day

في بلاط الكاتب وحرية الفكر

- ❑ المواد المنشورة في المجلة، تعبر عن رأي كاتبيها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو مؤسسة عيبال، باستثناء الموقعة باسم رئيس التحرير أو مستشاري التحرير، أو مدراء التحرير.
- ❑ مجلة الكاتب غير تجارية وغير ذات نفع مادي، تغطي تكاليف إصدارها من خلال نشر إعلانات لمؤسسات إنسانية وأكاديمية وثقافية وتربوية.
- ❑ ترتيب الأسماء والمواد يخضع لاعتبارات فنية، ولا علاقة لها بأهمية إسم الكاتب.
- ❑ المراسلات تتم باسم رئيس التحرير، ويجب ذكر إسم الكاتب بوضوح، مع عنوانه ورقم الهاتف.